الرائـــد

الجزء الأول

الطبعَـة الأولى

١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م

دار الأندلس الخضراء

المملكَة العَربيّة السُّعُودية - جدَّة

الإدارة : ص ب : ٤٢٣٤٠ جدّة ٢١٥٤١

هَاتف : ٦٨١٠٥٧٧ – فاكس : ٦٨١٠٥٧٨

المكتبات : * حَي السلاَمة - خلف مسجد الشعيبي

هَاتف – فاكس : ٦٨٢٥٢٠٩

* حي الثغر - شارع باخشب - سوق الجَامعَة التجاري

هَاتف : ٦٨١٥٠٢٧ – فاكس : ٦٨١٠٥٧٨

* مكتب الرياض : **هاتف/فاكس : ٢٤٣٤٩٣٠**

http://www.alandalos.com

الرائد
لا يكذب أهله

بسم الله الرحمن الرحيم

b

المقدمة

إن الحمد لله ، نحمده ونستعينه ونستهديه ونستغفره ، ونعوذ بالله تعالى من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله تعالى فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا إلى يوم الدين .

أما بعد :

فإن المنهج التربوي - بجانبيه النظري والعملي - هو الركيزة الكبرى والقاعدة العظمى في صياغة وبناء الشخصية المسلمة التي تؤمن بالله ربًّا ، وبالإسلام دينا ، وبمحمد ﷺ رسولاً ، وتحمِل هَمَّ الدعوة في ليلها ونهارها ؛ لا يشغلها عنها حب زوجة ولا مال أو ولد ، ولا شك أن متانة المنهج التربوي للأفراد حِرز لهم من الانحراف ، وأمان - بإذن الله - من الزيغ والانجراف ، كما أنه دافع لتوثيق روابط الأخوة وزيادة نور البصيرة ، وحافز للتضحية والفداء ، ومغتسل بارد للطهر والنقاء ، والزكاة والصفاء .. وكلما امتدت فترة الحضانة التربوية للأفراد ثبتت على الحق أقدامهم ، وانداحت في ميادين الخير جهودهم ، وسمت على الشهوات والشبهات قلوبهم ، وتجردت من الآفات نفوسهم .

إن تجاوز أنماط التربية واختصار منهجها وإدغام مراحلها والتركيز على القضايا الحركية والإدارية والسياسية وحدها طريق محفوفة بالمخاطر ؛ إذ تنتج أفئدة فيها قسوة ، وليس لها من الصفاء وفرة ، وتؤدي إلى رجحان النفس الأمارة بالسوء على النفس الزاكية فتتعثر الخطا ، ويكثر الحظل والشطط إذ يتغلب الهوى . ولعل هذا أحد أسباب ما يراه الناقد المراقب لصفات الأجيال الدعوية المعاصرة من الهبوط - إلى حد ما - في مستوى التزامها بدقائق الأخلاق الإيمانية والصفات التربوية ؛ إذ (ليس اللاحق على مثل جودة السابق) بالجملة .

ومن هذا المنطلق ، كان لابد من التذكير بأهمية المنهج التربوي ، وضرورة الاعتناء به ، وإعطائه حقه من الرعاية والعناية ؛ ليأخذ التلاميذ منه نصيبهم المفروض ليصحبهم إلى (منازل السائرين) العابدين ، ويرقى بهم في(مدارج السالكين) الموحدين ؛ فتزكو

نفوسهم وتحيا قلوبهم وتلهج ألسنتهم بـ ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾[1] ؛ ليكونوا من جند الله العاملين ، وعباده المخلصين ، لا يريدون إلا وجهه ، ولا يبتغون إلا رضاه .

ولعل مما يعين إخواني الدعاة المربين في توسيع دائرة طرحهم التربوي في عملية البناء والتكوين ، وجود موضوعات معدة للمفردات التربوية التي يُراد التركيز عليها لتكون مادة حديثهم إلى تلاميذهم ، وحولها يدندنون في مناشطهم وتوجيهاتهم .

من أجل هذا ، جمعت مادة (الرائد) ليكون من الزاد الذي يستعين به المربون في أداء مهمتهم ، وتبليغ دعوتهم .

ولقد حرصنا - في الغالب - على توحيد طريقة عرض المصطلحات التربوية الواردة في (الرائد) ليسهل على المربي تناول المصطلح وسرعة الإلمام به ، فابتدأنا بدلالة المصطلح والتعريف به ؛ ليتضح مفهوم ما نريد أن نتحدث عنه للمتلقي، ثم أشرنا إلى الأهداف التي نأمل الوصول إليها ، ونرى ضرورة التركيز عليها عند عرض كل مصطلح .

ولاشك أن معرفة المربي لأهدافه قبل شروعه في عمله من أكبر أسباب نجاحه في مهمته، ثم بعد ذلك ، ذكرنا عناصر الموضوع ؛ ليأخذ المربي فكرة عامة عن الموضوع الذي يريد تحضيره مما يساعده على سرعة استيعاب الأفكار الواردة في الموضوع ، ويسهل على السامع فهمه ، ثم العرض الذي هو شرح مجمل للعناصر المذكورة قبله حسب ترتيبها .

ولقد حرصنا على إثراء الموضوع بالأحاديث والآيات ، واختصار الشروح والتعليقات ؛ لتتأصل المفاهيم بالنصوص الشرعية ، ولترتبط القلوب بالوحي على طريقة السلف الصالح رضوان الله عليهم ، ثم أتبعنا العرض ببعض المقترحات العملية لتأكيد معاني الدرس ؛ إذ المنهج العملي ليس بأقل أهمية من الطرح النظري إذا لم يكن أهم منه .

ولقد جمع الله - عز وجل - بين العرض النظري والدعوة إلى التطبيق العملي بقوله : ﴿ فَاعْلَمْ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ ﴾[2] . وبقدر حرص المربين على تطبيق المفاهيم التربوية عمليًّا وحث الطالب على الالتزام بها لتكون واقعًا عمليًّا في حياتهم يكون النجاح بعد توفيق الله - عز وجل- وختمنا بالمراجع لنترك المجال واسعًا ، والباب مفتوحًا لمن أراد أن يتوسع في عرض مصطلح من هذه المصطلحات ، بل ربما ذكرنا في بعض الهوامش دعوة مفتوحة لمن أراد أن يتوسع في فكرة مرت بنا فاختصرناها ؛ نظرًا لأن التوسع فيها خروج عن منهج الكتاب .

---

(1) سورة الفاتحة [٥] .
(2) سورة محمد [١٩] .

ولابد من الإشارة في هذه المقدمة إلى أننا حرصنا على سلامة الأحاديث الواردة في الكتاب من سقيم لا ينجبر ، وحاولت - جهدي - ألا أكتفي بعزو الحديث إلى بعض كتب الحديث التي خرَّجته ، وأن أضم إليه ما حكم به أهل الاختصاص في هذا الشأن ، ولكن مع هذا قد يندُّ نزر يسير من الأحاديث التي اختلفت فيها وجهات نظر المحدثين بين مضعف ومصحح ؛ فأجتهد عندها أن أقف على سبب اختلافهم، ثم أقلد من اطمأنت إلى ما ذهبت إليه نفسي ، أو لم أستطع تقصي الحكم فيها ؛ نظرًا لضيق وقتي ، ولغيبة بعض المراجع الحديثية عن مكتبتي ، فاكتفيت بعزوها ، ومع ذلك فإن ما حصل من هذا قليل جدًّا ، ولعلي أرجع إليه فيما بعد - إن شاء الله .

وحيث إني أردت الكتاب رسالة أخوية إلى إخواني الدعاة ، فإني لم أكلِّف نفسي بتسويد الحواشي في ذكر جميع من خرَّج الحديث مع ذكر طرقه واختلافهم في ألفاظه .. إلخ ، واكتفيت ببعض من خرَّجه ، بل لم ألزم نفسي ببعض آداب التحقيق كإيراد المخرجين بحسب علو طبقتهم وقدم سابقتهم في هذا الفن أو اتباع نسق واحد في التحقيق ، بل قد ضاق بي الوقت حتى عن مراجعته لغةً وطباعةً . ولما كان المؤمن مرآة أخيه فإني أدعو إخواني إلى تسديد خطئي ، وستر عيوبي ، والحرص على نصيحتي .

والله أسأل أن يحقق هذا الكتاب الغرض من تأليفه ، والهدف من تصنيفه ، وأن يكون عوناَ لإخواني الدعاة في مهمتهم الشريفة ومسؤوليتهم العظيمة في نشر الخير والدعوة
إليه . (وأنا سائلٌ أخا انتفع بشيء منه أن يدعو لي ، ولوالديَّ ، ومشايخي ، وسائر أحبابنا ، والمسلمين أجمعين ، وعلى الله الكريم اعتمادي ، وإليه تفويضي واستنادي ، وحسبي الله ونعم الوكيل ولا حول ولا قوة إلا بالله العزيز الحكيم) .

مازن بن عبد الكريم الفريح

ابتلاء

bn

الابتلاء

أولا : دلالة المصطلح :

أ – لغة واصطلاحا :

الاختبار والامتحان[1] ، والبلاء يكون في الخير والشر ، كما قال تعالى : ﴿ **وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً** ﴾[2] ، قال أبو الهيثم : البلاء يكون حسنًا ويكون سيئا ، وأصله المحنة ؛ والله -عز وجل- يبلو عبده بالصنع الجميل ليمتحن شكره ، ويبلوه بالبلوى التي يكرهها ليمتحن صبره[3].

ب - الألفاظ المقاربة للمصطلح أو لها علاقة به :

الفتنة :

وتأتي بمعنى الاختبار والامتحان[4]، كما أنها تأتي بمعان أخرى كالإضلال ، كقوله تعالى : ﴿ **فَإِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ * مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ بِفَاتِنِينَ * إِلاَّ مَنْ هُوَ صَالِ الْجَحِيمِ** ﴾[5] .

المحنة :

التصفية والتهذيب ، كما قال تعالى : ﴿ **أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللهُ قُلُوبَهُمْ** ﴾[6] قال أبو عبيدة : صفاها وهذبها[7] ، وتأتي بمعنى الاختبار كما في قوله تعالى : ﴿ **إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ** ﴾[8] أي اختبروهن .

جـ - الخلاصة :

إن كلمات الابتلاء والمحنة والفتنة تشترك في معنى الامتحان والاختبار ، كما أن

---

(1) انظر للتوسع مادة ((بلا)) ، لسان العرب لابن منظور ، دار المعارف ، جـ١ ، ص ٣٥٥ .
(2) سورة الأنبياء [٣٥] .
(3) الجامع لأحكام القرآن ، القرطبي ، جـ١ ، ص ٣٨٧ ، جـ ٢ ، ص ١٧٣ .
(4) راجع مادة ((فتن)) ، لسان العرب لابن منظور ، جـ ٥ ، ص ٣٣٤٦ .
(5) سورة الصافات [١٦١ – ١٦٣] .
(6) سورة الحجرات [٣] .
(7) لسان العرب مادة ((محن)) ، جـ ٦ ، ص ٤١٥٠ .
(8) سورة الممتحنة [١٠] .

بعضها قد يتضمن معاني لا يتضمنها الآخر .

ثانيا : الأهداف : يهدف هذا الدرس إلى :

١- تعريف مفهوم الابتلاء ، وأنه سنة ماضية في الأولين والآخرين .
٢- تهيئة النفوس إلى ما يعترضها من عقبات في طريق الدعوة .
٣- عرض أسباب الثبات عند الابتلاءات .
٤- ذكر حكم الابتلاءات وثمراتها للإفادة منها في تقويم المسار الدعوي والذاتي .
٥- دراسة أمثلة عديدة لصور الابتلاءات في القديم والحديث .

ثالثا : عناصر الموضوع :

١- معنى الابتلاء .
٢- أهمية الموضوع (أسباب عرضه والحديث عنه) .
٣- الابتلاء سنة كونية .
٤- أنواع الابتلاء .
أ - الابتلاء بالشر والابتلاء بالخير .
ب - الابتلاءات الدعوية والابتلاءات الشخصية .
٥- حكم الابتلاءات وثمراتها .
٦- عوامل الثبات عند الابتلاءات .
٧- أمثلة على الابتلاءات (**إشارة إلى المراجع فقط**) .

رابعا : العرض :

١ - معنى الابتلاء : سبق الإشارة إليه في مقدمة الموضوع .

٢ - أهمية الموضوع : فإن لموضوع الابتلاء أهمية بالغة لكونه :

٢-١ : تهيئة للنفوس وتوطينها ، وطمأنة للقلوب وتثبيتها على ما ستلقى في طريق الدعوة من العوائق والمنغصات ، والمصاعب والمكروهات وهو الطريق الذي يؤدي بصاحبه إلى الجنة .. قال ﷺ : ((**حجبت الجنة بالمكاره ، وحجبت النار بالشهوات**))[1]، وفي رواية مسلم : (حفت) بدل حجبت .

---

[1] رواه البخاري في الرقائق ، جـ١١ ، ص٢٧٤ ، ومسلم في أول كتاب الجنة وصفة نعيمها ، حديث رقم ٢٨٢٢ .

٢ - ٢ : وعلاجا للنفوس التي شكت تأخر النصر وتململت من مرارة الصبر وأضناها شدة البلاء وتكالب الأعداء ؛ عن أبي عبدالله خباب بن الأرت ﷺ قال : شكونا
إلى رسول الله ﷺ وهو متوسد بُردَة في ظل الكعبة فقلنا : ألا تستنصرُ لنا ، ألا تدعو لنا ؟
قال ﷺ : ((**قد كان من قبلكم يؤخذ الرجل فيُحفر له في الأرض ، فيجعل فيها ، ثم يُؤتى بالمنشار فيوضع على رأسه فيُجعل نصفين ، ويُمشط بأمشاط الحديد – ما دون لحمه وعظمه – ما يصُده ذلك عن دينه ، والله ليُتمَّن الله هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا الله والذئب على غنمه ، ولكنكم تستعجلون**)) وفي رواية : ((**وهو متوسد بُردة وقد لقينا من المشركين شدة**)) (١) .

٢ - ٣ : وتصحيحا للمسار وارتقاءً بالنفس إلى كمالها وذلك من خلال دراسة أهداف الابتلاءات ونتائجها ، والإفادة من معرفة الأخطاء لتجنبها ... ألم تر أن الله – عز وجل – ذكر الكثير من الابتلاءات التي ابتلى بها المسلمين الأوائل ثم بين ما وقع فيه الأصحاب من أخطاء وحثهم على عدم تكرارها : ﴿ **يَعِظُكُمُ اللهُ أَن تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِن كُنْتُم مُّؤْمِنِينَ** ﴾(٢) .

٢ - ٤ : معرفة بالسنن الإلهية في الحياة ، والتعرف على حكمها وأسرارها ، وفي مقدمة هذه السنن ، سنة الابتلاء التي لا يستثنى منها بر ولا فاجر ولا مؤمن ولا كافر ﴿ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴾(٣)، وقوله
تعالى : ﴿ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً ﴾ (٤). إن فقه هذه السنن – لا سيما سنة الابتلاء – ومعرفة ما ينبغي لها من التزامات وإلزامات ويترتب عليها من نتائج وتبعات من الأهمية بمكان .

٣ - الابتلاء سنة كونية :

إن من استقرأ آيات الله وسنة رسوله ﷺ عَلِم عِلْمَ اليقين أن الابتلاء سنة لا تتخلف

(١) رواه البخاري في كتاب علامات النبوة ، جـ ٧ ، ص ١٢٦ .
(٢) سورة النور [١٧] .
(٣) سورة آل عمران [١٣٧] .
(٤) سورة الملك [٢] .

في الدعوات بل وفي الناس جميعا فلابد من الابتلاء .

أ - ﴿ لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا ﴾(١) .

ب - ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الأَمْوَالِ وَالأنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ ﴾(٢) ، فلابد من الابتلاء في شيء من المال أو النفس أو الولد أو الأهل ، وهو في المؤمنين آكد وأظهر، كما أخبر بذلك النبي ﷺ فقال : ((**أشد الناس بلاءً الأنبياء [ثم الصالحون] ثم الأمثل فالأمثل ، يبتلى الرجل على حسب دينه ؛ فإن كان في دينه صُلبا ، اشتد بلاؤه ، وإن كان في دينه رقة ، ابتلي على قدر دينه ، فما يبرح البلاء بالعبد حتى يتركه يمشي على الأرض وما عليه خطيئة**)) (٣) .

جـ - قال الإمام ابن كثير – رحمه الله – في قوله تعالى : ﴿ أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لاَ يُفْتَنُونَ ﴾(٤) قال : استفهام إنكار ، ومعناه أن الله - سبحانه وتعالى - لابد أن يبتلي عباده المؤمنين بحسب ما عندهم من الإيمان(٥) .

ويقول سيد –رحمه الله– في تفسيره نفس الآية السابقة : ((إن الإيمان ليس كلمة تقال إنما هو حقيقة ذات تكاليف ؛ وأمانة ذات أعباء ؛ وجهاد يحتاج إلى صبر ، وجهد يحتاج إلى احتمال . فلا يكفي أن يقول الناس آمنا وهم لا يتركون لهذه الدعوى ، حتى يتعرضوا للفتنة فيثبتوا عليها ويخرجوا منها صافية عناصرهم خالصة قلوبهم . كما تفتن النار الذهب لتفصل بينه وبين العناصر الرخيصة العالقة به – وهذا هو أصل الكلمة اللغوي وله دلالته وظله وإيحاؤه – وكذلك تصنع الفتنة بالقلوب . هذه الفتنة على الإيمان أصل ثابت ، وسنة جارية في ميزان الله سبحانه)) (٦) .

٤ - أنواع الابتلاء :

أ - لقد بين الحق – عز وجل – أن الابتلاء على نوعين : ابتلاء بالشر وابتلاء

---

(١) سورة آل عمران [١٨٦] .
(٢) سورة البقرة [١٥٥] .
(٣) رواه الترمذي ، كتاب الزهد ، حديث رقم ٢٣٩٨ ، وابن ماجة ، كتاب الفتن ، حديث رقم ٤٠٢٣ ، والدارمي ، كتاب الرقائق ، حديث رقم ٢٧٨٣ ، وأحمد ، جـ١ ، ص١٧٢ ، ١٧٤ ، ١٨٠ ، ١٨٥ ، جـ٦ ، ص٢٢٩، وهو في صحيح الجامع ، حديث رقم ٩٢٢ ، انظر شرح الحديث للتوسع في المشكاة ، حديث رقم ١٥٦٢ .
(٤) سورة العنكبوت [٢] .
(٥) مختصر ابن كثير للصابوني ، جـ٣ ، ص٢٨ .
(٦) في ظلال القرآن ، سيد قطب ، جـ٥ ، ص ٢٧٢٠ .

بالخير ، قال الله تعالى : ﴿ وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً ﴾ [1]، قال ابن عباس - رضي الله عنهما - :

« نبتليكم بالشدة والرخاء ، والصحة والسقم والغنى والفقر والحلال والحرام والطاعة والمعصية والهدى والضلال » [2] ، وها هو سيد – رحمه الله – يبين الفرق بين النوعين

فيقول : « والابتلاء بالشر مفهوم أمره ، ليتكشف مدى احتمال المبتلى ، ومدى صبره على الضر ، ومدى ثقته بربه ، ورجائه في رحمته .. فأما الابتلاء بالخير فهو في حاجة إلى بيان ..

إن الابتلاء بالخير أشد وطأة ، وإن خيل للناس أنه دون الابتلاء بالشر .. إن كثيرين يصمدون للابتلاء بالشر ، ولكن القلة القليلة هي التي تصمد للابتلاء بالخير ، كثيرون يصبرون على الابتلاء بالمرض والضعف . ولكن قليلين هم الذين يصبرون على الابتلاء بالصحة والقدرة .. ويكبحون جماح القوة الهائجة في كيانهم . الجامحة في أوصالهم . كثيرون يصبرون على الفقر والحرمان فلا تتهاوى نفوسهم ولا تذل ، ولكن قليلين هم الذين يصبرون على الثراء والوجدان وما يغريان به من متاع وما يثيرانه من شهوات وأطماع . كثيرون يصبرون على التعذيب والإيذاء فلا يخيفهم ، ويصبرون على التهديد والوعيد فلا يرهبهم ، ولكن قليلين هم الذين يصبرون على الإغراء بالرغائب والمناصب والمتاع والثراء . كثيرون يصبرون على الكفاح والجراح ، ولكن قليلين هم الذين يصبرون على الدعة والراحة ثم لا يصابون بالحرص الذي يذل أعناق الرجال ، وبالاسترخاء الذي يقعد الهمم ويذل الأرواح » [3] .

« والنفس المؤمنة هي التي تصبر للضراء ، ولا تستخفها السراء وتتجه إلى الله في الحالين ، وتوقن أن ما أصابها من الخير والشر فبإذن الله ، وأن الله تعالى يربي النفوس بالابتلاء وبالشدة بعد الابتلاء بالرخاء » [4] .

ب - يمكن تقسيم الابتلاء إلى نوعين آخرين بالنظر إلى سبب حدوثه والمتسبب فيه .

٤ - ب - ١ : الابتلاءات الدعوية :

وهي الأذى الذي يلحق بالدعوة وأتباعها عموما نتيجة الصراع بين أولياء الرحمن وحزب الشيطان[5] ، وهذا النوع من الابتلاءات أخبر عنه الحق – عز وجل

---

(1) سورة الأنبياء [٣٥] .
(2) مختصر تفسير ابن كثير ، جـ٢ ، ص٥٠٨ .
(3) طريق الدعوة في ظلال القرآن ، جمع وإعداد أحمد فايز ، ص ٢٣٦ – ٢٣٧ .
(4) نفس المرجع ، ص ٢٣٨ .
(5) الابتلاءات والمحن في الدعوات ، محمد أبو فارس ، ص ٤١ .

– في العديد من الآيات ، كقوله تعالى : ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ ﴾[1] ، وقوله : ﴿ لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا ﴾[2] ، وقوله : ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُم مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا ﴾[3] ، وقوله عن أصحاب الأخدود : ﴿ وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلاَّ أَن يُؤْمِنُوا بِاللهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴾[4] ، وتظهر هذه الابتلاءات في الواقع على صور عديدة تصيب الدعوة وأتباعها بالأذى والفتن ، ومن هذه الصور :

أولا : الحملات الإعلامية :

حيث يشن أعداء الله حملات إعلامية على الدعوة والدعاة يقصدون من ورائها عدة أهداف منها :

- تشويه صورة أولياء الرحمن وخاصة عند الذين لا يعرفونهم .
- تنفير الناس منهم ومن دعوتهم .
- إقناع الناس بعدم التعاون معهم ، والتعاطف معهم في قضاياهم .
- تشكيك الناس في صدق الدعوة والدعاة ، وفقد ثقتهم بهم ومن ثم معاداتهم[5] .

هذا بالإضافة إلى ما يعمدون إليه لترويج باطلهم من قلب للحقائق وطمس للمبادئ وانتكاس المفاهيم واختلال الموازين على سنة الملأ من قوم فرعون الذين قالوا عن موسى : ﴿ أَتَذَرُ مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَآلِهَتَكَ﴾[6] .

ثانيا : التهديد بالأذى :

ويتنوع الأذى ويتعدد مثل : السجن والنفي والتشديد والتضييق في الموارد المعاشية وقد يصل إلى القتل .

---

(1) سورة محمد [٣١]
(2) سورة آل عمران [١٨٦] .
(3) سورة البقرة [٢١٤] .
(4) سورة البروج [٨] .
(5) المرجع السابق ، ص ٤٥ .
(6) سورة الأعراف [١٢٧] .

ثالثا : الإغراء بالمال والجاه[1] :

وكم أفسد هذا النوع من الابتلاء ذمم علماء كان يشار إليهم بالبنان .

٤ ـ ب ـ ٢ : الابتلاءات الشخصية :

وهي ما يصيب المسلم من هم وغم وحزن ومرض وفقد متاع دنيوي دون أن يكون لأعداء الله أثر في ذلك .

وقد أشار الحق – عز وجل – إلى هذا النوع فقال : ﴿ **وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الأَمْوَالِ وَالأنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ** ﴾[2].. وبينه رسوله ﷺ حين قال : ((**إن الله تعالى قال : إذا ابتليت عبدي بحبيبتيه فصبر عوضته عنهما الجنة**)) [3] يريد عينه .

وللابتلاءات الشخصية صور كثيرة منها :

أولا : فقد عضو من أعضاء البدن كما مرَّ بنا في الحديث السابق .

ثانيا : فقد الأبناء :

وقد فسر الإمام الشافعي قوله تعالى : ﴿ **وَالثَّمَرَاتِ** ﴾ في آية البقرة : (موت الأولاد وولد الرجل ثمرة قلبه) [4] .

وقد صح عنه ﷺ أنه قال : ((**يقول تعالى : ما لعبدي المؤمن عندي جزاء إذا قبضت صفيه من أهل الدنيا ثم احتسبه إلا الجنة**)) [5]. ومعنى صفيه ، قال ابن حجر : (هو الحبيب المصافي كالولد والأخ وكل من يحبه الإنسان) [6] .

ثالثا : الأحزان والهموم والغموم .

٥ ـ حِكَم الابتلاء وثمراته و غاياته :

إن الله – عز وجل - لا يخلق شيئا عبثا ولا يقدر أمرا سدى ، قال سبحانه وتعالى

---

(1) لمزيد من التوسع ، راجع الابتلاءات والمحن في الدعوات ، ص ٤٥ – ١٣٤ .
(2) سورة البقرة [١٥٥] .
(3) رواه البخاري ، كتاب المرضى ، باب فضل من ذهب بصره ، حديث رقم ٥٦٥٣ ، وانظر فتح الباري ؛ جـ ١٠ ، ص١١٦ - ١١٧ .
(4) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ، جـ ٢ ، ص ١٧٤ .
(5) رواه البخاري ، في كتاب الرقائق ، باب العمل الذي يبتغي به وجه الله تعالى ، حديث رقم ٦٤٢٤ .
(6) الفتح ، جـ ١١ ، ص ٢٤٢ .

:
﴿ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لاَعِبِينَ ، لَوْ أَرَدْنَا أَن نَّتَّخِذَ لَهْوًا لاَّتَّخَذْنَاهُ مِن لَّدُنَّا إِن كُنَّا فَاعِلِينَ﴾ (١).. ولذلك فقد تضمنت الابتلاءات الحكم الجليلة والثمرات العظيمة التي ينبغي للدعاة الوقوف عندها ، وتدبرها وتأملها .. وهذه بعض حكم الابتلاءات وثمراتها ..

٥ - ١ : تكفير السيئات ورفع الدرجات :

الابتلاءات التي تصيب المؤمن فيصبر عليها سبب لتطهيره من السيئات كما قال تعالى : ﴿ وَلِيُمَحِّصَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا ﴾(٢) ((أي تنقيتهم من الذنوب بالابتلاءات ذكره ابن القيم في زاد المعاد ، جـ ٣ ، ص ٢٢٣)) .

عن أبي سعيد الخدري ، وأبي هريرة – رضي الله عنهما – عن النبي ﷺ قال :

((**ما يصيب المسلم من نصب ، ولا وصب ، ولا هم ، ولا حزن ، ولا أذى ، ولا غم ، حتى الشوكة يشاكها ، إلا كفر الله بها من خطاياه**)) (٣) ، وإنما قال ﷺ : ((**من خطاياه**)) لأن بعض الذنوب لا تكفر إلا بالتوبة وإرجاع الحق إلى أهله .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : ((**ما يزال البلاء بالمؤمن والمؤمنة في نفسه وولده وماله حتى يلقى الله تعالى وما عليه خطيئة**)) (٤) .

وأما رفع الدرجات ، فقد قال الإمام ابن القيم في ذكره للحكم والغايات المحمودة من ابتلاء يوم أحد : ((إنه سبحانه هيأ لعباده المؤمنين منازل في دار كرامته ، لم تبلغها أعمالهم ، ولم يكونوا بالغيها إلا بالبلاء والمحنة ، فقيض لهم الأسباب التي توصلهم إليها من ابتلائه وامتحانه .. كما قال تعالى : ﴿ وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ ﴾))(٥) .

٥ - ٢ : تحقيق العبودية لله في السراء والضراء :

قال ابن القيم - رحمه الله - في ذكره لحكم الابتلاءات : ((استخراج عبودية أوليائه وحزبه في السراء والضراء ، وفيما يحبون وما يكرهون ، وفي حال ظفرهم

---

(١) سورة الأنبياء [١٥ - ١٦] .
(٢) سورة آل عمران [١٤١] .
(٣) متفق عليه ، البخاري ، جـ ١٠ ، ص ٩١ ، ومسلم ، ص ٢٥٧٣ .
(٤) رواه الترمذي ، كتاب الزهد ، حديث رقم ٢٣٩٩ ، وقال : حسن صحيح ، وأحمد ، جـ١ ، ص ١٧٢ ، ١٧٤ ، وهو في صحيح الجامع ، حديث رقم ٥٨١٥ .
(٥) زاد المعاد ، ابن القيم ، بتحقيق الأرناؤوط ، جـ ٣ ، ص ٢٢١ .

وظفر أعدائهم بهم ، فإذا ثبتوا على الطاعة والعبودية فيما يحبون ويكرهون فهم عبيده حقا ، وليسوا كمن يعبد الله على حرف واحد من السراء ، والنعمة والعافية)) [1] .

٥ ـ ٣ : تمحيص المؤمنين الصادقين ، وفضح الأدعياء الكاذبين :

ففي الابتلاءات تتميز الصفوف ، ويظهر كل واحد على حقيقته كما قال تعالى : ﴿ **مَا كَانَ اللهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَمَا كَانَ اللهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْب** ﴾[2] .

قال ابن القيم : ((أي ما كان الله ليذركم على ما أنتم عليه من التباس المؤمنين بالمنافقين حتى يميز أهل الإيمان من أهل النفاق ، كما ميزهم بالمحنة يوم أحد)) [3] .

فائدة : وعلى هذا يكون التمحيص نوعين ، تمحيص للصفوف ، وتمحيص للذنوب .

٥ ـ ٤ : محق الكافرين :

ففي الابتلاءات التي تقع بالمؤمنين إهلاكٌ لأهل الكفر إما بقتلهم بأيدي المؤمنين أو بطغيانهم ومبالغتهم في أذى المؤمنين ، وقد ذكر الله – عز وجل– فقال : ﴿ **إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ وَتِلْكَ الأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ** ﴾[4] الآية ، ثم قال : ﴿ **وَلِيُمَحِّصَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ**﴾ [5] .

٥ ـ ٥ : الإنابة إلى الله بالتوبة والاستغفار :

قال علي ﷺ : ((ما نزل بلاء إلا بذنب وما رفع إلا بتوبة)) .

٥ ـ ٦ : تربية النفوس وصقل الشخصية المسلمة :

قال سيد – رحمه الله – : ((ولابد من البلاء كذلك ؛ ليصلب عود أصحاب العقيدة ويقوى ؛ فالشدائد تستجيش مكنون القوى ومذخور الطاقة وتفتح في القلب منافذ ومسارب ما كان ليعلمها المؤمن في نفسه إلا تحت مطارق الشدائد ، والقيم والموازين والتصورات ما كانت لتصح وتدق وتستقيم إلا في جو المحنة التي تزيل الغبش عن

---

(1) المرجع السابق ، جـ ٣ ، ص ٢٢٠ .
(2) سورة آل عمران [١٧٩] .
(3) زاد المعاد ، جـ ٣ ، ص ٢٢٠ ، وانظر أيضا طريق الدعوة في ظلال القرآن ، ص ٢٢٢ .
(4) سورة آل عمران [١٤٠] .
(5) سورة آل عمران [١٤١] ، وانظر أيضا ، زاد المعاد ، جـ ٣ ، ص ٢٢٢ – ٢٢٣ .

العيون ، والران عن القلوب))[1]. فلابد من تربية النفس على الاستعلاء على الشهوات والصبر على المصائب والملمات والثقة بالله والتوكل عليه مهما طال الابتلاء واشتدت الفتن .

٦ - عوامل الثبات عند الابتلاءات :

٦ - ١ : الصبر والتصبر :

فتربية النفس على الصبر ، وتصبيرها على تحمل البلاء من أعظم الأسباب التى تعين على ثبات المؤمن عند الفتن والابتلاءات ؛ ولذلك كان الصبر من أعلى مقامات الأولياء ، ومنازل الأتقياء ؛ ولذلك قال الرسول ﷺ : ((**من يتصبر يصبره الله وما أُعطي أحد عطاءً خيرا وأوسع من الصبر**))[2]، فإن قال قائل : ولكن كيف أكون صابرًا ؟ أجابه ابن القيم - رحمه الله - على سؤاله قائلا : ((والصبر على البلاء ينشأ من أسباب عديدة :

الأول : شهود جزائها وثوابها .

الثاني : شهود تكفيرها للسيئات ومحوها لها .

الثالث : شهود ترتبها عليه بذنبه كما قال تعالى : ﴿ **وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ** ﴾[3] .

الرابع : أن يعلم أن المصيبة ما جاءت لتهلكه وتقتله ، وإنما جاءت لتمتحن صبره وتبتليه فيتبين حينئذ هل يصلح لاستخدامه وجعله من أوليائه وحزبه أم لا .

الخامس : أن يعلم أن الله يحب أن يرى عبده في السراء والضراء ، والنعمة والبلاء ، فيستخرج منه عبوديته في جميع الأحوال)) .

٦ - ٢ : اللجوء إلى الله وسؤاله الثبات [4] :

---

(1) طريق الدعوة في ظلال القرآن ، جمع أحمد فايز ، ص ٢٢١ – ٢٢٢ ، وانظر أيضا زاد المعاد ، ج ٣ ، ص ٢٣٧ – ٢٣٨ ، والابتلاءات والمحن في الدعوات ، ص ١٣٥ – ١٣٨ ، وأيضا قواعد الدعوة لهمَّام ، ص ٧٦ – ٨٢ ، وممرات الحق ، الممر الأول ، ص ١٦٣ – ١٧١ .

(2) رواه البخاري ، كتاب الزكاة ، باب الاستغفار عن المسألة ، حديث رقم ١٤٦٩ ، ورواه مسلم أيضا ، حديث رقم ١٠٥٣ .

(3) سورة الشورى [٣٠] .

(4) من ركائز الدعوة ، د . مجدي الهلالي ، ص ٢١٣ .

فكلما اقترب المسلم من ربه كان من أكثر الناس تعرضا لرحمات الله ، ومن رحماته
-سبحانه وتعالى- تثبيت الذين آمنوا كما أخبر بذلك - سبحانه - فقال : ﴿ يُثَبِّتُ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآَخِرَةِ ﴾[1] ، ولهذا كان النبي ﷺ يكثر من دعاء ربه فيقول : ((**يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك**))[2] ، وهى سنة الصالحين الذين
قالوا : ﴿ رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾[3].

٦ - ٣ : معرفة طبيعة الطريق[4] :

إنه طريق طويل شاق ، كثير العقبات ، عظيم التبعات ، فلابد من توطين النفس على الصبر الجميل والنَفس الطويل .. ثم إنه الطريق الذي لا طريق غيره للوصول إلى الجنة
((**حجبت الجنة بالمكاره**))[5] ، فلابد من السير فيه والثبات عليه لمن أراد منازل السعداء .

٦ - ٤ : ذكر الله تعالى :

فهو من أعظم أسباب الثبات على الحق ، قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾[6] .. فذكر الله من أعظم أسباب السكينة والطمأنينة التى تورث القلوب ثباتا واستقامة على أمر الله - عز وجل .

ومن أعظم الذكر قراءة القرآن وتدبره كما قال تعالى : ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلاَ

---

(1) سورة إبراهيم [٢٧] .
(2) أخرجه الترمذي ، كتاب القدر رقم ٢١٤٠ ، والبخاري في الأدب المفرد رقم ٦٨٤ ، وأحمد ، جـ ٣ ، ص ٢٥٧ ، وأبو يعلى في مسنده ، حديث رقم ٣٦٨٧ ، ٣٦٨٨ ، وابن أبي شيبة في مصنفه ، حديث رقم ١٠٤٥٤ ، وابن أبي عاصم في السنة حديث رقم ٢٢٥ ، والحاكم في مستدركه ، جـ ١ ، ص ٥٢٦ ، جميعهم من حديث أنس بلفظه ، ولـه شاهد من حديث عبدالله بن عمرو أخرجه مسلم في صحيحه ، حديث رقم ٢٦٥٤ ، وابن عاصم في السنة ، حديث رقم ٢٢٢ ، وهو في صحيح الجامع ، حديث رقم ٧٩٨٧.
(3) سورة البقرة [٢٥٠].
(4) من ركائز الدعوة ، د . مجدي الهلالي ، ص ٢١٣ .
(5) رواه البخاري ، كتاب الرقائق ، باب حجبت النار بالشهوات ، حديث رقم ٦٤٨٧ ، ورواه مسلم بلفظ حفت بدل حجبت ، انظر الفتح ، جـ ١١ ، ص ٣٢٠ .
(6) سورة الأنفال [٤٥]

﴿ نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلاً ﴾(١) .. فالقرآن مصدر تثبيت للقلوب المؤمنة لأنه يقوي صلتها بالله فتطمئن وتستقر وتثبت .

٦ - ٥ : الالتصاق بالصالحين :

إن تمسك المسلم بإخوانه وإحاطة نفسه بهم من أعظم أسباب الثبات عند الابتلاءات والمحن وقد قال ﷺ : ((**إنما يأكل الذئب من الغنم القاصية**)) (٢) ، فعليه الاستنارة بآراء إخوانه والتعاون معهم ، كما قال سبحانه : ﴿ **وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلاَ تَعَاوَنُوا عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ** ﴾(٣) .

٧ - أمثلة على الابتلاءات :

من خلال استعراضنا للكتب التي عرضت موضوع الابتلاء وموقف المسلم منه ، مررنا بالعديد من الأمثلة على الابتلاءات التي مرَّ بها الصالحون من الأنبياء وغيرهم ، وحسبنا في هذا العنصر أن نشير إليها ليتمكن المحاضر من الرجوع إليها عند التوسع .. فمن الابتلاءات :

أ - ابتلاء يوسف - عليه السلام :

المرجع - الابتلاءات والمحن في الدعوات ، ص ١٤١ – ١٥٧ ، المستفاد من قصص القرآن للدعوة والدعاة للدكتور عبدالكريم زيدان ، جـ ١ ، ص ٢٥٣ – ٣٠١ .

ب - ابتلاء أيوب - عليه السلام :

المرجع - الابتلاءات والمحن في الدعوات ، ص ٢٣ – ٢٦ .

جـ - ابتلاء غلام الأخدود :

المرجع - الابتلاءات والمحن في الدعوات ، ص ١٥٧ – ١٧٩ .

د – ابتلاء المسلمين في غزوة أحد :

المرجع - الابتلاءات والمحن في الدعوات ، ص ١٧٩ – ٢٠٣ ، زاد المعاد لابن القيم ، جـ ٣ ص ١٩٢ – ٢٤٢ .

هـ - ابتلاء إبراهيم - عليه السلام :

---

(١) سورة الفرقان [٣٢]
(٢) الحديث سيأتي تخريجه في مبحث الإخلاص ، وقد حسنه الألباني في المشكاة .
(٣) سورة المائدة [٢]

المرجع - الابتلاءات والمحن في الدعوات ، ص ٢٦ – ٣٥ ، المستفاد في قصص القرآن
جـ ١ - ص ٢٠٦ – ٢١٨ .

خامسا : بعض التطبيقات العملية المقترحة لتأكيد معاني الدرس :

١ - أن يضرب الطالب أمثلة من الواقع لصور الابتلاءات التي تتعرض لها الدعوة .
٢ - أن يحفظ الطالب أدعية مأثورة تُقال عند الهم والحزن والمرض وسائر ألوان الابتلاءات .
٣ - أن يتعاهد الطالب نفسه بالتوبة والاستغفار والمحاسبة اليومية .
٤ - أن يحضِّر كلمة أو درسا في الابتلاء (مثل : غلام الأخدود - أيوب عليه السلام - يوسف - عليه السلام) .
وقبل هذا كله ، أن يلاحظ المربي تصرف تلميذه عندما يصاب بالبلاء(شخصيًّا أو دعويا) وهذا لا يكون إلا من خلال المعايشة اليومية .
٥ - زيارة بعض الدعاة الذين ثبتوا عند الابتلاء والاستفادة من تجربتهم .

سادسا : قضايا ينبغي التنبيه إليها :

١ - التأكيد على أن المؤمن ينبغي أن يكون لصيقا بإخوانه حال ابتلائه .
٢ - التحذير من أن يكون من الذين يعبدون الله على حرف .
٣ - عدم المبالغة في تضخيم قضية الابتلاءات وصورها في الوقت الحاضر ؛ لأن المقصود تهيئة النفس لا تخويفها أو تيئيسها ((**بشروا ولا تنفروا**)) .
٤ - الإفادة من تجارب الآخرين في الابتلاءات التي مروا بها .

سابعا : بعض مراجع البحث :

١ - الابتلاء والمحن في الدعوات ، الدكتور محمد عبدالقادر أبو فارس .
٢ - قواعد الدعوة إلى الله ، الدكتور همام عبدالرحيم سعيد .
٣ - في ظلال القرآن ، سيد قطب .
٤ - طريق الدعوة في ظلال القرآن ، جمع أحمد فايز .
٥ - الصبر في القرآن ، القرضاوي .
٦ - ممرات الحق ، رائد عبدالهادي .
٧ - من ركائز الدعوة ، مجدي الهلالي .
٨ - زاد المعاد ، للإمام ابن القيم - رحمه الله - .
٩ - تهذيب مدارج السالكين ، عبدالمنعم العزي .
١٠ - نزهة المتقين شرح رياض الصالحين ، مصطفى الخن وآخرون .
١١ - لا تحسبوه شرا لكم ، عبدالعزيز الجليل .
١٢ - لسان العرب ، لابن منظور .
١٣ - فتح الباري ، لابن حجر .

١٤ - السلسلة الذهبية ، دار الأندلس .
١٥ - الجامع لأحكام القرآن ، للقرطبي .
١٦ - مختصر تفسير ابن كثير ، للصابوني .
١٧ - صحيح الإمام مسلم .
١٨ - السلسلة الصحيحة ، للألباني .
١٩ - المستفاد من قصص القرآن للدعوة والدعاة ، عبدالكريم زيدان ، مؤسسة الرسالة .
٢٠ - آفات على الطريق ، السيد محمد نوح ، دار الوفاء .
٢١ - العوائق ، الراشد ، مؤسسة الرسالة .
٢٢ - المشكاة ، للخطيب التبريزي ، المكتب الإسلامي .
٢٣ - المرقاة شرح المشكاة ، للقاري ، المكتبة التجارية .
٢٤ - صحيح الجامع الصغير وزياداته ، للألباني .

إخلاص

الإخلاص

أولا : دلالة المصطلح :

أ – لغة :

خَلَص – خُلُوصًا ، وخلاصًا : صفا وزال عنه شَوْبُه ، وأَخْلَصَ الشيءَ : أصفاه ونقَّاهُ من شَوْبه[1] .

فكلمة الإخلاص تدل على الصفاء والنقاء ، والتنزه عن الأخلاط[2] والأوشاب ، والشيء الخالص : هو الصافي الذي ليس فيه شائبة مادية أو معنوية .

قال ابن منظور : أخلص لله دينه : أمحضه ، وسميت سورة الإخلاص بذلك ؛ لأنها خالصة في صفة الله تعالى ، أو لأن اللافظ بها قد أخلص التوحيد لله - عز وجل .

وكلمة الإخلاص : كلمة التوحيد .

- وقوله تعالى : ﴿ **إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ** ﴾ [3]، وقرئ المُخْلِصِين ، فالمخلَصُون : المختارون ، والمخلِصون : الموحدون[4] .

ب - اصطلاحا : (شرعا) :

ذكر الإمام ابن القيم عدة تعريفات للإخلاص ، ومن أوجه هذه التعريفات : هو إفراد الحق - سبحانه- بالقصد في الطاعة[5]. قال ابن قدامة : « والإخلاص يضاده الإشراك ، فمن ليس مخلصا ، فهو مشرك ، إلا أن الشرك درجات ، فالإخلاص في التوحيد يضاده الشرك في الإلهية ، والشرك منه الجلي ، ومنه الخفي وكذلك الإخلاص[6]. قال ﷺ : « **أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر ، قالوا : وما الشرك الأصغر يا رسول الله ؟ قال : الرياء** »[7].

---

(1) المعجم الوجيز ، مجمع اللغة العربية ، مصر ، ط ١ ، ١٤٠٠ هـ .
(2) موسوعة أخلاق القرآن ، جـ٢ ، ص ١٧٣ .
(3) سورة يوسف [٢٤] .
(4) لسان العرب ، جـ ٢ ، ص ١٢٢٧ .
(5) تهذيب مدارج السالكين ، ص ٥١٥ .
(6) مختصر منهاج القاصدين ، ص ٣٩٩ – ٤٠٠ .
(7) رواه أحمد ، جـ ٥ ، ص٤٢٩ ، ٤٢٩ ، وابن حبان ، حديث رقم ٢٤٩٩ ، والبغوي في شرح السنة ، حديث رقم ٤١٣٥ ، وإسناده علي شرط مسلم ، من حديث محمود بن لبيد ، وهو في صحيح الترغيب والترهيب للألباني حديث رقم ٢٩ .

ثانيا : الأهداف :

١ - أن يعرف المسلم أهمية الإخلاص في قبول العمل عند الله - عز وجل .
٢ - أن يجاهد العبد نفسه لتحقيق الإخلاص في عمله وجهاده لله - تعالى- وابتغاء مرضاته من غير نظر إلى مغنم أو جاه ، وذلك بمعرفة أسباب الإخلاص والعمل بها .
٣ - أن يعرف العبد حكم العمل المشوب بشائبة رياء ابتداءً أو عرضا .
٤ - أن يتقي العبد الأسباب التي تشوش عليه إخلاصه .
٥ - أن يتخذ العبد السلف قدوة في إخلاصهم وفي دعوتهم وذلك من خلال مواقف عملية تجسد ما كانوا عليه من إخلاص نية وحسن طوية .
٦ - أن يعرف العبد ثمرات الإخلاص في الدنيا والآخرة مما يزيد من تعلقه به وحرصه عليه ومجاهدة نفسه للوصول إليه .

ثالثا : عناصر الموضوع :

١ - لماذا الحديث عن الإخلاص ؟ (أهمية الموضوع) .
٢ - النية وأثرها في الأعمال .
٣ - ثمرات الإخلاص .
٤ - هل أنت من المخلصين ؟ (صفات المخلصين) .
٥ - صور من إخلاص السلف في (عملهم ، خلقهم ، عبادتهم ، بذلهم وجودهم ، تضحيتهم وجهادهم ، ...) .
٦ - أحكام وتنبيهات حول الإخلاص .
٧ - السبيل إلى الإخلاص .

رابعا : العرض :

١ - لماذا الحديث عن الإخلاص ؟ ((أهمية الموضوع)) :

١ - ١ : إن الإخلاص من أهم أعمال القلوب ، وأعظمها قدرًا ، قال الإمام ابن القيم - رحمه الله -: ((أعمال القلوب هي الأصل ، وأعمال الجوارح تبع ومكملة ، وإن النية بمنزلة الروح ، والعمل بمنزلة الجسد)) ، فأعمال القلوب هي محل نظر الحق – عز وجل– كما قال النبي ﷺ : ((**إن الله لا ينظر إلى أجسادكم ولا إلى صوركم ، ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم**))[1] .

---

(1) رواه مسلم ، حديث رقم ٢٥٦٤ .

١ - ٢ : إن الإخلاص أحدُ شرطي قبول العمل ، قال الله تعالى : ﴿ **الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً** ﴾ (١)، قال الفضيل بن عياض :((هو أخلصه وأصوبه ، قالوا : يا أبا علي ما أخلصه وأصوبه ؟ فقال : إن العمل إذا كان خالصا ، ولم يكن صوابا ، لم يقبل ، وإذا كان صوابا ، ولم يكن خالصا ، لم يقبل ، حتى يكون خالصا صوابا ، والخالص : أن يكون لله ، والصواب أن يكون على السنة ، ثم قرأ قوله تعالى : ﴿ **فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا وَلاَ يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا**﴾ (٢) . بل ذهب الكثير من العلماء إلى أن الإخلاص شرط لصحة العمل ومن نص على ذلك العز بن عبدالسلام حيث قال : ((إخلاص العبادة شرط)) ، قال صِديق حسن خان : ((ولا خلاف في أن الإخلاص شرط لصحة العمل وقبوله)) (٣) .

١ - ٣ : إن الإخلاص يعظِّم العمل حتى يزن عند الله جبلا ، والرياء يحقر العمل العظيم فلا يزن عند الله هباءة ، فهو يرديه ويحبطه قال الله تعالى : ﴿ **وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنثُورًا**﴾ (٤) قال ابن القيم - رحمه الله - : ((وهي الأعمال التي كانت على غير السنة ، أو أريد بها غير وجه الله))(٥) . قال عبدالله بن مبارك : ((رب عمل صغير تكثِّره النية ، ورب عمل كثير تصغره النية))(٦) .

١ - ٤ : إن الإخلاص حصن المؤمن من نزغات الشياطين ، وفتن المضلين ، ألم تر أن الشيطان لا يستطيع على من تحصن بالإخلاص ، قال الله تعالى يخبرنا عنه : ﴿ **إِلاَّ عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ** ﴾(٧)؛ ولذلك قال معروف الكرخي - رحمه الله - : ((يا نفسي أخلصي تتخلصي))(٨).

١ - ٥ : إن الحديث عن الإخلاص والحث عليه وبيان أهميته وضرورته مما كان السلف يُعنون به ويُذكر بعضهم بعضا بالتزامه ، كتب عمر بن الخطاب إلى أبي موسى الأشعري – رضي الله عنهما – ((من خلصت نيته لله كفاه الله تعالى ما بينه وبين الناس)) كما اشتهر عن السلف أنهم كانوا يبتدئون مؤلفاتهم بحديث ((**إنما الأعمال**

(١) سورة الملك [٢] .
(٢) تهذيب المدارج ، ص ٥١٣ .
(٣) مقاصد المكلفين ، للأشقر ، ص ٣٧٧ .
(٤) سورة الفرقان [٢٣] .
(٥) تهذيب مدارج السالكين ، ص ٥١٤ .
(٦) نزهة الفضلاء ، ج٢ ، ص ٦٥٧ .
(٧) سورة ص [٨٣] .
(٨) الإحياء ، ج٤ ، ص٢٧٨ .

بالنيات)) .. تذكيرا بالإخلاص وإشارة إلى أهميته وتنبيها لطالب العلم إلى تصحيح نيته ،
قال عبدالرحمن بن مهدي : ((من أراد أن يصنف كتابا فليبدأ بهذا الحديث)) يعني حديث : ((**إنما الأعمال بالنيات**))(١) .

١ - ٦ : معاناة الكثير من الدعاة من شوائب مقاصدهم مما شغلهم عن سيرهم ، وأذهب بركة أعمالهم وحرمهم توفيق ربهم - عز وجل - فما أحوج الدعوة لجنود مخلصين .

١ - ٧ : إن تلويث الدعوة بأقذار الرياء ، يُذهب في نفوس الناس أثرها ، ويفقدها قيمتها ، ويخبت نورها وإشراقها ؛ ولذلك قال الرسل لقومهم كما حكى الله عنهم : ﴿ **وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ** ﴾(٢) .

١ - ٨ : إن معرفة حقيقة الإخلاص وأحكام العمل المشوب بالرياء من أكبر الأسباب المعينة على الإخلاص وإصلاح النيات ؛ ولذلك قال الإمام المقدسي - رحمه الله - : ((وليت شعري ، كيف تصلح نية من لا يعرف حقيقة النية ؟ أو كيف يخلص من صحح النية إذا لم يعرف حقيقة الإخلاص ؟ ! وكيف يطالب المخلص نفسه بالصدق إذا لم يتحقق معناه ؟))(٣) .

قال ابن جمرة : ((وددت أنه لو كان من الفقهاء من ليس له شغل إلا أن يعلم الناس مقاصدهم في أعمالهم ، ويقعد للتدريس في أعمال النيات ليس إلا ، فإنه ما أتى على كثير من الناس إلا من تضييع ذلك))(٤) .

٢ - النية وأثرها في الأعمال :

٢ - ١ : النية هي القصد إلى الشيء والعزيمة على فعله(٥) ، قال بعض أهل العلم : إن النية هى الإخلاص كما نقل ذلك شيخ الإسلام ((وإخلاص الدين هو النية))(٦) .

٢ - ٢ : أثر النية في الأعمال : قال الإمام المقدسي : ((واعلم أن الأعمال تنقسم إلى ثلاثة أقسام :

(١) نيل الأوطار ، ج ١ ، ص ١٥٦ .
(٢) سورة الشعراء [١٠٩] .
(٣) مختصر منهاج القاصدين ، أحمد المقدسي ، ص ٣٩٣ ، المكتب الإسلامي .
(٤) تطهير الطوية بتحسين النية ، ص ٥ ، وأنظر أيضا مقاصد المكلفين ، ص ٥ .
(٥) مقاصد المكلفين للأشقر ، ص ٢٣ .
(٦) الفتاوى ، ج ٢٦ ، ص ٣١ .

القسم الأول : المعاصي : فلا تتغير عن موضعها بالنية ، مثل أن يبني مسجدا بمال حرام يقصد بذلك الخير ، فإن النية لا تؤثر فيه .

القسم الثاني : الطاعات ، وهي مرتبطة بالنيات في أصل صحتها ، وفي تضاعف فضلها ، أما الأصل ، فهو أن ينوي عبادة الله تعالى لا غير ، فإن نوى الرياء صارت معصية ، وأما تضاعف الفضل ، فبكثرة النيات الحسنة ، فإن الطاعة الواحدة يمكن أن ينوي بها خيرات كثيرة ، فيكون له بكل نية ثواب . إذ كل واحدة منها حسنة ، ثم تضاعف كل حسنة عشر أمثالها .

مثال ذلك القعود في المسجد ، فإنه طاعة ، ويمكن أن ينوي بها نيات كثيرة : منها أن ينوي بدخوله انتظار الصلاة ، ومنها الاعتكاف وكف الجوارح ، فإن الاعتكاف كف ، ومنها دفع الشواغل الصارفة عن الله - تعالى - بالانقطاع إلى المسجد ، وإلى ذكر الله - تعالى - فيه ، ونحو ذلك ، فهذا طريق تكثير النيات ، فقس على ذلك سائر الطاعات ، إذ ما من طاعة إلا وتحتمل نيات كثيرة .

القسم الثالث : المباحات ، فما من شيء من المباحات إلا ويحتمل نية أو نيات تصير بها قربات ، وينال بها معالي الدرجات ، فما أعظم خسران من يغفل عنها ويتعاطاها تعاطي البهائم المملة .

ولا ينبغي أن يحتقر العبد الخطوات واللحظات ، فكل ذلك يسأل عنه في القيامة ، لم فعله ؟ وما الذي قصد به ؟

مثال ما ينوي به القربة من المباحات أن يتطيب ، وينوي بالطيب اتباع السنة ، واحترام المسجد ، ودفع الروائح الكريهة التي تؤذي مخالطيه .

وقال بعض السلف : « إني لأستحب أن يكون لي في كل شيء نية ، حتى في أكلي وشربي ونومي ودخولي الخلاء ، وكل ذلك مما يمكن أن يقصد به التقرب إلى الله تعالى ؛ لأن كل ما هو سبب لبقاء البدن وفراغ القلب من مهمات الدين مطلوب شرعا ، فمن قصد من الأكل التقوي على العبادة ، ومن النكاح تحصين دينه ، وتطييب قلب أهله ، والتوصل إلى ولد يعبد الله بعده ، أثيب على ذلك كله ، ولا تحتقر شيئًا من حركاتك وكلماتك ، وحاسب نفسك قبل أن تحاسب ، وصحح نيتك قبل أن تفعل ما تفعله ، وانظر في نيتك فيما تتركه أيضا »[١] .

٣ - ثمرات الإخلاص :

٣ - ١ : قبول الأعمال :

---

(١) مختصر منهاج القاصدين ، ص ٣٩٥ – ٣٩٦ مختصرا ، للتوسع انظر مقاصد المكلفين للأشقر ، ص ٤٨٩ – ٥١١ .

فإن الإخلاص شرط قبول العمل عند الله ؛ ولهذا قال ﷺ : ((**إن الله – عز وجل – لا يقبل من العمل إلا ما كان له خالصا وابتغي به وجهُه**)) [١] .

٣ ـ ٢ : النصر والتمكين :

فإن من أعظم أسباب النصر والتمكين لأهل الإيمان على أعدائهم إخلاصهم لله ـ عز وجل ـ قال رسول الله ﷺ : ((**إنما ينصر الله هذه الأمة بضعيفها ؛ بدعوتهم وصلاتهم وإخلاصهم**))[٢] ، فالإخلاص سبب عظيم من أسباب النصر ، وسلفنا الصالح لم ينتصروا إلا بقوة إيمانهم وزكاة نفوسهم وإخلاص قلوبهم وعملهم بعقيدة جعلوا كل شيء وقفا عليها فكانت حركاتهم وسكناتهم وفقا لها .. ولما كان مريض القلب معلول الغاية مستور المطامع ، مجروح الماضي حاجزا دون النصر كان لابد من سنة الابتلاء التي يُنقَّى فيها الصف ، قال تعالى : ﴿**مَا كَانَ اللهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ**﴾[٣] .

٣ ـ ٣ : نقاء القلب من الحقد والغل والخيانة :

إذا حلَّ الإخلاص في قلب امرئ هذَّبه ونظفه من الآفات والأدغال وصانه من سيئ الخلال ، قال ﷺ في حجة الوداع : ((**ثلاث لا يُغل عليهن قلب امرئ مؤمن : إخلاص العمل لله ، والمناصحة لأئمة المسلمين ولزوم جماعتهم ، فإن دعاءهم يحيط من ورائهم**)) [٤] والغل هو : الحقد والشحناء ؛ أي لا يدخله حقد يزيله عن الحق ، قال الإمام ابن القيم ـ رحمه الله ـ : ((أي لا يبقى فيه غل ، ولا يحمل الغل مع هذه الثلاثة ، بل تنفي عنه غله ، وتنقيه منه ، وتخرجه عنه ، فإن القلب يغل على الشرك أعظم غل ، وكذلك يغل على الغش، وعلى خروجه عن جماعة المسلمين بالبدعة والضلالة ، فهذه الثلاثة تملؤه غلا ودغلا، ودواء هذا الغل ، واستخراج أخلاطه بتجريد الإخلاص والنصح ، ومتابعة السنة))[٥] .

٣ ـ ٤ : مغفرة الذنوب :

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية : ((والنوع الواحد من العمل قد يفعله الإنسان على وجه يكمل فيه إخلاصه وعبوديته لله ، فيغفر الله به كبائر في حديث البطاقة .. فهذه

---

(١) أخرجه النسائي كتاب الجهاد برقم ٣٠٨٩ ، وقال الألباني : إسناده جيد كما في صحيح الترغيب والترهيب رقم ٦ .

(٢) رواه النسائي وغيره ، وهو في البخاري وغيره دون ذكر الإخلاص ، صحيح ، انظر المرجع السابق حديث رقم ٥ .

(٣) سورة آل عمران [١٧٩] .

(٤) رواه الترمذي ، كتاب العلم ، حديث رقم ٢٥٨٢ ، وابن ماجة في المقدمة ، حديث رقم ٢٢٨ ، وصححه الألباني كما في صحيح الترغيب والترهيب ، رقم ٣ .

(٥) تهذيب المدارج ، ص ٥١٤ .

حال من قالها بإخلاص وصدق ، كما قالها هذا الشخص ، وإلا فأهل الكبائر الذين دخلوا النار كلهم يقولون التوحيد ، ولم يترجح قولهم على سيئاتهم كما ترجح قول صاحب البطاقة)) .

ثم ذكر ابن تيمية حديث البغِيّ التي سقت كلبا فغفر الله لها ... والرجل الذي أماط الأذى عن الطريق فغفر الله له ، ثم قال : ((فهذه سقت الكلب بإيمان خالص كان في قلبها فغفر لها ، وإلا فليس كل بغي سقت كلبا يغفر لها .. فالأعمال تتفاضل بتفاضل ما في القلوب من الإيمان والإجلال))[١] .

٣ - ٥ : قَلبُ المباحات إلى طاعات[٢] :

فإخلاص النية يرتفع بالعمل الدنيوي البحت فيجعله عبادة متقبلة ، كما جاء في الحديث قوله ﷺ : ((**وفي بضع أحدكم صدقة قالوا : يا رسول الله ، أيأتي أحدنا شهوته ويكون له فيها أجر؟ قال** : **أرأيتم لو وضعها في حرام أكان عليه وزر؟ فكذلك إذا وضعها في الحلال كان له أجر**))[٣] .

والبضع : يطلق على الجماع ويطلق على الفرج نفسه ، وظاهر الحديث يدل على أنه يؤجر في إتيانه أهله من غير نية ، ذهبت طائفة من أهل العلم للقول بذلك ، ولكن الصحيح أن الحديث مقيد بإخلاص النية لله - عز وجل - وذلك لقوله ﷺ :((**إنك لن تنفق نفقة تبتغي بها وجه الله إلا أجرت عليها ، حتى ما تجعل في فِي امرأتك**))[٤] فينبغي للعبد أن يقصد بجماعه إعفاف نفسه وزوجته عن الزنا ومقدماته ، أو قضاء حق الزوجة بالمعاشرة بالمعروف ، أو طلب ولد صالح يعبد الله - عز وجل - حتى يكون له بجماع أهله صدقة .

وبهذا الحديث ، استدل من ذهب إلى القول : بأن المباحات تصير بالنيات طاعات .

قال النووي - يرحمه الله - عند شرح هذا الحديث : ((وفي هذا دليل على أن المباحات تصير طاعات بالنيات الصادقات ، فالجماع يكون عبادة إذا نوى به قضاء حق الزوجة ومعاشرتها بالمعروف الذي أمر الله به ، أو طلب ولد صالح ، أو إعفاف نفسه أو إعفاف الزوجة ومنعهما من النظر إلى الحرام ، أو الفكر فيه ، أو الهم به أو

---

(١) نقلاً عن كتاب الإخلاص ، والشرك الأصغر ، لعبد العزيز العبد اللطيف ، ص ٦ - ٧ .
(٢) انظر للتوسيع مقاصد المكلفين ، ص ٤٩١ – ٤٩٨ .
(٣) رواه مسلم ، في الزكاة ، باب بيان أن اسم الصدقة يقع على كل نوع من المعروف ، حديث رقم ١٠٠٥ .
(٤) حديث إنك لن تنفق نفقة .. ، رواه البخاري كتاب الإيمان ، باب ٤١ ، ج١ ، ص ٢٠ .

غير ذلك من المقاصد الصالحة))[1] .

والحق أن المرء ما دام قد أسلم لله وجهه وأخلص نيته ، فإن حركاته وسكناته ونوماته ويقظاته ، تحتسب خطوات إلى مرضاة الله .

وكما أن الإخلاص يرفع المباحات إلى منزلة الطاعات فإن الرياء يهبط بالطاعات المحضة فيقلبها معاصي شائنة ، كما في حديث الثلاثة الذين تسَّعر بهم النار .

٣ ـ ٦ : تنفيس الكروب ، وإجابة الدعاء :

تبدو هذه الثمرة جلية في حديث الثلاثة الذين أووا إلى الغار فانحدرت صخرة من الجبل فسدت عليهم الغار ، فقالوا : إنه لا ينجيكم من هذه الصخرة إلا أن تدعوا الله بصالح أعمالكم . فكان كل واحد منهم بعد أن يذكر عملا صالحا قام به يقول : ((**اللهم إن كنتُ فَعْلَتُ ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا ما نحن فيه ، فانفرجت الصخرة ، وخرجوا يمشون**)) ، والحديث أصله في الصحيحين .

٣ ـ ٧ : قلة الوساوس والأوهام :

الوسوسة[2] من الشيطان وكيده ، ولما حفظ الله المخلصين من أن يكون للشيطان عليهم سلطان قلت وسوسته فخنس ، قال الله تعالى عن الشيطان : ﴿ **قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الأَرْضِ وَلأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ * إِلاَّ عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ** ﴾[3]، قال أبو سليمان الداراني : ((إذا أخلص العبد انقطعت عنه كثرة الوساوس والرياء))[4] .

٣ ـ ٨ : الظفر بالحكمة ونفاذ البصيرة :

وهذه ثمرة في غاية الأهمية لما يترتب عليها من إصابة الحق في الأمور المشكلة بل وحماية الصف من الأدعياء والدخلاء[5] ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَتَّقُوا اللّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا** ﴾[6]، قال مكحول :((ما أخلص عبد قط أربعين يوما إلا ظهرت ينابيع

---

(1) صحيح مسلم ، بشرح النووي ، ج٣ ، ص ٤٤ ، انظر أيضا قواعد وفوائد من الأربعين النووية ، ناظم سلطان ، ص٢٢٦ـ٢٢٧ .
(2) الوسوسة : دعاء الشيطان لطاعته بكلام خفي ، يصل مفهومه إلى القلب من غير سماع صوت ، انظر تفسير القرطبي ج٠ ٢ ، ص ٢١٣ .
(3) سورة الحجر [٣٩ ـ ٤٠] .
(4) تهذيب المدارج ، ص ٥١٦ .
(5) توجيهات نبوية ، ج ٢ ، ص ٢٦٠ .
(6) سورة الأنفال [١٢٩] .

الحكمة من قلبه على لسانه))(١).

٣ - ٩ : إدراك الأجر وإن عجز عن العمل :

صاحب النية الخالصة قد يعجز عن عمل الخير الذي يصبو إليه ، لقلة ماله أو ضعف صحته ، ولكن الله المطلع على خبايا النفوس يرفع الحريص على الإصلاح إلى مراتب المصلحين ، والراغب في الجهاد إلى مراتب المجاهدين ؛ لأن بُعد همتهم وصدق نيتهم أرجح لديه من عجز وسائلهم ! ! .

حدث في غزوة العسرة ، أن تقدم إلى رسول الله ﷺ رجال يريدون أن يقاتلوا الكفار
معه ، وأن يجودوا بأنفسهم في سبيل الله ، غير أن الرسول ﷺ لم يستطع تجنيدهم ، فعادوا وفي حلوقهم غصة ، لتخلفهم عن الميدان وفيهم نزل قوله - عز وجل - : ﴿ **وَلاَ عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لاَ أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلاَّ يَجِدُوا مَا يُنْفِقُونَ** ﴾(٢) .

أترى أن الله يهدر هذا اليقين الراسخ ، وهذه الرغبة العميقة في التضحية ؟ كلا ! ولذلك نوَّه النبي ﷺ بإيمان أولئك القوم وإخلاصهم .

فقال للجيش السائر : ((**إن أقواماً خلفنا بالمدينة ، ما سلكنا شعبًا ولا واديًا إلا وهم معنا ، حبسهم العذر** !!)) . رواه البخاري ، وفي رواية لمسلم : ((**إلا شركوكم في الأجر**)) .

إن النية الصادقة سجلت لهم ثواب المجاهدين ؛ لأنهم قعدوا راغمين (٣) ، قلت : ويدل على ذلك أيضا قوله ﷺ : ((**من سأل الله الشهادة بصدق بلغه الله منازل الشهداء ، وإن مات على فراشه**)) (٤) .

٣ - ١٠ : إدراك الأجر وإن أخطأ في الاجتهاد ولم يصل إلى المراد :

---

(١) تهذيب المدارج ، ص ٥١٦ .
(٢) سورة التوبة [٩٢] .
(٣) خلق المسلم للغزالي ، ص ١١٣ – ١١٤ ، وانظر أيضا حديث أبي كبشة الأغاري مرفوعا : ((إنما الدنيا لأربعة ، عبد رزقه الله مالا وعلما فهو يتقي فيه ربه ، ويصل فيه رحمه ، ويعلم لله فيه حقا ، فهذا بأفضل المنازل ، وعبد رزقه الله علما ، ولم يرزقه مالا ، فهو صادق النية ، يقول : لو أن لي مالا لعملت بعمل فلان ، فهو بنيته ، فأجرهما سواء)) ، صحيح الترغيب ، ص ١٣٠ .
(٤) رواه مسلم ، ج ٣ ، ص ١٥١٧ ، حديث رقم ١٩٠٩ .

ما أعظم فضل الله على المخلصين ، فالمخلص يثاب وإن أخطأ في الاجتهاد ، ومما يدل على ذلك حديث أبي هريرة في الرجل الذي تصدق على زانية وعلى غني وعلى سارق ، فقيل له : ((**أمَّا صدقتك فقد قُبِلَت**)) (١) ، وكذلك حديث أبي يزيد معن بن يزيد – رضي الله عنهما – قال : كان أبي يزيد قد أخرج دنانير يتصدق بها فوضعها عند رجل في المسجد ، فجئت فأخذتها ، فأتيته بها ، فقال : والله ما إياك أردت ، فخاصمته إلى رسول الله ﷺ فقال : ((**لك ما نويت يا يزيد ، ولك ما أخذت يا معن**)) (٢) .

٣ - ١١ : ثمرات أخرى :

أ – النجاة من الفتن :

قال الله تعالى عن نبيه يوسف – عليه السلام - : ﴿ **وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلاَ أَن رَّأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ** ﴾ (٣) ، ففي قوله تعالى : ﴿ **الْمُخْلَصِينَ** ﴾ قراءتان بالفتح والكسر .

(راجع سورة الصافات وتأمل في نعمة الله على أنبيائه وأوليائه في صرف السوء عنهم والانتصار لهم) .

ب – الفوز بالنعيم المقيم في جنات النعيم :

يقول الحق – عز وجل - : ﴿ **إِلاَّ عِبَادَ اللهِ الْمُخْلَصِينَ * أُولَئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَّعْلُوم * فَوَاكِهُ وَهُم مُّكْرَمُونَ * فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ** ﴾ (٤) ، فيا له من ثواب جليل ونعيم عظيم (٥) .

ج – محبة الله – عز وجل – للمخلص :

قال ﷺ : ((**إن الله يحب العبد التقي النقي الخفي**)) .

د – مضاعفة الحسنات :

فقد ذكر بعض أهل العلم أن مضاعفة الحسنات من عشرة أضعاف إلى سبعمائة

---

(١) رواه البخاري ، ج ٢ ، ص ١٣٧ ، ومسلم ، ج٢ ، ص ٧٠٩ .
(٢) رواه البخاري ، ج٢ ، ص١٣٨ .
(٣) سورة يوسف [٢٤] .
(٤) سورة الصافات [٤٠ - ٤٣] .
(٥) انظر أخلاق القرآن للشرباصي ، ج ٢ ، ص ١٧٩ – ١٨١ .

ضعف إلى أضعاف كثيرة يعود إلى « الإخلاص الكامن في أطواء الصدور وهو ما لا يطلع عليه إلا عالم الغيب والشهادة ، فعلى قدر نقاء السريرة ، وسعة النفع تكتب الأضعاف » (١) .

هـ – الإظلال في ظل الله – عز وجل :

ففي حديث السبعة ذَكر رجلين مخلصين يظلهما الله في ظله ، أحدهما : تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما أنفقت يمينه ، والآخر : ذكر الله خاليًا ففاضت عيناه .

٣ - ١٢ : تثبيت الله للمخلصين :

« إذا وجد الإخلاص فلا يباع العبد ولا يشترى ، ولنا في رسول الله ﷺ خير قدوة عندما جاءت قريش تساوم النبي ﷺ على أمر دينه (إن كنت تريد بهذا الأمر مالا جمعنا لك الأموال حتى تكون أغنانا ، وإن كنت تريد به ملكا ملكناك علينا ، وإن كنت تريد به شرفا سودناك علينا ، حتى لا نقطع أمرا دونك) ، ويضع الرسول ﷺ كل هذا تحت قدميه ، بل يقول لعمه : « **والله يا عم لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر ما تركته حتى يظهره الله أو أهلك دونه** » وكم من الدعاة سقطوا في هذا الاختبار باعوا آخرتهم بدنياهم أو بدنيا غيرهم ، فأمسوا دعاة إلى الله وأصبحوا دعاة إلى الباطل ، وأبواقا له ، ويأبى الله إلا أن يطهر الطريق من كل نفعي يريد الدنيا بعمل الآخرة » (٢).

٤ - هل أنت من المخلصين ؟ (صفات المخلصين) :

هذه بعض العلامات التي ذكرها بعض أهل العلم وتميز المخلص عن غيره ، فاعرضها على قلبك وزن بها أعمالك لكي ترى هل أنت من المخلصين حقا ! ! .

٤ - ١ : يريدون وجه الله :

لقد وصف الله المخلصين في كتابه فقال – عز وجل : ﴿ **وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ** ﴾ (٣). قال الشوكاني : « يريدون بدعائهم رضى الله سبحانه »(٤)، فلا يريدون بعملهم مغنما ولا منصبا ولاعرضا من عروض

---

(١) رواه مسلم ، ج ٣ ، ص ٢٢٧٧ ، رقم الحديث ٢٩٦٥ .
(٢) المنهاج ، ج١ ، ص ١٣٤ .
(٣) سورة الكهف [٢٨] .
(٤) فتح القدير ، ج ٣ ، ص ٢٨٧ ، ط ١ ، دار الوفاء .

الدنيا الزائلة ومتاعها الرخيص . جاء أعرابي إلى رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله ، الرجل يقاتل حمية والرجل يقاتل شجاعة ، والرجل يقاتل ليرى مكانه فأيهم في سبيل الله . فقال ﷺ :
« **من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله** » (١) « **ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه** » (٢) .

٤ ـ ٢ : عمل الخلوة أحب إليهم من عمل الجلوة :

ولذلك تجد المخلصين أحرص على إخفاء صالح أعمالهم منا على كتمان ذنوبنا ؛ يقول التابعي أيوب السختياني : « والله ما صدق عبد إلا سرَّه ألا يشعر بمكانه » (٣) ، يقول عنه المحدث الثقة حماد بن زيد : « كان أيوب ربما حدث بالحديث ، فيرق فيلتفت فيتمخط ويقول : ما أشد الزكام » (٤) ، يُظْهِر أنه مزكوم لإخفاء البكاء ، رجاءة أن يكون ممن يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله .

فإذا أعيا أحدهم اصطناع المرض لإخفاء الدموع فإنه يقوم خشية أن يكشف أمره ، هذا ما ذكره الإمام البصري إذ يقول : « إن كان الرجل ليَجلِس المجلسَ فتجيئه عبرتُهُ فيردها فإذا خشي أن تسبقه قام » (٥) .

وحرصا منهم على هذه الصفة ، كان أحدهم كما يقول التابعي محمد بن واسع : « إن كان الرجل ليبكي عشرين سنة وامرأته معه لا تعلم » (٦) ، أي مبالغة هذه بالإخلاص ، وأي درجة من الإخفاء هذه ، تجعل زوجته وهي أقرب الناس إليه ، لا تعلم عن بكائه وهو يناجي ربه بالليل منذ عشرين سنة لشدة خوفهم من الرياء(٧) .

وقال الإمام ابن القيم في تعريف الإخلاص : « وقال بعضهم : الإخلاص أن لا تطلب على عملك شاهدا غير الله ، ولا مجازيا سواه » (٨) .

٤ ـ ٣ : باطنهم أعمر من ظاهرهم :

فليسوا ممن يظهرون التنسك في ملبسهم ومأكلهم أمام الناس ، فإذا خلوا بمحارم

(١) متفق عليه ، البخاري ، ج١ ، ص ٤٣ ، ومسلم في الإمارة ، ص ١٤٩ .
(٢) متفق عليه ، البخاري ، ج١ ، ص ٢ ، ومسلم في الإمارة ، ص ١٥٥ .
(٣) صفة الصفوة ، ص ٢٩٤ .
(٤) صفة الصفوة ، ص ٢٩٥ .
(٥) الزهد للإمام أحمد ، ص ٢٦٢ .
(٦) صفة الصفوة ، ج ٣ ، ص ٢٦٩ .
(٧) واحات الإيمان ، البلالي ، المجموعة الأولى ، ص ٣٦ .
(٨) تهذيب مدارج السالكين ، ص ٥١٦ .

الله انتهكوها قال رسول الله ﷺ : ((**لأعلمن أقواما من أمتي يأتون يوم القيامة بحسنات أمثال جبال تهامة بيضا فيجعلها الله هباءً منثورا**)) ، قال ثوبان : يا رسول الله صفهم لنا ، جلهم لنا ، أن لا نكون منهم ونحن لا نعلم . قال ﷺ : ((**أما إنهم إخوانكم ، ومن جلدتكم ويأخذون من الليل كما تأخذون ولكنهم أقوام إذا خلوا بمحارم الله انتهكوها**)) (١).

((إذا فقد الإخلاص فلا يبقى إلا الرسومُ والصورُ ، والهيئاتُ والأشكالُ التي تخفي وراءها فساد الخلق ، ظاهرها الرحمة وباطنها العذاب)) (٢) .

قال الربيع بن خثيم - رحمه الله - في الحث على الاهتمام بالسرائر ، وتطهير الضمائر : ((السرائر اللاتي يخفين من الناس وهن لله بواد ، التمسوا دواءهُنَّ وما دواؤهن إلا أن يتوب ثم لا يعود))(٣).

٤ - ٤ : همهم خدمة الدعوة (٤) في أي موقع كانوا :

همهم طاعة ربهم ورضاه عنهم ثم لا يبالون بعد ذلك في مقدمة القافلة كانوا أم في مؤخرتها ما داموا في إعلاء كلمة الله مجاهدين وفي نصرة دعوته عاملين دائبين . قال ﷺ عنهم : ((**طوبى لعبد آخذ بعنان فرسه في سبيل الله ، أشعث رأسه ، مغبرة قدماه ، إن كان في الحراسة كان في الحراسة ، وإن كان في الساقة كان في الساقة**)) (٥).

٤ - ٥ : خائفون من عدم القبول :

مع كثرة أعمالهم الصالحة إلا أن المخلصين خائفون من عدم قبولها ، كما وصفهم الله - عز وجل: ﴿ وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ ﴾ ، قال ﷺ لعائشة وقد سألته فقال ﷺ : ((**الذين يصومون ويصلون ويتصدقون وهم يخافون ألا يقبل منهم أولئك الذين يسارعون في الخيرات**)) (٦) .

قال الحسن : ((يؤتون الإخلاص ويخافون ألا يقبل منهم)) .. وقال - رحمه الله -

---

(١) رواه ابن ماجة ، كتاب الزهد ، حديث رقم ٤٢٣٥ ، بإسناد صحيح ، قال البوصيري في الزوائد ، ق ٢٦٢ / ١ : وهذا إسناد صحيح ، انظر الصحيحة للألباني ، حديث رقم ٥٠٥ .
(٢) انظر المنهاج ، ج ١ ، ص ١٣٤ – ١٣٥ .
(٣) نزهة الفضلاء ، ج ١ ، ص ٣٨٠ .
(٤) انظر للتوسع مقاصد المكلفين ، ص ٤٧٣ .
(٥) أخرجه البخاري ، ج ٤ ، ص ٤١ كتاب الجهاد ، باب الحراسة في الغزو في سبيل الله .
(٦) رواه الترمذي ، كتاب تفسير القرآن ، رقم ٣٠٩٩ ، وابن ماجة ، كتاب الزهد ، رقم ٤١٨٨ ، وأورده الألباني في الصحيحة ، رقم ١٦٢ ، وانظر جامع الأصول ، ج ٢ ، ص ٢٤٤ .

:
((لقد أدركنا أقواما كانوا من حسناتهم أن تُرَدَّ عليهم أشفق منكم على سيئاتكم أن تعذبوا عليها))(١) .

٥ - صور من إخلاص السلف :

٥ - ١ : الماوردي لم يظهر شيئا من تصانيفه في حياته :

((إخلاصهم في العلم)) فقد جاء في ترجمة الإمام الماوردي : ((إنه لم يِظهر شيئا من تصانيفه في حياته ، وإنما جمعها كلها في موضع ، فلما دنت وفاته قال لشخص يثق إليه : الكتب التي في المكان الفلاني كلها تصنيفي ، وإنما عاينت الموت ووقعت في النزع فاجعل يدك في يدي ، فإن قبضت عليها وعصرتها فاعلم أنهم لم يقبل مني شيء منها ، فاعمد إلى الكتب وألقها في دجلة ليلا ، وإن بسطت يدي ولم أقبض على يدك فاعلم أنها قبلت وإني قد ظفرت بما كنت أرجوه من النية الخالصة . قال ذلك الشخص : فلما قارب الموت وضعت يدي في يده فبسطها ولم يقبض على يدي ، فعلمت أنها علامة القبول فأظهرت كتبه بعده))(٢) . كتب قد قضى عمره كله في كتابتها ، يسهر الليالي ويحرم نفسه من النوم ، ثم يود بعد ذلك كله بأن تلقى في نهر دجلة خوفا من الرياء .

٥ - ٢ : لا تستعبده دنيا ولا تستأسره شهوة :

((إخلاصهم في خلقهم (الأمانة))) قال الطبري في تاريخه ، ج ٤ ، ص ١٦ : ((لما هبط المسلمون المدائن ، وجمعوا الأقباط ، أقبل رجل بحق معه ، فدفعه إلى صاحب الأقباط ، فقال والذين معه : ما رأينا مثل هذا قط ، ما يعدله عندنا ، ولا يقاربه ، فقالوا : هل أخذت منه شيئا ؟ فقال : أما والله لولا الله ما أتيتكم به ، فعرفوا أن للرجل شأنا ، فقالوا : من أنت ؟ فقال : لا والله لا أخبركم لتحمدوني ، ولا غيركم ليقرظوني ، ولكني أحمد الله ، وأرضى بثوابه ، فأتبعوه رجلا حتى انتهى إلى أصحابه ، فسأل عنه ، فإذا هو عامر بن عبد قيس))(٣).

٥ - ٣ : إخلاصهم في البذل والصدقة ومساعدة أصحاب الحاجات :

عن أبي حمزة الثمالي ، أن علي بن الحسين كان يحمل الخبز بالليل على ظهره يتبع به المساكين في الظلمة ، ويقول : إن الصدقة في سواد الليل تطفِئ غضب الرب . وعن محمد بن إسحاق : ((كان ناس من أهل المدينة يعيشون ، لا يدرون من أين

(١) الجامع لأحكام القرآن ، القرطبي ، ج ١٢ ، ص ١٣٢ .
(٢) وفيات الأعيان ، ج ٣ ، ص ٢٨٢ ، نقلا عن كتاب واحات الإيمان المجموعة الأولى ، ص ٣٧ .
(٣) توجهات نبوية ، ج ٢ ، ص ٢٦٤ – ٢٦٥ .

كان معاشهم ، فلما مات علي بن الحسين ، فقدوا ذلك الذي كانوا يؤتون بالليل . وعن عمرو بن ثابت ، لما مات عليّ وجدوا بظهره أثرًا مما كان ينقل الجرب بالليل إلى منازل الأرامل .. وقال شيبة بن نعامة : لما مات عليٌّ وجدوه يعول مائة أهل بيت . قلت : لهذا كان يُبَخَّل ، فإنه ينفق سرا ويظن أهله أنه يجمع الدراهم » [1] .

٥ ـ ٤ : إخلاصهم في عبادتهم (الصلاة ـ الصيام ـ ....) :

ففي الصلاة مثلا قالت امرأة حسان بن سنان : كان يجيء – أي حسان – فيدخل معي في فراشي ، ثم يخادعني كما تخادع المرأة صبيها فإذا علم أني نمت سلَّ نفسه فخرج ، ثم يقوم فيصلي ، قال : فقلت له : يا أبا عبدالله ، كم تعذب نفسك ، ارفق بنفسك ، فقال : اسكتي ويحك ، فيوشك أن أرقد رقدة لا أقوم منها زمانا [2] . وعن بكر بن ماعز قال : ما رُئي الربيع متطوعا في مسجد قومه قط إلا مرة واحدة[3].

وفي الصيام : فمن أعجب المواقف ما ذكره الذهبي في السير ، قال الفلاس : سمعت ابن أبي علي يقول : صام داود بن أبي هند أربعين سنة لا يعلم به أهله ، كان خزازا يحمل معه غذاءه فيتصدق به في الطريق[4]. وكان بعضهم إذا أصبح صائما ادَّهن ، ومسح شفتيه من دهنه ، حتى ينظر إليه الناظر ، فلا يرى أنه صائم[5]. وفي قراءة القرآن ذكر ابن الجوزيعن سفيان قال : أخبرتني مريَّة الربيع بن خثيم ، قالت : ((كان عمل الربيع كله سرا ، إن كان ليجيء الرجل وقد نشر المصحف ، فيغطيه بثوبه ، أي إذا قدم الرجل على الربيع قام الربيع فغطى المصحف بثوبه حتى لا يرى الرجل أنه يقرأ القرآن)) [6].

٥ ـ ٥ : إخلاصهم في دعوتهم وجهادهم :

حديث الأعرابي في غزوة خيبر عن شداد بن الهاد : « أن رجلا من الأعراب ، جاء إلى النبي ﷺ فآمن به واتبعه ، ثم قال : أهاجر معك ، فأوصى به النبي ﷺ بعض أصحابه ، فلما كانت غزوة خيبر غنم النبي ﷺ فيها شيئا ، فقسم ، وقسم له ، فأعطى أصحابه ما قسم له ، وكان يرعى ظهرهم ، فلما جاءهم دفعوه إليه ، فقال : ما هذا ؟ قالوا : قسم لك النبي ﷺ ، فأخذه فجاء به إلى النبي ﷺ ، فقال : ما هذا ؟ قال ﷺ : « **قسمته**

---

(1) نزهة الفضلاء ، ج ١ ، ص ٤٠٦ – ٤٠٧ .
(2) حلية الأولياء ، ج ٣ ، ص ١١٧ .
(3) السير ، ج ٤ ، ص ٢٦١ .
(4) حلية الأولياء ، ج ٣ ، ص ٩٤ .
(5) الزهد لوكيع ، برقم ٣٤٤ .
(6) صفة الصفوة ، ج ٣ ، ص ٣٨ . والسير ، ج٤ ، ص ٢٦٠ ، الأخفياء ، إبراهيم الدويش ، ص ٣٠ – ٣١ .

لك ›› ، قال : ما على هذا تبعتك ، ولكن اتبعتك على أن أُرمى إلى هاهنا – وأشار إلى حلقه – بسهم فأموت ، فأدخل الجنة ، فقال ﷺ : ‹‹ **إن تَصْدُق الله يَصْدُقك** ›› ، فلبثوا قليلا ، ثم نهضوا في قتال العدو ، فأُتِيَ به النبيُّ ﷺ يُحْمَل ، قد أصابه سهم حيث أشار ، فقال النبي ﷺ : ‹‹ **أهو هو** ؟ ›› ، قالوا : نعم ، قال : ‹‹ **صدق الله فصدقه** ›› ، ثم كفنه النبي في جبته ﷺ ، ثم قدمه فصلى عليه ، فكان فيما ظهر من صلاته : ‹‹ **اللهم هذا عبدك ، خرج مهاجرا في سبيلك ، فقتل شهيدا ، وأنا شهيد على ذلك** ›› [1] .

٦ - أحكام وتنبيهات حول الإخلاص :

٦ - ١ : سرور العبد عند ثناء الناس عليه ، هل يقدح إخلاصه ؟

من الأمور التي لا تُعد من الرياء في شيء : حمد الناس للعبد على عمل الخير دون قصد منه ... فإذا دخل العبد في عمل الخير بإخلاص ، وخرج منه بإخلاص ، فأطلع الله عليه خلقه ، والعبد لا يحب إطلاعهم ، فيُسر بصنع الله عليه فهذا السرور ليس من الرياء .. ﴿ **قُلْ بِفَضْلِ اللهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ** ﴾[2] .. عن أبي ذر قال : (يا رسول الله .. أرأيت الرجل يعمل العمل من الخير يحمده الناس عليه ؟ فقال ﷺ : ‹‹ **تلك عاجل بشرى المؤمن** ››) [3] . وهكذا يفر المخلص من الشهرة ويكرهها ، ولكن الله يضع له القبول في الأرض ، فيُسر العبد بهذا الفضل الرباني .. وأما المرائي فإنه يركب الصعب والذلول ليحظى بالقبول وأنَّى له هذا .. وفي الحديث : ‹‹ **من سمَّع الناس بعمله .. سمَّع الله به مسامع خلقه ، وصغَّره وحقَّره** ›› [4] .

٦ - ٢ : هل نشاط العبد في عمل الخير عند رؤية العابدين ومجالسة الصالحين يُعد رياءً ؟

قال المقدسي - رحمه الله - : ‹‹ قد يبيت الرجل مع المتهجدين ، فيصلون أكثر الليل ، وعادته قيام ساعة ، فيوافقهم ، أو يصومون فيصوم ، ولولاهم ما انبعث هذا

---

[1] رواه النسائي ، ج ١ ، ص ٢٧٧ ، والطحاوي ، في شرح المعاني ، ج ١ ، ص ٢٩١ ، وغيرهما وصححه الألباني ، في أحكام الجنائز ، ص ٦١ .
[2] سورة يونس [٥٨] .
[3] رواه مسلم ، كتاب البر والصلة ، ص ١٦٦ .
[4] صحيح الترغيب ، حديث رقم ٢٣ ، انظر الرياء ذمه وأثره السيئ في الأمة ، ص ٥٣ – ٥٩ .

النشاط .. فربما ظن ظانٌ أن هذا رياء ، وليس كذلك على الإطلاق ، بل فيه تفصيل : وهو أن كل مؤمن يرغب في عبادة الله تعالى ، ولكن تعوقه العوائق ، وتستهويه الغفلة ، فربما كانت مشاهدة غيره (أي من إخوانه الصالحين وهم يقومون بهذه العبادات) سببا لزوال الغفلة ، واندفاع العوائق .. إلى آخركلامه - رحمه الله -))(١) .

قلت : وهذا من فوائد الصحبة الصالحة ؛ إذ المرء معهم يشعر بعلو همته وقوة عزيمته على فعل الطاعات واجتناب المنكرات ، ولهذا أمرنا رسول الله ﷺ بالتزام الجماعة وحذرنا من الانفراد والوحدة فقال ﷺ : ((**ما من ثلاثة في قرية ، ولا بدو ، لا تقام فيهم الصلاة ، إلا استحوذ عليهم الشيطان .. فعليك بالجماعة ، فإنما يأكل الذئب القاصية**)) (٢) .

٦ - ٣ : ترك العمل خشية الرياء :

من مداخل الشيطان على العبد ، تشكيكه في إخلاصه ، فيقول له إذا همَّ بعمل الخير : ((إنما تفعل هذا لأجل أن يراك الناس)) لكي يصرفه عن الخير ؛ ولذلك قال عياض : ((ترك العمل من أجل الناس رياء ، والعمل من أجل الناس شرك ، والإخلاص أن يعافيك الله منهما))(٣) . قال النووي تعليقا على كلام القاضي : ((ومعنى كلامه - رحمه الله تعالى – أن من عزم على عبادة وتركها مخافة أن يراه الناس ، فهو مُراءٍ ؛ لأنه ترك العمل لأجل الناس ، أما لو تركها ليصليها في الخلوة فهذا مستحب إلا أن تكون فريضة ، أو زكاة واجبة ، أو يكون عالما يقتدى به ، فالجهر بالعبادة في ذلك أفضل ..)) (٤) .

يقول ابن تيمية – رحمه الله - : ((ومن كان له ورد مشروع من صلاة الضحى ، أو قيام ليل ، أو غير ذلك ، فإنه يصليه حيث كان ، ولا ينبغي له أن يدع ورده المشروع لأجل كونه بين الناس ، إذا علم الله من قلبه أنه يفعله سرا لله مع اجتهاده في سلامته من الرياء ومفسدات الإخلاص)) (٥) . قال الإمام أحمد المقدسي - رحمه الله - : ((وكذلك إذا ترك العمل خوفا من أن يقال : إنه مُراءٍ ، فلا ينبغي ذلك ؛ لأنه من مكائد الشيطان)) . قال إبراهيم النخعي : ((إذا أتاك الشيطان وأنت في صلاة فقال :

---

(١) انظر مختصر منهاج القاصدين ، ٢٤٥ ، المكتب الإسلامي ، انظر للتوسع الإحياء ، ج ٣ ، ص ٣٢٢ – ٣٢٨ .
(٢) رواه أبو داود ، كتاب الصلاة ، حديث رقم ٤٦٠ ، والنسائي ، كتاب الإمامة ، رقم ٨٣٨ ، وأحمد ، ج ١ ، ص ١٨ ، ٢٦ ، وقال الألباني في تعليقه على المشكاة : إسناده حسن وصححه النووي .
(٣) تهذيب المدارج ، ص ٥١٥ .
(٤) شرح الأربعين النووية ، ص ١١ . نقلا عن مقاصد المكلفين ، للأشقر ، ص ٤٦٤ .
(٥) الفتاوى ، ج ٢٣ ، ص ١٧٤ – ١٧٥ .

إنك مراءٍ ، فزدها طولا » ، وأما ما روي عن بعض السلف أنه ترك العبادة خوفا من الرياء ، كما روي عن إبراهيم النخعي : « أن إنسانا دخل عليه وهو يقرأ في المصحف ، فأطبق المصحف وترك القراءة وقال : لا يراني هذا أني أقرأ كل ساعة ، فيحمل هذا على أنهم أحسوا من نفوسهم بنوع تزين فقطعوا »[1] .

٦ - ٤ : ما حكم العمل المشوب بالرياء ؟

أجاب الإمام الغزالي في الإحياء على هذا السؤال فقال : « بيان حكم العمل المشوب واستحقاق الثواب به . اعلم أن العمل إذا لم يكن خالصا لوجه الله تعالى ، بل امتزج به شوب من الرياء أو حظوظ النفس فقد اختلف الناس في أن ذلك هل يقتضي ثوابا ، أم يقتضي عقابا أم لا يقتضي شيئا أصلا فلا يكون له ولا عليه ؟ أما الذي لم يرد به إلا الرياء فهو عليه قطعا وهو سبب المقت والعقاب ، وأما الخالص لوجه الله - تعالى - فهو سبب الثواب وإنما النظر في المشوب ، وظاهر الأخبار تدل على أنه لا ثواب له » وليس تخلو الأخبار عن تعارض فيه . والذي ينقدح لما فيه - والعلم عند الله - أن ينظر إلى قدر قوة الباعث . فإن كان الباعث الديني مساويا للباعث النفسي تقاوما وتساقطا وصار العمل لا له ولا عليه . وإن كان باعث الرياء أغلب وأقوى فهو ليس بنافع وهو مع ذلك مضر ومفض للعقاب ، نعم العقاب الذي فيه أخف من عقاب العمل الذي تجرد للرياء ولم يمتزج به شائبة التقرب . وإن كان قصد التقريب أغلب بالإضافة إلى الباعث الآخر فله ثواب بقدر ما فضل من قوة الباعث الديني ، وهذا لقوله تعالى : ﴿ **فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ * وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ** ﴾[2]، ولقوله تعالى : ﴿ **إِنَّ اللهَ لاَ يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا** ﴾[3] ، فلا ينبغي أن يضيع قصد الخير ، بل إن كان غالبا على قصد الرياء حبط منه القدر الذي يساويه وبقيت زيادة ، وإن كان مغلوبا سقط بسببه شيء من عقوبة القصد الفاسد[4] .

٧ - السبيل إلى الإخلاص[5] :

قد اتضح - أخي الحبيب – صفة الإخلاص في قبول الطاعات ، وكونه سببا في رفعة الدرجات ومضاعفة الحسنات ، وإقالة العثرات ، ومنجاة لصاحبه في مواطن الفتن والابتلاءات ، وما هذا وصفه فجدير بالتشمير عن ساق الجد لتحصيله ، ومجاهدة النفس للوصول إليه وتحقيقه؟ ومن الوسائل :

---

(1) مختصر منهاج القاصدين ، ص ٢٤٥ .
(2) سورة الزلزلة [٧-٨] .
(3) سورة النساء [٤٠] .
(4) الإحياء ، ج ٤ ، ص ٣٨٤ ، للتوسع انظر ما بعدها ص ٣٨٥ ، ٣٨٦ .
(5) مراجع هذا العنصر مقاصد المكلفين ص ٤٦٥ – ٤٧٤ ، والرياء ذمه وأثره السيئ في الأمة لسليم الهلالي ص ١٣ - ١٧ ، آفات على الطريق ج ٢ ، ص ٢٦ – ٢٨ ، الإخلاص والشرك الأصغر ص ١٣ – ١٧ ، الإحياء ج ٣ ، ص ٣١٠ - ٣١٧ ، الأخفياء للدويش ، قمنا بتلخيص ما جاء في هذه الكتب في علاج الرياء حرصا على الاختصار .

٧ ـ ١ : معرفة الله – عز وجل – بأسمائه وصفاته :

إن الذي يعرف أن الله -عز وجل - سميع بصير يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور ، يستحيي أن ينظر الله - عز وجل - إلى قلبه وقد لوثه بالرياء وحب محمدة الناس له والخوف من ذمهم إياه ... أما يخشى أن يقال له في يوم لا تجزي نفس عن نفس شيئا : ألا استحييت إذ تقربت إلى الناس بالبعد من الله ، وطلبت رضاهم بالتعرض لسخطه ، أما كان أحد أهون عليك من الله ؟!

ولهذا أرشدنا الرسول ﷺ إلى طريقة نخلص بها ديننا لربنا وذلك بالإحسان : ((**أن تعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك**))[1] فالقلب عندما يستشعر تلك الرؤية وهذه المراقبة والمعية يلتفت إلى ربه ويخلص له .

٧ ـ ٢ : اللجوء إلى الله بالدعاء :

لما كان ـ سبحانه ـ هو وحده القادر على دفع المكروهات ، والإعانة على فعل الطاعات والمأمورات فإن السبيل الأقوم هو أن نلجأ إليه وحده محتمين به لائذين بجنابه ، كي يخلصنا من الرياء ويرزقنا الإخلاص ، ففي الحديث أن رسول الله ﷺ خاطب أصحابه قائلا : ((**أيها الناس : اتقوا الشرك ؛ فإنه أخفى من دبيب النمل ، قالوا : وكيف نتقيه يا رسول الله ؟ قال : قولوا اللهم إنا نعوذ بك أن نشرك بك شيئا نعلمه ونستغفرك لما لا نعلمه**))[2].

٧ ـ ٣ : معرفة عواقب الرياء :

وردت آثار كثيرة تبين عاقبة الرياء وجزاء المرائين توجل منها القلوب ، وتذرف العيون ، حتى إن أبا هريرة رضي الله عنه كان إذا أراد أن يحدث بحديث أول ثلاثة تسعَّر بهم النار لريائهم ، وعدم إخلاصهم كان رضي الله عنه يُغشى عليه ثلاث مرات ثم يفيق ، فما يستطيع أن يحدث به إلا بمشقة من شدة خوفه ووجله من هذه الآفة الخطيرة .. وقد حدَّث أحد رواة الحديث بهذا عند معاوية رضي الله عنه ، فقال معاوية : قد فُعل بهؤلاء هذا ، فكيف بمن بقي من الناس ؟ ثم بكى معاوية بكاء شديدا حتى ظننا أنه هالك ، ثم أفاق معاوية ومسح عن وجهه ، وقال : صدق الله ورسوله : ﴿ **مَن كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لاَ يُبْخَسُونَ * أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ إِلاَّ النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ** ﴾[3] ، فمعرفة عاقبة الرياء والمرائين

---

(1) رواه مسلم ، كتاب الإيمان ، حديث رقم ٨ .
(2) رواه أحمد ، ج ٤ ، ص ٤٠٣ ، والطبراني ، بإسناد حسن ، صحيح الترغيب ، حديث رقم ٣٣
(3) انظر الحديث بطوله ، في صحيح الترغيب ، برقم ٢٠ .

مما يساعد على تجنب هذا الداء .

٧ - ٤ : معرفة ثمرات الإخلاص :

لقد سرد الإمام المنذري في كتابه (الترغيب والترهيب) الكثير من الأحاديث في فضل الإخلاص والنية الصالحة والتي تضمنت حفظ الله للمخلصين[1] ، وإجابته لدعائهم ، ونصره لهم[2]، وقبـوله لأعمالهم ، وتزكيته لقلوبهم[3] . (انظر ثمرات الإخلاص في هذا البحث) .

٧ - ٥ : إخفاء العبادة وإسرارها :

لقد كان سلفنا الصالح يحرصون على إخفاء بعض أعمالهم الصالحة ، حتى لا يخالطها الرياء ، وتكون خالصة لله - عز وجل - قال عبدالله بن داود - رحمه الله - : ((كانوا يستحبون أن يكون للرجل خبيئة من عمل صالح لا تعلم به زوجته ولا غيرها)) ، وقال الزبير بن العوام : ((من استطاع منكم أن يكون له خبء من عمل صالح فليفعل ، وقد عدَّ الرسول ﷺ المسرَّ بالصدقة حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه أحد السبعة الذين يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله ، وذكر الرسول ﷺ صنفا آخر يستحق ذلك التكريم ، وهو ذلك الذي ذكر الله ففاضت عيناه ، وقد نص الله نصا صريحا على أفضلية صدقة السر على صدقة العلانية في قوله تعالى : ﴿ **إِن تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ** ﴾[4].

وقد خص العلماء أفضلية الإخفاء بالنوافل دون الفرائض ، واستثنى بعض العلماء أولئك الذين يقتدى ويتأسى بهم ، ويكون لأفعالهم تأثير في الناس ، فهؤلاء يستحب في حقهم الإعلان دون الإسرار بشرط أن يأمنوا على أنفسهم الرياء ، ولا يكون ذلك إلا لقوة إيمانهم وصدق يقينهم[5] .

قلت : ومن هذا القبيل ما جاء في صحيح الإمام البخاري ؛ قال مالك بن الحويرث : ((إني لأصلي بكم وما أريد الصلاة (أي حضور صلاة معينة) .. أصلي كيف رأيت النبي ﷺ يصلي)) قال ابن حجر : ((فيه دليل على جواز مثل ذلك ، وأنه ليس من

---

(1) ذكر حديث الثلاثة الذين دخلو الغار .

(2) انظر حديث ((إنما ينصر الله هذه الأمة ...)) حديث رقم ٥ في صحيح الترغيب .

(3) حديث : ((ثلاث لا يغل عليهن قلب مؤمن ...)) رواه الترمذي ، كتاب العلم رقم ٢٥٨٢، وصححه الألباني ، صحيح الترغيب والترهيب، رقم : ٣ .

(4) سورة البقرة [٢٧١] .

(5) راجع مقاصد المكلفين ص ٤٦٩ وما بعدها حيث أورد المؤلف - حفظه الله - ضوابط الإعلان والإسرار بالطاعات نقله من قواعد الأحكام للعز بن عبدالسلام ، للتوسع انظر أيضا الإحياء ، ج ٣ ، ص ٣١٢ .

باب التشريك في العبادة ›› (١) .

٧ - ٦ : صحبة المخلصين وعباد الله الصالحين :

إن الإنسان يتأثر بقرينه المصاحب ؛ ولذلك قال ﷺ : ‹‹ **المرء على دين خليله** ››(٢) فعليك بصحبة من آثر الآخرة على الدنيا ، وذكرتك بالله - عز وجل - رؤيته وكلماته .

٧ - ٧ : الزهد بما عند الناس :

جاهد نفسك على الترفع عما في أيدي الناس ، وعدم النظر إلى حمدهم أو ذمهم ما دمت ماضيا في طاعة ربك عاملا في مرضاة مولاك ‹‹ **واعلم أن الأمة لو اجتمعوا على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك ، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك** ›› ، ومن طلب رضا الناس بسخط الله - والرياء مما يسخطه - سخط الله عليه وأسخطهم عليه : ‹‹ للتوسع الإحياء ج ٣ ، ص ٣١١ ›› .

ولذلك قال ابن القيم – رحمه الله تعالى - : ‹‹ لا يجتمع الإخلاص في القلب ومحبة المدح والثناء والطمع فيما عند الناس إلا كما يجتمع الماء والنار ، والضب والحوت ، فإذا طلبت الإخلاص فأقبل على الطمع أولا فاذبحه بسكين اليأس ، وأقبل على المدح والثناء فازهد فيهما زهد عشاق الدنيا في الآخرة ، فإذا استقام لك ذبح الطمع والزهد في الثناء والمدح سهل عليك الإخلاص ›› .

٧ - ٨ : محاسبة النفس :

ينبغي للعبد أن يحاسب نفسه على الخطرات واللحظات .. ماذا أردت بكلمتي ، وماذا قصدت بغدوتي وروحتي ؛ ليتعرف على حقيقة نفسه ويكشف عوارها ، ثم يجاهدها في ذات الله فإن المجاهد من جاهد نفسه في الله – عز وجل – ﴿ **وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا** ﴾(٣).

---

(١) فتح الباري ، ج ٢ ، ص ١٦٣ .
(٢) رواه الترمذي ، كتاب الزهد ، حديث رقم ٢٣٠٠ ، وأبو داود ، كتاب الأدب ، حديث رقم ٤١٩٣ ، وأحمد ، ج ٢ ، ص ٣٠٣ ، ٣٣٤ ، وقال صاحب المشكاة : رواه أحمد ، والترمذي ، وأبو داود ، والبيهقي ، شعب الإيمان ، وقال الترمذي : هذا حديث حسن غريب ، وقال النووي : إسناده صحيح ، وقال الحافظ في اللآلئ : والقول ما قال الترمذي يعني أن الحديث حسن ، انظر كشف الخفاء ، ج ٢ ، ص ٢٦٣ .
(٣) سورة العنكبوت [٦٩] .

٧ - ٩ : القراءة في سير السلف :

الاطلاع على ما كان عليه السلف من إخلاص مما يعزز في النفس صفة الإخلاص .

خامسا : تنبيهات دعوية تتعلق بالإخلاص :

١ - لابد أن يربي المربي تلامذته على صفة الإخلاص منذ أول خطوة يخطوها معهم ، ويدندن معهم حول الإخلاص بين الحين والآخر بصور عديدة منها :
أ - طرح موضوع الإخلاص .
ب - تكليف بعضهم بإلقاء كلمة عن الإخلاص .
ج – ذكر صور من إخلاص السلف بين الحين والآخر .
د – سماع محاضرة عن الإخلاص ... وهكذا .

وليضع نصب عينيه قول القائل : « مَنْ صحت بدايته أشرقت نهايته » .

٢ - حب الظهور والحديث عن النفس - لغير مصلحة شرعية راجحة - من الآفات التي تبدو على بعض الدعاة ؛ ولذلك يراعى مع مثل هذا :

أ - تذكيره بطريقة غير مباشرة بموضوع الإخلاص والرياء ...

ب - عدم مدحه والثناء عليه ؛ لأن المدح عندئذ مفسدة تزيد من مرضه « انظر الضوابط التي ذكرها ابن حجر للمدح » .

ج - تضييق دائرة مسؤوليته ، مع محاسبته على تقصيره وتوضيح مواطن خطئه .

٣ - تضييع بعض الفرص التي يمكن استثمارها للدعوة بين الناس بحجة الخوف من الرياء مدخل شيطاني ، والواجب أن يصحح المرء نيته ويستغل هذه الفرص ، كما فعل مالك ابن الحويرث يوم صلى وهو لا يريد الصلاة بذاتها بقدر ما يريد أن يعلم الناس كيف كان النبي ﷺ يصلي « انظر مبحث ٧ - ٥ » .

سادسا : من التطبيقات العملية المقترحة لهذا الدرس :

١ - أن يُشجِّع التلميذ على صدقة السر ، وليكن شعاره في هذا الأسبوع – وفي كل يوم « صدقة السر تطفئ غضب الرب » [١] الحديث .

٢ - أن يشجع التلميذ على صلاة الليل وصلاة الوتر في الجوف الأخير .

٣ - أن يشجع التلميذ على جعل نوافله في بيته .

(١) صحيح الترغيب ، ج ٢ ، ص ٢٣١ ، الصحيحة ، ص ١٩٠٨ .

٤ - أن يحفظ دعاء ((**اللهم إنا نعوذ بك أن نشرك بك شيئا نعلمه ، ونستغفرك لما لا نعلمه**)).

سابعا : المراجع :

١ - المعجم الوجيز ، مجمع اللغة العربية ، ط ١ ، ١٤٠٠ هـ ، دار التحرير .
٢ - لسان العرب ، لابن منظور .
٣ - آفات على الطريق ، ج ٢ ، دار الوفاء ، ط ٢ ، د . السيد محمد نوح .
٤ - الإخلاص والشرك الأصغر ، دار الوطن ، عبدالعزيز العبداللطيف .
٥ - موسوعة أخلاق القرآن ، دار الرائد العربي ، د . أحمد الشرباصي .
٦ - الرياء ذمه وأثره السيئ في الأمة ، مكتبة ابن الجوزي ، سليم الهلالي .
٧ - تهذيب مدارج السالكين ، ابن القيم ، هذبه عبدالمنعم العزي ، مؤسسة الرسالة، ط٤.
٨ - إحياء علوم الدين ، الغزالي ، دار المعرفة .
٩ - قواعد وفوائد من الأربعين النووية ، ناظم سلطان ، دار الهجرة ، ط ٢ .
١٠ - الجامع لعلوم القرآن ، للقرطبي ، دار إحياء التراث العربي ، ١٩٦٧ م .
١١ - نزهة الفضلاء تهذيب سير أعلام النبلاء ، محمد حسن عقيل ، دار الأندلس .
١٢ - صحيح الترغيب والترهيب ، الألباني ، المكتب الإسلامي .
١٣ - بدائع الفوائد ، ابن القيم ، دار الكتاب العربي .
١٤ - الوافي في شرح الأربعين النووية ، بُغا ومستو ، مؤسسة علوم القرآن ، ط١ .
١٥ - مقاصد المكلفين ، د . عمر سليمان الأشقر ، مكتبة الفلاح ، ط١ .
١٦ - جامع العلوم والحكم ، ابن رجب ، تحقيق شعيب الأرناؤوط ، وإبراهيم باجس ، مؤسسة الرسالة ، ط٢ .
١٧ - توجيهات نبوية ، السيد محمد نوح ، دار الوفاء ، ط١ .
١٨ - واحات الإيمان ، عبدالحميد البلالي ، المجموعة الأولى ، دار الدعوة .
١٩ - فتح الباري ، ابن حجر ، دار المعرفة ، بترقيم عبدالباقي .
٢٠ - شرح صحيح مسلم ، النووي .
٢١ - المنهاج في ضوابط السلوك والمنجيات ، هاشم محمد ، مكتبة دار البيان ، الكويت ، ط٢.
٢٢ - الأخفياء ، إبراهيم الدويش ، ط ١ .
٢٣ - الفتاوى ، لشيخ الإسلام ابن تيمية ، المجلد الثالث والعشرين .
٢٤ - تطهير الطويَّة بتحسين النية ، الشيخ علي القاري ، المكتب الإسلامي ، ط١ .

٢٥ - مجلة المجتمع ، العدد ١٢٤٩ ، الإخلاص .. سبيل الفلاح ، ص ٥٥ ، لجعفر يوسف الحداد.
٢٦ - التفسير الوجيز ومعجم معاني القرآن العزيز ، د. وهبة الزحيلي ، دار الفكر ، ط٢.
٢٧ - مشكلات وحلول في حقل الدعوة ، عبدالحميد البلالي ، دار الدعوة . ط ١ .
٢٨ - الإخلاص ، الشيخ محمد العثيمين ، دار الطويق ، جمع أبي خالد عبدالكريم المقرن.
٢٩ - النية في الإسلام ، عدنان علي النحوي ، دار النحوي ، ط١ .
٣٠ - أعلام الموقعين ، ابن القيم ، دار الجيل ، مراجعة طه عبدالرؤوف .
٣١ - إغاثة اللهفان ، ابن القيم الجوزية ، مكتبة عباس أحمد الباز .
٣٢ - معارج القبول بشرح سُلم الوصول ، الحكمي ، دار ابن القيم ، ط ٣ .
٣٣- خلق المسلم ، محمد الغزالي ، الاتحاد الإسلامي .
٣٤- كشف الخفاء ومزيل الإلباس ، للعجلوني ، مؤسسة الرسالة ، تحقيق القلاّش .

أخوة

الأخوة

أولا : دلالة المصطلح :

أ – لغة :

الأخوة من الأخ ، قال ابن منظور : الأخ من النسب : معروف ، وقد يكون الصديق والصاحب[١] كما قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾[٢] ولم يعن النسب ، وقال : ﴿ فَإِخوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ ﴾[٣] .

ب - اصطلاحا :

الأخوة في الله رباط إيماني يقوم على منهج الله ... ينبثق من التقوى ، ويرتكز على الاعتصام بحبل الله .. [٤] فهي رباط إيماني ؛ إذ لا أخوة بدون إيمان أو تقوى . قال الله تعالى : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ [٥]، ويقول : ﴿ الأَخِلاَّءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلاَّ الْمُتَّقِينَ ﴾[٦].

ثانيا : الأهداف :

١ - أن يعرف الطالب مفهوم الأخوة من منظور إيماني عقدي .
٢ - أن يميز الطالب بين الأخوة الإيمانية والصداقة الدنيوية ، فيلزم الصالحين ويتجنب الطالحين.
٣ - أن يعرف الطالب وسائل تقوية الأخوة الإيمانية .
٤ - أن يعرف الطالب مكدرات الأخوة وخوارمها .
٥ - أن يعرف الطالب حقوق الأخوة الإيمانية وواجباتها .

ثالثا : عناصر الموضوع :

١ - مفهوم الأخوة وفضلها .
٢ - الفرق بين الأخوة الإيمانية وغيرها من الصداقات الجاهلية أو الدنيوية .
٣ - وسائل تقوية الأخوة الإيمانية .
٤ - مكدرات الأخوة الإيمانية وخوارمها .

---

(١) لسان العرب ، ابن منظور ، مادة أخا ، ج١ ، ص ٤٠٠ – ٤٠١ .
(٢) سورة الحجرات [١٠] .
(٣) سورة الأحزاب [٥] .
(٤) الأخوة والحب في الله ، حسني أدهم جرار ، ص ١١ .
(٥) سورة الحجرات [١٠] .
(٦) سورة الزخرف [٦٧] .

٥ - ثمار الأخوة الإيمانية وواجباتها .
٦ - من أخلاق المؤمن مع إخوانه في الدعوة .
٧ - مشكلات ينبغي علاجها .

رابعا : العرض :

١ - مفهوم الأخوة : لقد سبق أن وضحنا دلالة المصطلح .

٢ - الفرق بين الأخوة الإيمانية والصداقة الجاهلية :

تتميز الأخوة الإيمانية بعدة مميزات تميزها عن غيرها من الصداقات ، والواجب أن يفرق المسلم بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان - كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية - (١).

أ – أساسها الإيمان :

ففي الأخوة الإيمانية تزول العصبيات الجاهلية والفوارق المادية من حسب أو نسب أو جاه أو غنى .. قال الله تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ** ﴾(٢).

ويقول ﷺ : ((**أيها الناس إن ربكم واحد ، وإن أباكم واحد ، لا فضل لعربي على عجمي ولا لأبيض على أسود إلا بالتقوى ..**))(٣) .

ب - هدفها التعاون على الخير :

فالتعاون مظهر كريم من مظاهر الأخوة وهدف كبير من أهدافها ، كما أمر بذلك الحق - عز وجل - ﴿ **وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلاَ تَعَاوَنُوا عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ** ﴾(٤) ، وصوره الرسول ﷺ بأروع معنى عرفه الإنسان فقال : ((**المؤمن للمؤمن كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا**)) (٥) ، ويرتقي التعاون إلى مراتب عالية سامية ليصل إلى مرتبة الإيثار ، فقد روى الإمام البخاري أنه لما قدم المهاجرون المدينة آخى رسول الله ﷺ بين عبدالرحمن بن عوف وسعد بن الربيع ، فقال سعد لعبدالرحمن : أنا أكثر

---

(١) الفتاوى ، ج ١١ ، ص ١٥٩ .
(٢) سورة الحجرات [١٣] .
(٣) قال الهيثمي في المجمع ، ج ٨ ، ص ٨٤ : رواه الطبراني في الأوسط والبزار بنحوه ... ورجال البزار رجال الصحيح.
(٤) سورة المائدة [٢] .
(٥) متفق عليه ، رواه البخاري ، كتاب الأدب ، باب فضل تعاون المؤمنين ، ج ٥ ، ص ٧٢ ، ومسلم ، في كتاب البر والصلة ، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم ، حديث رقم ٢٥٨٥ .

الأنصار مالا : فأقسم مالي نصفين ، ولي امرأتان فانظر أعجبهما إليك فسمها لي أطلقها ، فإذا انقضت عدتها فتزوجها . قال عبدالرحمن : بارك الله لك في أهلك ومالك ، أين سوقكم ؟ فدلوه على سوق بني قينقاع ، فما انقضى إلا ومعه فضل من أقط وسمن .

ج – ومما تتميز به الأخوة الإيمانية .. النصرة والتناصح :

أن ينصر المؤمن أخاه ظالما أو مظلوما .. فإن كان مظلوما دافع عنه ، وإن كان ظالما رده عن ظلمه وناصحه قال ﷺ : ((**انصر أخاك ظالما أو مظلوما**)) (١).

د – ومما تتميز به الأخوة الإيمانية : الاتصال والاستمرار :

إنها مستمرة متصلة لا يقطعها غنى ولا فقر ولا مرض بل ولا حتى الموت ، ففي عرصات الحشر تنقطع الوشائج إلا وشائج الأخوة الإيمانية : ﴿ **الأَخِلاَّءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلاَّ الْمُتَّقِينَ** ﴾(٢) . ويستمر عقد الأخوة هذا إلى الآخرة ، حيث لا يرى بعض أهل الجنة إخوانهم الذين كانوا معهم في الدنيا ، فيسألون ربهم - عز وجل - عنهم ، وقد صور النبي ﷺ ذلك الموقف بقوله : ((**فما مجادلة أحدكم لصاحبه في الحق يكون له في الدنيا ، أشد مجادلة من المؤمنين لربهم في إخوانهم الذين أدخلوا النار ، قال : يقولون : ربنا ! إخواننا كانوا يصلون معنا ، ويصومون معنا ، ويحجون معنا ، فأدخلتهم النار فيقول : اذهبوا فأخرجوا من عرفتم منهم** ..))(٣) فيخرجونهم ، ثم يأذن لهم فيخرجون من كان في قلبه مثقال ذرة من الإيمان . إن أخوة لها هذا المقام عند الله ، وإن محبة لها ذلك الفضل في الدنيا والآخرة ، حرية بالحرص عليها ، والوفاء بحقوقها ، والاستزادة منها : (٤) ﴿ **رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ وَلاَ تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلاًّ لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ** ﴾(٥) .

هـ - الاتحاد والتآلف مما تتميز به الأُخوة الإيمانية :

فهي تؤلّف بين القلوب وتوحِّد بين النفوس فتصبح القلوب تحت رايتها متكافلة متراحمة ، تصغر أمامها الأحقاد الشخصية ، والنزعات القبلية والأطماع الشخصية

(١) رواه البخاري ، في المظالم ، باب أعن أخاك ظالما أو مظلوما ، ج ٥ ، ص ٧١ ، حديث رقم ٢٤٤٤ .
(٢) سورة الزخرف [٦٧] .
(٣) صحيح سنن ابن ماجة ، للألباني ، حديث رقم ٥١ .
(٤) هذه أخلاقنا حين نكون مؤمنين حقا ، لمحمود الخازندار ، دار طيبة ، ص ١٦٨ - ١٦٩ .
(٥) سورة الحشر : [١٠] .

وغير ذلك من نزغات الشيطان التي يفرق فيها بين المجتمعين على غير هدى من الله (١) .

٣ - وسائل تقوية الأخوة :

هناك توجيهات قرآنية وسنن نبوية تقوي الروابط الأخوية والأواصر القلبية .. ومن هذه السنن :

٣ - ١ : إفشاء السلام وطلاقة الوجه :

السلام عند اللقاء هو مفتاح أبواب القلوب ، وبذرة الحب ولقاح المحبة ؛ ولهذا قال النبي ﷺ : ((**والذي نفسي بيده لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ، ولن تؤمنوا حتى تحابوا ، ألا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم أفشوا السلام بينكم**))(٢) .وليس المقصود بإفشاء السلام هو النطق بلفظ وإنما تحقيق معانيه ، فإذا أقبل الأخ على أخيه وقد علته البشاشة ، وفاض وجهه بالغبطة وصافحه بحرارة فقد تحقق معنى من معاني إفشاء السلام ، وكتب له أجرٌ على ذلك ((**لا تحقرن من المعروف شيئًا ، ولو أن تلقى أخاك بوجه طلق**)) (٣) .

رواه مسلم ، وكم منا من يبخل على إخوانه بالبشاشة ، ويضن عليهم بالطلاقة ويحقر هذا المعروف ولا يلتفت إليه .. إن للابتسامة والرحابة عند اللقاء لأثرًا جعلت جريرا البجلي ﷺ يحدث الناس عنه فيقول : ((**ما حجبني رسول الله ﷺ منذ أسلمت ولا رآني إلا تبسم**)) . رواه البخاري ، وهناك معاني أخرى يمكن أن تضاف لإفشاء السلام هي : كف الأذى ؛ لأن السلام يعني : الطمأنينة من الأضرار ، والدعاء بالرحمة والبركة لأخيك ..

وتتقوى معاني السلام عندما يصاحبه التصاق الأيدي بالمصافحة لكي تترجم معاني السلام عمليًّا ؛ ولهذا قال الرسول ﷺ : ((**ما من مسلمين يلتقيان فيتصافحان إلا غفر لهما قبل أن يتفرقا**)) (٤) .

٣ - ٢ : قولك لأخيك : ((إني أحبك في الله)) :

---

(١) انظر للتوسع مبدأ الأخوة في الله ، لمصطفى القضاة ص ٢٤ - ٢٥ .
(٢) رواه مسلم ، في كتاب الإيمان ، باب بيان أنه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون ، حديث رقم ٥٤ .
(٣) رواه مسلم ، في كتاب البر ، باب استحباب طلاقة الوجه عند اللقاء ، حديث رقم ٢٦٢٦ .
(٤) رواه أبو داود ، في الأدب ، باب المصافحة ، حديث رقم ٥٢١٢ ، وحسنه الألباني .

يالها من كلمة تأخذ بمجامع القلوب وتأسرها ، وتصل إلى شغافها وتربطها ، إنها سنة تكاد تكون مهجورة فأحيها – أخي الحبيب – أحياك الله بطاعته وقل لأخيك : ((إني أحبك في الله)) .. قال ﷺ : ((**إذا أحب أحدكم أخاه فليعلمه أنه يحبه**)) [1] .

٣ - ٣ : الهدية :

إن الهدية تورث المودة ، وتذهب الضغينة ، وتنقي القلب من وَحَرِه .. ولذلك جاء في حديث عائشة مرفوعًا ((**تهادوا تحابوا**)) [2].

٣ - ٤ الزيارات الأخوية واللقاءات الإيمانية :

زيارة الأخ أخاه من أعظم الطاعات وأجل القربات ؛ ولذلك حث إليها ورغب فيها رسول الله ﷺ فقال : ((**ألا أخبركم برجال من أهل الجنَّة ؟ ، النبي في الجنة ، والشهيد في الجنة ، والصديق في الجنّة ، والمولود في الجنّة ، والرجل يزور أخاه من ناحية المصر في الله في الجنَة**)) [3] ، فبادر إلى زيارة أخيك ولا تنتظر ، ولا تنس أن تضع لكل زيارة هدفًا تربويًّا تحققه من خلال تلك الزيارة .

٣ - ٥ : إدخال السرور إلى قلب أخيك :

ومن أعظم ما يربط القلوب ويأسرها ويفرحها ويسرُّها الإحسان إليها والقيام على خدمتها وبذل المعروف إليها ، ففي حديث ابن عمر مرفوعًا ((**أحب الأعمال إلى الله – عز وجل – سرورٌ تدخله على مسلم ، أو تكشف عنه كربة أو تقضي عنه دينًا ، أو تطرد عنه جوعًا ، ولئن أمشي مع أخ في حاجة أحب إلى الله من أن أعتكف في هذا المسجد (المسجد النبوي) شهرًا ، ومَنْ مشى مع أخيه في حاجة حتى تتهيأ له أثبت الله قدمه يوم تزول الأقدام**)) [4] .

فتجاوز أخي الحبيب دائرة الكلام إلى ميدان الأعمال وتحسس حاجات أخيك وسارع في مساعدته في قضائها تنل رضا ربك وتُقَوِّ بأخيك صلتك .

---

(١) رواه أبو داود ، في الأدب ، باب إخبار الرجلُ بمحبته إياه ، حديث رقم ٥١٢٤ ، ورواه الترمذي ، في الزهد ، باب ما جاء في إعلام الحب ، حديث رقم ٢٣٩٣ ، صححه الألباني .

(٢) صحيح الجامع ، للألباني ، حديث رقم ٣٠٠٤ ، الحديث حسن .

(٣) رواه الطبراني والدارقطني ، وحسنّه الألباني .

(٤) رواه الطبراني في الكبير ، ج١٢ ، ص٤٥٣ ، حديث رقم ١٣٦٤٦ ، والأوسط ، ج٦ ، ص ١٦ ، حديث رقم ٦٠٢٣ ، والصغير ، ج٦ ، ص٣٥ ، وحسنّه الألباني ، في الصحيحة ، ج٢ ، ص٦٠٩ .

٣ - ٦ الإحساسُ بمصاب أخيك :

إن مما يقطع حبالَ الأخوةِ أو المحبة ويوهنُها أن تكون ميتَ العاطفة قليلَ الاكتراث بما يحصُل لأخيك من أفراحٍ وأتراح .. إن من فقه الأخوه : أن تفرح إذا أصابتْه سراء ، وتحزنَ وتتألم إن مسْتْهُ ضراء .. والتألمُ الحق هو الذي يدفعك دفعًا إلى كشف وتنفيس كربةِ أخيك فلا تهدأ حتى يزولَ غمُّها ، وإذا وفقك الله لذلك استنارَ وجهُك فرحًا وسرورًا .

كم يا إخوتي يا أحبتي نفتقد اليوم هذا الإحساس؟! الذي علمنا إياه سلفُنا الصالح ، وقد جرى مع دمائهم واستقر في سويداء قلوبهم .. وها هو أبو سليمان الداراني يعلم أبناءَ عصره هذه الصفة السلفية فيقول - رحمه الله - : ((إني لألقم اللقمة أخًا من إخواني فأجد طعمها في حلقي)) .. إحساس مرهف وقلبٌ رقيق ... ويقول سلفيٌ آخر هو سعيد بنُ العاص : ((إني لأكرهَ أن يمر الذبابُ بأخي مخافة أن يؤذيه)) .

٤ - مكدرات الأخوة وخوارمها :

٤ - ١ النية المشوبة بالشوائب الدنيوية :

إذا شاب الأخوة شيء من الحظوظ الدنيوية والشهوات الشخصية[1] أضعفها وأوهنها ، وكلما ازدادت تلك النزوات ازدادت الأخوة وهنًا وضعفًا ، تلك هي سنَّة الله التي عبر عنها بعض سلفنا الصالح فقال أحدهم : ((ما كان لله دام واتصل ، وما كان لغيره انقطع وانفصل)) ، وما قطع حبلُ من حبال الأخوة إلا ومن وراء قطعه نفوس تريد أن يكون لها حظ دنيوي من هذه الأخوة .

ولأهمية النية في ثبات الأخوة واتصالها نجد الأحاديث الواردة في الحث على الأخوة تؤكد ضرورة سلامة النية من الشوائب الدنيوية وتأمل إلى تكرار لفظة ((فيَّ)) في الحديث القدسي الذي يقول فيه الحق - عز وجل : ((**وجبت محبتي للمتحابين فيَّ ، والمتزاورين فيَّ والمتباذلين فيَّ**)) [2] وتأمل في هذا الحوار الذي جرى بين مَلَك ورجل ذهب ليزور أخاه ، فقد أخبر النبي ﷺ : ((**أن رجلاً زار أخًا له في قرية أخرى فأرصد الله تعالى على مدرجته (على طريقه) ملكًا فلما أتى عليه ، قال : أين تريد؟! قال : أريد أخًا لي في هذه القرية قال : هل لك عليه من نعمةٍ تربُّها عليه (هل لك مصلحة دنيوية من زيارتك) قال : لا ، غير أني أحببته في الله تعالى . قال الملك : فإني رسول الله إليك بأن الله قد أحبك كما أحببته فيه**)) [3].

---

[1] كأن يحبه لملاحة صورته واستئناسًا بشخصه ، وليس لطاعته لربه والتزامه بشرعه .

[2] رواه مالك ، كتاب الشعر ، باب ما جاء في المتحابين ، ج٢ ، ص ٩٥٣ ، حديث رقم ١٦ ، وإسناده صحيح ، ورواه أحمد ، ج٥ ، ص٢٤٧ .

[3] رواه مسلم ، في كتاب البر والصلة والآداب ، باب فضل الحب في الله ، حديث رقم ٢٥٦٧ .

٤ - ٢ الذنوب والمعاصي :

إنها تقوض دولاً وممالك ذات قوة ومنعة .. فكم من أخوين جمعتهما الطاعة وفرَّقتهما المعصية ؟!! .

قال التابعي بكر المزني - رحمه الله - : « إذا وجدت من إخوانك جفاءً فذلك لذنب أحدثته فتب إلى الله ، وإذا وجدت منهم زيادة محبة فذلك لطاعة أحدثتها فاشكر الله - تعالى- عليها » .

٤ - ٣ : الشح والأثرة وحب الذات ، أو ما يسمى الأنانية :

إن الشح مفرق للقلوب ومبعثرٌ لها .. ولذلك قال النبي ﷺ : « **اتقوا الشحَّ ، فإن الشح أهلك مَنْ كان قبلكم ، حملهم على أن سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم** » (١) ، والحديث رواه الإمام مسلم .

نزل أخ على أخيه ليلة .. فجاء صاحب البيت إلى زوجته ... فقال : هل عندك شيء ؟! فقالت لا .. إلا قوت صبياني ... قال : علِّليْهم بشيء وإذا أرادوا العشاء فنوِّميهم ، وإذا دخل ضيفنا ، فأطفئي السراج ، وأريه أنا نأكل ، فقعدوا وأكل الضيف وباتا طاويين ، فلما أصبح غدا على النبي ﷺ : فقال : « **لقد عجب الله من صنيعكما بضيفكما الليلة** » (٢) ، فانظر كيف آثرا أخاهما على أنفسهما وفلذات كبدهما .

٤ - ٤ : ومن آفات الصحبة الإفراط في الحب والبغض (العاطفة المفرطة) :

عن زيد بن أسلم عن أبيه قال : « قال لي عمرُ بن الخطاب رضي الله عنه : يا أسلم لا يكن حُبك كلفا ، ولا بغضُك تلفا . قلت : وكيف ذلك ؟ قال : إذا أحببت فلا تَكْلفْ كما يَكلفُ الصبي بالشيء يُحبه ، وإذا أبغضت فلا تبغض بغضًا تحب أن يَتلف صاحبك ويهلك » (٣) .

وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال : « أحبب حبيبك هونًا ما ؛ عسى أن يكون بغيضَك يومًا ما ، وأبغض بغيضَك هونا ما ؛ عسى أن يكون حبيبَك يوما ما » (٤) .

---

(١) رواه مسلم ، في البر والصلة والآداب ، باب تحريم الظلم ، حديث رقم ٢٥٧٨ .

(٢) رواه البخاري ، في المناقب ، باب ويؤثرون على أنفسهم ... ، ج٧ ، ص ٩٠ ، ومسلم ، في الأشربة ، باب إكرام الضيف وفضل إيثاره ، حديث رقم ٢٠٥٤ .

(٣) رواه عبد الرزاق في مصنفه رقم ٢٠٢٦٩ ، والبخاري في الأدب المفرد ١٣٢٢ ، والبغوي في شرح السنة ، ج١٣ ، ص٦٥ ، وقال الجيلاني : والكلف الولوع بالشيء مع شغل قلب ومشقة ، وقد صححه الألباني في الأدب المفرد ، ص ٥٠١ – ٥٠٢ .

(٤) رواه البغوي في شرح السنة ، ج١٣ ، ص٦٥ ، ٦٦ ، عن علي والبخاري في الأدب المفرد ١٣٢١ ، وقال البغوي - رحمه الله - : ورفعه بعضهم عن علي وعن أبي هريرة والصحيح أنه موقوف ، قلت : قال الألباني ، في صحيح الأدب المفرد ، ص٥٠١ : وقد صحّ مرفوعا .

وقال أبو الأسود الدؤلي :

وَأحْبِبْ إذا أحْبَبْتَ حُبًّا مُقَاربًا فإنك لا تَدرِى مَتَى أنْتَ نَازِعُ
وأبْغِضْ إذا أبغَضت غَيْرَ مُبَاينٍ فَإنَّكَ لاَ تَدْرِى مَتَى أنْتَ رَاجِعُ

ويخشى من فرط المحبة :

أ - أن يوافقَ الأخ أخاه على الباطل .
ب - التقصير في النصيحة الواجبة .
جـ - التعلق بالأشخاص لا بالدعوة .
د - معرفة الحق بالرجال لا العكس .
هـ - وقد تنصرف المحبة المفرطة إلى علاقة غير شرعية .

ويخشى مع الإفراط في البغض :

أ - إفشاء الأسرار .
ب - ترك الإنصاف .
جـ - نشر المعايب وكتم المحاسن .
د - الافتراء والكذب .

٤ - ٥ من آفات الصحبة : كثرة الزيارات غير الهادفة :

ونقصد بها المجالس التي هي مجالس مؤانسة وقضاء وَطر ، أكثر منها مجالس ذكر وتذكير وتعاون على البر والتقوى ، فيكون في هذه المجالس ضياعُ الأوقات وذهابُ المروءات ، وقد يجر فضول الكلام إلى ما يغضب الملك العلام قال النبي ﷺ : ((**ما من قوم يقومون من مجلس لا يذكرون الله فيه ، إلا قاموا على مثل جيفة حمار ، وكان عليهم حسرةً يوم القيامة**)) (١) .

قال ابن القيم - رحمه الله - : ((الاجتماع بالإخوان قسمان :

(١) رواه أبو داود في الأدب ، باب كراهية أن يقوم الرجل من مجلسه ولا يذكر الله ، حديث رقم ٤٨٥٥ ، وإسناده صحيح .

أحدهما : اجتماع على مؤانسة الطبع وشغل الوقت ، فهذا مضرتهُ أرجح من منفعته ، وأقل ما فيه أنه يفسد القلب ويضيع الوقت .

ثانيهما : الاجتماع بهم على أسباب النجاة والتواصي بالحق والصبر ، فهذا من أعظم الغنيمة وأنفعها ، ولكن فيه ثلاث آفات :

أحدها : تزين بعضهم لبعض .

والثانية : الكلام والخلطة أكثر من الحاجة .

والثالثة : أن يصير ذلك شهوة وعادة ينقطع بها عن المقصود »[1].

٤ - ٦ : ومن آفات الصحبة : الإكثار من المزاح :

إن كثرة المزاح تميت القلب وتسبب الضغينة ؛ ولهذا قال النبي ﷺ : « **لا تكثروا الضحك ، فإن كثرة الضحك تميت القلب** »[2] .

آداب المزاح :

أ - ألا يتضمن الأذى بأحد من الناس « **لا ضرر ولا ضرار** »[3] .

ب - ألا يتضمن شيئًا من الكذب : « **ويل للذي يحدّث ، فيكذب ليضحك به القوم ، ويل له ، ويل له** »[4].

ج - أن يكون بقدر مناسب وفي الزمن المناسب : « **لا تكثروا الضحك** ... » .

٤ - ٧ : ومن آفات الصحبة المراء والجدل :

والمراء يفتن القلب وينبت الضغينة ويجفي القلب ويقسيه ويرقق الورع في المنطق والفعل .

قال خالد بن يزيد بن معاوية الأموي : « إذا كان الرجل مماريًا لجوجًا معجبًا برأيه ، فقد تمت خسارته » .

---

(1) الفوائد لابن القيم .
(2) رواه ابن ماجة ، حديث رقم ٤١٩٣ ، قال البوصيري ، في الزوائد ، ج١ ، ص٢٥٨ : إسناده صحيح ، وهو في الصحيحة ، للألباني ، حديث رقم ٥٠٦ .
(3) صححه الألباني ، في الإرواء ، حديث رقم ٨٩٦ .
(4) صحيح الجامع ، حديث رقم ٧١٣٦ ، وقد حسنه الألباني .

قال الحسن البصري : ((إياكم والمراء ، فإنه ساعة جهل العالم ، وبها يبتغي الشيطان زلته))[1] ﴿ وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾[2] الآية .

٤ ـ ٨ ومن الآفات : الانتصار للنفس وعدم مراعاة المصالح والمفاسد :

قد يحدث بعض التشاحن أو التخاصم بين الإخوان ، وقد تنبو كلمة أو تزل عبارة .. وهنا يأتي الشيطان لكي ينفخ فيها ، قام معاوية عشية في الناس ، فأثنى على الله جلَّ ثناؤه بما هو أهله ، ثم قال : ((أما بعد ، فمن كان متكلمًا في هذا الأمر فليُطلع لنا قرنه ، قال ابن عمر : فأطلقت حُبْوَتي ، فأردت أن أقول قولاً : يتكلم فيه رجال قاتلوا أباك على الإسلام ، ثم خشيت أن أقول كلمة تفرّق الجماعة ، أو يسفك فيها دم ، أو أحمل فيها على غير رأي ، فكان ما وعد الله ـ عز وجل ـ في الجنان أحبَّ إليَّ من ذلك . فلما انصرفت إلى المنزل جاءني حبيب بن مسلمة فقال : ما منعك أن تتكلم حين سمعت الرجل يتكلم؟ قلت : أردت ذلك ثم خشيت أن أقول كلمة تفرق بين جمع ، أو يسفك فيها دم ، أو أحمل فيها على غير رأي ، فكان ما وعد الله ـ عز وجل ـ من الجنان أحبَّ إليَّ من ذلك . قال : قال حبيب : فقد عُصِمْتَ))[3] .

٤ ـ ٩ : ومن آفات الصحبة : التمادح : (المبالغة في المدح) :

وقد بوَّب البخاري بابًا فقال : ((باب ما يُكره من التمادح)) . قال ابن حجر ـ رحمه الله ـ : التمادح : هو تفاعل من المدح أي المبالغة وقد بوَّب في كتاب الشهادات بابًا فقال : (باب ما يكره من الإطناب في المدح)[4] .

ولكنه ـ رحمه الله ـ (أعني البخاري) : بوّب في كتاب الأدب بعد الباب المذكور بابًا فقال : (باب من أثنى على أخيه بما يعلم) . قال ابن حجر ـ رحمه الله ـ : ((أي فهو جائز ومستثنى من الذي قبله ، والضابط أن لا يكون في المدح مجازفة ، ويؤمن على الممدوح الإعجاب والفتنة))[5] .

٥ ـ ثمار الأخوة وواجباتها :

هي حقوق عظيمة وواجبات جليلة لها دور كبير وهام في ترابط الإخوان وتآلفهم وتعميق الحب بينهم وتكاتفهم .

٥ ـ ١ : التناصح لا التفاضح :

---

(1) انظر للتوسع نفائس الحلة في التآخي والخلة ، ص ٦٧ ـ ٧٤ .
(2) سورة الإسراء [٥٣] .
(3) رواه البخاري ، كتاب المغازي ، حديث رقم ٣٧٩٩ .
(4) فتح الباري ، لابن حجر ، ج١٠ ، ص ٤٧٦ .
(5) المرجع السابق ، ج ١٠ ، ص ٤٧٨ ـ ٤٧٩ .

التناصح بين الإخوة في الله من أركان أخوتهم ، وعليه بايع الرسول ﷺ بعض أصحابه كما في حديث جرير البَجَلي : ((بايعتُ رسول الله ﷺ على إقامة الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، والنصح لكل مسلم))(١) .

وفَقِهَ التابعون ومن جاء بعدهم من سلف الأمة هذا الركن في عقد أخوتهم ، وأخذوا ينبهون الخلف على أهميته ... فهذا الحسن البصري - رحمه الله - نجدهُ ملحاحًا في الحث على هذا الخلق ، لهَّاجًا في تزيينه ، حتى جعَلَه ثلث الدنيا فقال : ((لم يبق من العيش إلا ثلاثٌ : أخ لك تصيب من عشرته خيرًا ، فإن زغت عن الطريق قوَّمك ، وكفاية من عيش ليس لأحدٍ عليك فيه تبعة ، وصلاة في جمعٍ تكفى سهوها ، وتستوجب أجرَها)) فثلث زينة الحياة عنده في جيل التابعين أخٌ ناصحٌ مقوِّم لاعوجاج أخيه ... فكم ثمن هذه الزينة عند الإخوان اليوم ؟! وتأتي أهمية النصيحة لكون الإنسان لا يرى جميع عيوبه ، ولذلك قيل :

فالعين تبصر منها ما دنا ونأى ... ولا ترى نفسها إلا بمرآةِ

فكن أنت لأخيك المرآة ، وليكن هو لك كذلك ، وكان شيخ الإسلام ابن تيمية يُذكِّر إخوانه بهذا المثل فيقول : المؤمن لأخيه المؤمن كاليدين تغسل إحداهما الأخرى ، والوسخ قد لا يخرج إلا بالحك وشيء من الخشونة ولكن عاقبته النظافة والطهارة أو كما قال - رحمه الله - ويؤكد عمرُ بنُ عبدالعزيز معنى وجوبية النصيحة من الإخوان ، ويرى أنها من أحسن الصلات فيقول : ((من وصل أخاه بنصيحةٍ له في دينه ، ونظر له في صلاح دنياه فقد أحسن صلتَه وأدَّى واجب حقه)) .

والنصيحة أيضًا دليلٌ على خلوص النية في مقصد الأخوة ذاتها . قال أحدُ الصالحين : ((من داهنك فقد غشك ومن نصحك فقد أحبك)) ، ومن فقه الأخوة في هذا المعلم : الالتزام بالقواعد والضوابط الشرعية للنصيحة ، ومنها بل من أهمها : الإسرار بالنصيحة وإلا كانت فضيحة .

ولعل الشافعي - رحمه الله - تضايق ممنْ يغفل عن هذا الضابط فقال :

تعمدني بنصحك بانفرادي ... وجنبني النصيحة في الجماعه

فإن النصح بين الناس نوعٌ ... من التوبيخ لا أرضى استماعه

وأما التفاضح فأمره وخيم ، وخطرهُ على الدعوة عظيم ... ولذلك قال ﷺ : ((**لا**

---

(١) رواه البخاري في الإيمان ، باب قول النبي ﷺ : ((الدين النصيحة)) .. ، ج١ ، ص١٢٨ ، ومسلم في الإيمان ، باب بيان أن الدين النصيحة ، ص ٥٦ .

يسترُ عبدٌ عبدًا في الدنيا إلا ستره الله يوم القيامة)) ، فتعداد العيوب أمام الملأ نوعٌ من التوبيخ رفضه السلف ، وعبر عنه الشافعي بأسلوب صريح واضح (١) .

٥ ـ ٢ التغافر ودرء التنافر :

فالتنافر والتسامح والعفو عن زلات الإخوان وهفواتهم من خُلق المؤمن الذي يكظم غيظه ويعفو عن الناس وينتحل الأعذار لإخوانه ، ويحسنُ الظن بهم ، ويختارُ من الكلمات ما يستلُ السخيمة من الصدور .

قال أخٌ في الله لابن السماك الزاهد : الميعاد بيني وبينك غدًا نتعاتب ((فقال له ابنُ السماك ـ رحمه الله ـ : بل الميعاد بيني وبينك غدًا نتغافر .. ما أرقَّه من جواب ... يفتح أبواب المحبة على مصاريعها لتلج منها القلوب المتخاصمةُ فإذا هي بيضاءُ نقيةٌ لا تكدرها بغضاء ولا شحناء .. ويدل هذا الجواب على وجود قلب خلفَ هذا اللسان ، قلبٌ يَلذعُه واقعُ المسلمين ، وتؤلمه أسبابُ نفرتهم ، قلب بصير بمداخل الشيطان ونزعاته ، خبيرٌ بتربص العدو ومخططاته .. ما أحرانا ـ نحن المسلمين ـ اليوم أن نأخذ بمنهج ابن السماك في خلافاتنا مع إخواننا المسلمين في بعض مسائل الخلاف ... ويقول كلٌّ منا للآخر الميعاد بيني وبينك غدًا بل اليوم نتغافر .. ثم أليس جمالُ الأخوة بل الحياة أن تضمرَ في قلبك أنك قد غفرت لأخيك تقصيره تجاهك كلما صافحته ، وتقولُ ما قاله موسى ـ عليه الصلاة والسلام ـ : ﴿ **قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ** ﴾ (٢) وإن كان لابد من كلمة عتاب ، فلتكن بالحسنى؟)) .

من اليوم تعارفنا ونطوي ما جرى منا
فلا كان ولا صار ولا قلتم ولا قلنا
وإن كان ولا بد من العتبى فبالحسنى

فلا تخدش محبة إخوانك بكثرة العتاب :

إذا كنت في كل الأمور معاتبًا ... صديقك لم تلق الذي لا تعاتبُه
فعشْ واحدًا أو صِلْ أخاك فإنه ... مقارفُ ذنبٍ تارةً ومجانبُه

---

(١) راجع للتوسع الرقائق للراشد ، ص ٦٣ ـ ٨٣ .
(٢) سورة الأعراف [١٥١] .

إذا أنت لم تشرب مرارا علىالقذى ظمئت وأيُّ الناس تصفو مشاربه

ومن ذا الذي تُرضَى سجاياه كُلهَا كفى المرء نبلاً أن تعدَّ معايبُه

وهذا التغاضي عن زلة الأخ ، والعفو عن هفوته لا يمنع من نصحه على انفراد ، ولا يُسقط واجبَ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إذا وقع في الإثم ؛ لأنه لا خير في أخُوَّةِ المتآخين في الله إن لم يتواصوا بينهم بالحق ، ويتناصحوا في الله ويأتمروا بالمعروف ويتناهوا عن المنكر(١) .

٥ ـ ٣ : الزيارات التفقدية :

عندما يفتقد الأخ أخاه ينبغي أن يبادر لزيارته لكي يسأل عن أخباره ، ويطمئن على أحواله فإن كان مريضًا قام على رعايته وإن وجده محتاجًا أعانه ومشى في قضاء حاجته . كما يساعده في حل مشكلاته ويناصحه ويسدده ... وإليك ـ أخي الحبيب ـ هذه الزيارة الأخوية التي قام بها سلمان الفارسي لأخيه أبي الدرداء حيث يرويها الإمام البخاري في صحيحه فيقول : آخى النبي ﷺ بين سلمان وأبي الدرداء ، فزار سلمانُ أبا الدرداء ، فرأى أمَّ الدرداء متبذلةً فقال لها : ما شأنُك؟ قالت : أخوك أبو الدرداء ليس لهُ حاجةٌ في الدنيا ، فجاء أبو الدرداء فصنع لهُ طعامًا فقال له : كل ، قال : فإني صائمٌ ، قال : ما أنا بآكل حتى تأكُلَ . قال : فأكلَ فلمَّا كان الليلُ ذهب أبو الدرداء يقومُ ، قال : نم ، فنام ، ثم ذهب يقومُ ، فقال : نم . فلمَّا كان من آخر الليل قال سلمانُ : قُم الآن ، فصليا فقال له سلمانُ : إن لربك عليك حقًّا ، ولنفسك عليك حقًّا ، ولأهلك عليك حقًّا ، فأعطِ كل ذي حق حقه ، فأتى النبي ﷺ فذكر ذلك له ، فقال له النبي ﷺ : ((**صدق سلمانُ**)) (٢) .

وقد تضمن الحديث عدة فوائد ذكرها ابن حجر ـ رحمه الله ـ منها : ((مشروعية المؤاخاة في الله وزيارة الإخوان والمبيت عندهم ، والسؤال عما يترتب عليه مصلحة وإن كان في الظاهر لا يتعلق بالسائل ، وفيه النصح للمسلم وتنبيه من أغفل ، وفيه فضل قيام آخر الليل ... إلى آخر ما ذكره ـ رحمه الله ـ من فوائد الحديث))(٣) .

(١) انظر الرقائق للراشد .
(٢) رواه البخاري ، في الصوم ، باب من أقسم على أخيه ليُفطر في التطوع ... ، حديث رقم ١٩٦٨ .
(٣) فتح الباري ، لابن حجر ، ج ٤ ، ص ٢١٢ ـ ٢١٣ .

ومما ينبغي أن نذكره في الزيارات الأخوية جواز سؤال الأخ لأخيه عن بعض أعماله العبادية وأشغاله الدنيوية ... وقد سبق أن استنبط ابن حجر من حديث سلمان مع أبي الدرداء فائدة جواز السؤال عما يترتب عليه مصلحة وإن كان في الظاهر لا يتعلق بالسائل ، ونضرب مثالين أوردهما الإمام البخاري في صحيحه في السؤال عن الأعمال التعبدية لحساسية بعض الإخوان من السؤال عنها ، أما المثال الأول : فهو حديث أبي هريرة الذي سأل فيه النبي ﷺ بلالاً فقال له : ((**يا بلال حدثني بأرجى عمل عملته في الإسلام ، فإني سمعت دَفَّ نعليك بين يدي في الجنة ، قال : ما عملت عملاً أرجى عندي أني لم أتطهر طهورًا في ساعة ليل أو نهار إلا صليت بذلك الطهور ما كتب لي أن أصلي**))[1]، وذكر ابن حجر من فوائد الحديث فقال : وفيه سؤال الصالحين عما يهديهم الله له من الأعمال الصالحة ليقتدي بها غيرهم في ذلك ، وفيه أيضًا سؤال الشيخ عن عمل تلميذه ليحضه عليه ويرغبه فيه إن كان حسنًا ، وإلا فينهاه[2] .

وأما المثال الثاني : فسؤال معاذ لأخيه أبي موسى الأشعري عندما زاره ليسأله عن طريقته في قراءة القرآن . قال معاذ : ((يا عبد الله ، كيف تقرأ القرآن؟ قال : أتفوَّقه تفوقا . قال : فكيف تقرأ أنت يا معاذ ؟ قال : أنام أول الليل ، فأقوم وقد قضيت جزئي من النوم ، فأقرأ ما كتب الله لي ، فأحتسب نومتي كما أحتسب قومتي))[3] .

٥ ـ ٤ التعاون على البر والتقوى : وله صور منها :

التعاون على التفقه والمذاكرة العلمية ، فيعين الأخ أخاه على طلب العلم والاستزادة منه كما كان يفعل عمر بن الخطاب مع أخ له ، حيث قال عمر رضي الله عنه : ((كنت أنا وجار لي من الأنصار من بني أمية - وهي من عوالي المدينة - وكنا نتناوب النزول على رسول الله ﷺ ، ينزل يومًا وأنزل يومًا ، فإذا نزلت جئته بخبر ذلك اليوم من الوحي وغيره ، وإذا نزل فعل مثل ذلك))[4]، ولهذا ينبغي أن يجتمع الإخوان في الله في جلسة أو حلقة يتدارسون فيها أحكام دينهم ، ويتذكرون فيها أمور آخرتهم اقتداءً بسلفنا الصالح الذين كانوا يدعون بعضهم بعضًا إلى مثل هذه اللقاءات الإيمانية ، قال معاذ بن جبل لأحد إخوانه : ((اجلس بنا نؤمن ساعة))[5]. قال النووي : معناه نتذاكر الخير وأحكام الآخرة وأمور الدين فإن ذلك

---

(1) رواه البخاري ، في كتاب التهجد ، باب فضل الطهور بالليل والنهار ... حديث رقم ١١٤٩ .
(2) فتح الباري ، لابن حجر ، ج ٣ ، ص ٣٤ .
(3) رواه البخاري ، كتاب المغازي ، باب بعث ابن موسى ومعاذ إلى اليمن قبل حجة الوداع ، حديث رقم ٤٣٤٢ .
(4) رواه البخاري ، كتاب العلم ، باب التناوب في العلم ، حديث رقم ٨٩ .
(5) رواه البخاري معلقًا في كتاب الإيمان باب قول النبي ﷺ : ((**بني الإسلام على خمس**)) ، قال ابن حجر ، في الفتح ، ج١ ، ص٤٨ ، والتعليق المذكور وصله أحمد وأبو بكر أيضًا ، بسند صحيح إلى الأسود بن هلال قال : قال لي معاذ بن جبل : ((اجلس بنا نؤمن ساعة)) ، وفي رواية لهما :

إيمان [1].

ومن صور التعاون : الدعوة إلى الخير ونشر السنة وهداية الناس ، وقد تكاثرت الأدلة على ضرورة التعاون في هذه الأمور ، ومنها : ﴿ **وَلْتَكُن مِّنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ** ﴾ [2] ، وقد وردت هذه الآية بعد ذكر نعمة الله على المؤمنين بأخوتهم وجمع قلوبهم على الإيمان ، (تأمل في تعاون موسى مع هارون في الدعوة ، وتعاون الأنصار مع المهاجرين) ، ومن صور التعاون : التعاون بالمال والبدن والعقل[3] .

٥ ـ ٥ الدعاء بظَهر الغيب :

من علامات كمال الإيمان أن يحب المؤمن لأخيه ما يحبه لنفسه كما صح بذلك الخبر[4] ، ولذلك فإن دعاء الأخ لإخوانه في الله بظهر الغيب دليل صدق إيمان وإخلاص أخوة ، وقد بين لنا رسول الله ﷺ فضل دعوة الأخ لأخيه فقال : ((**من دعا لأخيه بظهر الغيب ، قال الملك الموكل به : آمين ولك بمثل**)) [5] ، ومن عجيب ما روي في سير السلف : ما ذكره الحافظ الخطيب البغدادي في ترجمة الطيب إسماعيل أبي حمدون - أحد القراء المشهورين - قال : كان لأبي حمدون صحيفة فيها مكتوب ثلاثمائة من أصدقائه ، وكان يدعو لهم كل ليلة ، فتركهم ليلة فنام ، فقيل له في نومه ، يا أبا حمدون : لِمَ لمْ تُسرج مصابيحك الليلة ، قال : فقعد فأسرج ، وأخذ الصحيفة فدعا لواحد واحد حتى فرغ[6] .

٥ ـ ٦ : حسن الظن :

من ثمار الأخوة التي تبين عمق محبة الأخ لأخيه ، وقربه منه ، حسن ظنه به ، وحمله لكلامه وأفعاله على أحسن محمل ، وقد أخرج البيهقي في شعب الإيمان ، عن سعيد بن المسيب قال : ((كتب إليَّ بعض إخواني من أصحاب رسول الله ﷺ ، أن ضع أمر أخيك على أحسنه ، ما لم يأتك ما يغلبك ، ولا تظن بكلمة خرجت من امرئ

كان معاذ بن جبل يقول للرجل من إخوانه : ((اجلس بنا نؤمن ساعة ، فيجلسان فيذكران الله تعالى ويحمدانه)) .

(1) عمدة القاري ، ج١ ، ص ١٢٩ .

(2) سورة آل عمران [١٠٤] .

(3) انظر للتوسع مبحث ((التعاون)) في هذا الكتاب .

(4) حديث ((لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه)) رواه البخاري ، في كتاب الإيمان ، حديث رقم ١٣ .

(5) رواه مسلم في صحيحه ، في كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار ، باب فضل الدعاء للمسلمين بظهر الغيب ، حديث رقم ٢٧٣٢ .

(6) تاريخ بغداد ، ج ٩ ، ص ٣٦١ .

مسلم شرًّا ، وأنت تجد لها في الخير محملاً ومَنْ عرَّض نفسه للتهم فلا يلومَنَّ إلا نفسه ، ومَنْ كتم سره كانت الخيرة في يده ، وما كافأت من عصى الله تعالى فيك ، بمثل أن تطيع الله فيه ، وعليك بإخوان الصدق ، فكن في أكنافهم ، فإنهم زينة في الرخاء ، وعدة عند عظيم البلاء ، ولا تتهاون بالحلف فيهينك الله تعالى ، ولا تسألن عما لم يكن حتى يكون ، ولا أمين إلا من خشي الله ، وشاور في أمرك الذين يخشون ربهم بالغيب)) .

٥ - ٧ : التماس الأعذار :

إن التماس العذر لكل ما يصدر عن إخواننا من خطأ أو تقصير لهو من الأمور المهمة التي تدل على صدق المحبة ، وعمق المودة ، ونضوج الأخوة ، وقد قال ابن المبارك : (المؤمن يطلب المعاذير والمنافق يطلب العثرات) [١] .

٥ - ٨ : التواصل لا التهاجر[٢] :

قال النبي ﷺ : ((**لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاثٍ ، فمن هجرَ فوق ثلاثٍ فمات دخل النار**)) [٣].

٥ - ٩ : الحقوق المادية [٤] :

٦ - من أخلاق المؤمن مع إخوانه في الدعوة :

للأخوة الخاصة - وهي الصحبة لنشر دعوة الله وتبليغ دين الله - أخلاق ينبغي للأخ أن يلتزم بها مع إخوانه لكي يكون لصحبته إياهم نتائج مثمرة في التمكين لهذا الدين ، ومن هذه الأخلاق :

٦ - ١ : الاستشارة .

٦ - ٢ : الطاعة بالمعروف .

٦ - ٣ : الاعتذار .

٦ - ٤ : الثقة .

٦ - ٥ : التضحية والبذل .

---

(١) للتوسع انظر الرقائق ، ص ٧٩ ، وأيضًا مبدأ الأخوة في الله ، ص ٦٣ .
(٢) للتوسع انظر مبدأ الأخوة ، ص ٥٨ - ٦٤ ، نفائس الحلة في التآخي والخلة ، ص ٤٨ - ٥٢ ، هذه أخلاقنا حين نكون مؤمنين حقًّا ، ص١٦٣ وما بعدها .
(٣) رواه أبو داود في سننه ، كتاب الأدب ، حديث رقم ٤٩١٤ ، وهو في صحيح الجامع ، حديث رقم ٧٥٣٦ .
(٤) للتوسع انظر مبدأ الأخوة ، ص٦٧ ، ٨٣ - ٨٤ ، والسلوك الاجتماعي ، حق المال ، ص ٤٨٤ وما بعدها .

٧ - مشكلات ينبغي علاجها :

أ - الإخاء الروتيني الإداري[1] :

التعريف :

هو تحول الإخاء الحقيقي الذي دعا إليه الإسلام إلى علاقة أشبه بالعلاقة الإدارية بين الموظفين في قسم واحد ، بما ينتاب هذه العلاقة من جوانب سلبية كثيرة ، وبما يغلب عليها من طابع الجفاف في العلاقات والطبيعة الروتينية التي تربط الموظفين بعضهم ببعض وتربط كلا منهم بمديريهم بقوانين إدارية ولوائح تكون هي روح العلاقة التي تجمعهم .

المظاهر :

١- عدم الإحساس بالمحبة الأخوية تجاه العضو الآخر .
٢- عدم السؤال عن الأحوال في حالة الضائقة .
٣- عدم عيادته إذا مرض ، أو تعزيته إذا مات له قريب .
٤- فتور الترحيب عند اللقاء .
٥- عدم التواصل بالهاتف أو الزيارات عند اختلاف مراكز العمل .
٦- التخلي عن مساعدته عند الحاجة .

الأسباب :

١- قلة البرامج الإيمانية في منهج المؤسسة .
٢- قلة وجود القدوات .
٣- ضعف التركيز على جانب الأخوة في المناهج .
٤- غلبة الجانب الإداري التنفيذي على الجانب الإيماني .
٥- كثرة دخول العناصر الضعيفة في المؤسسة .
٦- الجهل الشرعي بأهمية وواجبات الأخوة لقول عمر :((تفقهوا قبل أن تسودوا)).
٧- قلة اللقاءات الإيمانية الأخوية خارج نطاق العمل الإداري للمؤسسة .
٨- كثرة تنقلات أفراد المؤسسة بين أقسامها مما لا يتيح لهم بناء علاقات أخوية لقلة مدة الاحتكاك .
٩- عدم القيام بواجبات الأخوة أو ضعف القيام بها .

---

[1] مشكلات وحلول في حقل الدعوة ، عبد الحميد البلالي ، ص ٣١ - ٣٣ .

١٠-عدم التوافق في الطبيعة البشرية .
١١-اختلاف الهمم في التحرك في الدعوة والاختلاف في التوافق في العمل الدعوي .
١٢-جفاف الطبع ، والجهل بطرق كسب القلوب .

الحل :

١- زيادة إشراك الأعضاء بعمل مشترك ، وإطالة الاحتكاك بعضهم مع بعض .
٢- التركيز على الجانب الأخوي والتنبيه عليه قبل القيام بأي عمل إداري .
٣- التركيز على الجانب الأخوي في المناهج .
٤- ترجمة المعاني النظرية في الأخوة إلى تطبيقات عملية لتعميق المحبة بين الأعضاء .
٥- ضبط النظم الإدارية دوما بالضوابط الإيمانية والأخوية حتى لا تتغلب الإداريات عليها.
٦- الاختيار المناسب للمسؤول الذي تكون أول مهامه ربط العناصر بعضها مع بعض ، وإشاعة روح المحبة بينهم كما فعل الرسول ﷺ عند دخوله المدينة .
٧- التهادي بين الأعضاء يعمق روابط الأخوة .
٨- إجراء بعض الدورات في فن التعامل والترحيب .
٩- أن تكون جزءًا من المنهج القرائي للمؤسسة .
١٠-بث بعض العناصر الإيمانية التي توقظ وتؤلف بين الأعضاء حتى وإن كانوا ضعفاء في الإنتاجية .
١١- تضييق الهوة بين فترات التقويم حتى يتم استدراك ما يمكن استدراكه[١] .

ب – التعلق العاطفي [٢] :

خامسا : بعض التطبيقات العملية المقترحة لتأكيد معاني الدرس وأهدافه :

١- أن يقوم الطالب بالسلام على إخوانه ومصافحتهم والبشاشة عند لقائهم .
٢- أن يزور الطالب إخوانه الصالحين مع تكليفه بوضع برنامج أو هدف للزيارة يُراد تحقيقه .
٣- أن يناصح الطالب أخًا له في الله .
٤- أن يتعارف الأخ مع بعض إخوانه تعارفًا شاملاً .

---

(١) مشكلات وحلول في حقل الدعوة ، عبد الحميد البلالي ، ص ٣١ - ٣٣ .
(٢) سنبحث هذه المشكلة - إن شاء الله - في كتابنا القادم (القائد) دروس منتقاة في الدعوة والتربية .

٥- أن يتعارف مع إخوانه على أداء طاعة كالتعاون على القيام لصلاة الفجر وأدائها جماعة في المسجد .
٦- أن يتعاون مع إخوانه في نشر الدعوة كتوزيع شريط أو الإعداد لمحاضرة .
٧- أن يشارك إخوانه في نشاطاتهم كالرحلات والمخيمات .
٨- أن يلتزم حسن الخلق مع إخوانه فلا يغتابهم ولا يغلظ عليهم بل يؤثرهم ويغفر لهم.
٩- أن يقرأ كتابًا في فقه الأخوة ويسمع شريطًا لتأكيد ما ذكر في الدرس .

كتاب مقترح :

- الأخوة الإسلامية لعبد الله علوان .
- فقه الأخوة لجاسم مهلهل ياسين .

شريط مقترح :

- فقه الأخوة للفريح .

سادسا : قضايا ينبغي التنبيه إليها :

١- التحذير من صحبة أصحاب السوء الذين كانوا أصدقاء للطالب قبل التزامه .
٢- التأكيد على سلامة المقاصد في علاقاته بإخوانه في الله .
٣- التحذير من الإفراط في العلاقات العاطفية ، والالتزام بالآداب الشرعية في ذلك .
٤- التأكيد على ضرورة ثقة الأخ بأخيه لا سيما إن كان من أهل العلم والدعوة .

سابعا : المراجع :

١- لسان العرب ، لابن منظور .
٢- الأخوة والحب في الله ، حسني أدهم جرار .
٣- الفتاوى ، لشيخ الإسلام ابن تيمية .
٤- مجمع الزوائد ، للهيثمي ، دار الكتاب العربي .
٥- صحيح الإمام البخاري .
٦- صحيح الإمام مسلم ، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي .
٧- هذه أخلاقنا حين نكون مؤمنين حقًّا ، لمحمود الخازندار ، دار طيبة ، ط١ .
٨- صحيح سنن ابن ماجة ، للألباني ، مكتب التربية .
٩- مبدأ الأخوة في الله ، لمصطفى القضاة ، دار الوفاء ، ط١ .

١٠- صحيح الجامع الصغير ، للألباني ، المكتب الإسلامي .
١١- صحيح الأدب المفرد ، للألباني ، دار الصديق .
١٢- فضل الله الصمد في توضيح الأدب المفرد ، فضل الله الجيلاني ، المكتبة السلفية ، ط٣.
١٣- الفوائد ، لابن القيم .
١٤- إرواء الغليل ، للألباني ، المكتب الإسلامي ، ط٢ .
١٥- نفائس الحلَّة في التآخي والخلة .
١٦- فتح الباري ، لابن حجر ، دار المعرفة .
١٧- الرقائق ، لمحمد الراشد ، مؤسسة الرسالة ، ط٣ .
١٨- عمدة القاري شرح صحيح البخاري ، للعيني ، دار العلوم والحكم ، ط ١ .
١٩- مشكلات وحلول في حقل الدعوة ، عبد الحميد البلالي ، دار الدعوة ، ط ١ .
٢٠- زغل الدعاة ، سعيد الغامدي ، دار الأندلس الخضراء ، ط ١ .
٢١- الصداقة في الإطار الشرعي ، لعبد الرحمن الزنيدي ، مكتبة الورَّاق ، ط ١ .
٢٢- الحب في الله وحقوق الأخوة ، أحمد فريد ، دار العقيدة للتراث ، ط ١ .
٢٣- آداب العشرة وذكر الصحبة والأخوة ، لأبي البركات الغزي ، دار ابن حزم ، ط ١ .
٢٤- آداب الصحبة ، للإمام أبي عبد الرحمن السلمي ، دار الصحابة للتراث ، ط ١ .
٢٥- الأخوة الإسلامية ، عبد رب النبي السعود ، مكتبة وهبة ، ط ١ .
٢٦- الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان ، لشيخ الإسلام ابن تيمية ، دار الكتب العلمية.
٢٧- آداب الصحبة في الأخوات المسلمات ، فتحي السيد ، مكتبة دار الراية ، ط ١ .
٢٨- كتاب الإخوان ، للحافظ ابن أبي الدنيا ، دار الاعتصام .
٢٩- الأخوة في الله ، المركز الإسلامي للدراسات والبحوث .
٣٠- نزهة الفضلاء تهذيب سير أعلام النبلاء ، لمحمد حسن عقيل موسى ، دار الأندلس الخضراء ، ط ٢ .
(وغيرها من المراجع مما ورد في ثنايا البحث) .

استقامة

الاستقامة

أولا : دلالة المصطلح :

أ - لغة :

في لسان العرب وفي مادة ((قوم)) التي اشتقت منها الاستقامة ، أورد ابن منظور عدة معان نورد بعضها : قال - رحمه الله - :

والاستقامة : الاعتدال ، ويقال : استقام له الأمر ، وقوله تعالى : ﴿ **فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ** ﴾ [1] أي في التوجه إليه دون الآلهة ، وقام الشيء واستقام : اعتدل واستوى .

والقائم بالدين : المستمسك به الثابت عليه . وفي الحديث : ((إن حكيم بن حزام قال : بايعت رسول الله ﷺ ، ألاَّ أخر إلا قائمًا : قال له النبي ﷺ : ((**أما من قبلنا فلا تَخِرَّ إلا قائمًا** ، **أي لسنا ندعوك ولا نبايعك إلا قائمًا**)) ، أي على الحق ، قال أبو عبيد : معناه بايعت ألاَّ أموت إلا ثابتًا على الإسلام والتمسك به ، وكل من ثبت على شيء وتمسك به فهو قائم عليه ، وقال تعالى : ﴿ **لَيْسُوا سَوَاءً مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ** ﴾ [2]؛ إنما هو من المواظبة على الدين والقيام به ؛ الفرَّاءُ : القائم المتمسك بدينه ، ثم ذكر هذا الحديث ، وقال الفراء : ﴿ **أُمَّةٌ قَائِمَةٌ** ﴾ ؛ أي متمسكة بدينها . وقوله - عز وجل - : ﴿ **لاَّ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلاَّ مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا** ﴾[3] ؛ أي مواظبًا ملازمًا ؛ ومنه قيل في الكلام للخليفة : هو القائم بالأمر ، وكذلك فلان قائم بكذا إذا كان حافظًا له متمسكًا به . قال ابن بَرِّيّ : والقائم على الشيء الثابت عليه ، وعليه قوله تعالى : ﴿ **مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ** ﴾ ؛ أي مواظبة على الدين ثابتة . يقال : قام فلان على الشيء إذا ثبت عليه وتمسك به))[4] .

ويتبين مما سبق أنها تتضمن معاني : الاعتدال والتمسك بالشيء والثبات عليه والقيام به والاستمرار والمواظبة عليه .

ب - اصطلاحًا (شرعا) :

تنوعت أقوال السلف في وصف الاستقامة وتعددت : وإليك طرفًا منها :

- (سُئل صديقُ الأمة وأعظمُها استقامة - أبو بكر الصديق رضي الله عنه - عن الاستقامة؟

---

(1) سورة فصلت [٦] .
(2) سورة آل عمران [١١٣] .
(3) سورة آل عمران [٧٥] .
(4) لسان العرب ، لابن منظور ، ج٥ ، ص٣٧٨٢ - ٣٧٨٣ .

فقال : ((أن لا تشرك بالله شيئًا)) .

- وقال عمر بن الخطاب ﷺ : ((الاستقامة أن تستقيم على الأمر والنهي ، ولا تروغ روغان الثعلب)) .
- وقال عثمان بن عفان ﷺ : ((استقاموا : أخلصوا العمل لله)) .
- وقال علي وابن عباس - رضي الله عنهما - : ((استقاموا أدوا الفرائض)) .
- وقال الحسن - رحمه الله - : ((استقاموا على أمر الله فعملوا بطاعته واجتنبوا معصيته)) [1] .
- وقال ابن رجب : والاستقامة هي سلوك الصراط المستقيم ، وهي الدين القيم من غير تعريج عنه يمنةً ولا يسرةً ، ويشمل ذلك فعل الطاعات كلها ، الظاهرة والباطنة ، وترك المنهيات كلها كذلك))[2] .
- قلت : ومن هذا نفهم أن الاستقامة تعني التمسك بالدين كله والثبات عليه ؛ ولذلك قال الإمام ابن القيم - رحمه الله تعالى - بعد أن عرَّف الاستقامة بأنها السداد والإصابة في النيات والأقوال والأعمال .. قال بعدها : فالاستقامة كلمة جامعة ، آخذةٌ بمجامع الدين ، وهي القيام بين يدي الله على حقيقة الصدق ، والوفاء .

والاستقامة تتعلق بالأقوال والأفعال ، والأحوال ، والنيات .. فالاستقامة فيها وقوعها لله ، وبالله ، وعلى أمر الله .

وسمعت شيخ الإسلام ابن تيمية - قدس الله تعالى روحه - يقول : ((أعظم الكرامة لُزوم الاستقامة)) [3] .

ثانيا : الأهداف :

نهدف من طرح هذا الموضوع على الطلاب الأهداف التالية :

١- معرفة معنى الاستقامة وما قاربها من مشتقات مادة ((قَوَم)) ، والتي وردت في الكثير من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية لكي يفهم الطالب تلك النصوص الشرعية .

٢- التأكيد على شمولية معنى الاستقامة لجميع جوانب الدين ، وبالتالي أهمية

---

(1) تهذيب مدارج السالكين ، ص ٥٢٧ - ٥٢٨ ، مختصر ابن كثير للصابوني ، ج٣ ، ص ٢٦٢ ، جامع العلوم والحكم تحقيق الأرناؤوط ، ص ٥٠٨ ، انظر أيضًا (الزهد) لأحمد ، ص ١١٥ ، والطبري ، جامع البيان ، ج٢٤ ، ص ١١٥ .

(2) جامع العلوم والحكم ، ص ٥١٠ .

(3) تهذيب المدارج ، ص ٥٢٩ .

الالتزام بكل ما تضمنته - بقدر الاستطاعة (سددوا وقاربوا) - مع لزوم الاستغفار عند التقصير ﴿ **فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ**﴾ (١).

٣- التأكيد على الآثار التي تظهر على « المستقيم » في حياته وأعماله وأقواله . (الواقع العملي) .

٤- التحذير من عوائق الاستقامة والتخويف منها .

٥- الاقتداء بمن استقاموا على الدين من سلفنا الصالح من خلال عرض صور موجزة من سيرهم المشرقة .

٦- ربط الطالب بالأعمال الصالحة والصحبة المستقيمة الطيبة ؛ إذ إنها من أكبر أسباب الاستقامة والثبات عليها .

ثالثا : عناصر الموضوع :

١- مفهوم الاستقامة (ماذا نعني بالاستقامة؟) .

٢- حكم الاستقامة .

٣- ثمرات الاستقامة .

٤- السبيل إلى الاستقامة .

٥- أثر الاستقامة في حياة المسلم .

٦- عوائق الاستقامة .

٧- صور مشرقة لاستقامة سلفنا الصالح .

٨- أحاديث في الاستقامة .

رابعا : العرض :

١ - مفهوم الاستقامة : (انظر دلالة المصطلح) .

٢ - حكم الاستقامة :

لقد أمر الله - عز وجل - نبيه ﷺ وأتباعه أن يلتزموا الاستقامة عقيدةً وشريعة ، هديًا ومنهجًا ، ويجتنبوا الطغيان ويحذروا أهواء أولياء الشيطان ، قال الله تعالى : ﴿ **فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلاَ تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ** ﴾(٢) .

قال ابن كثير - رحمه الله - : « يأمر الله - تعالى - رسوله وعباده المؤمنين

(١) سورة فصلت [٦] .
(٢) سورة هود [١١٢] .

بالثبات والدوام على الاستقامة ، وذلك من أكبر العون على النصر على الأعداء ومخالفة الأضداد ، وينهى عن الطغيان وهو البغي ، فإنه مصرعة حتى ولو كان على مشرك ، وأعلم تعالى أنه بصير بأعمال العباد لا يغفل عن شيء ، ولا يخفى عليه شيء)) (١) .

وكذلك في قوله تعالى في سورة الشورى : ﴿ **فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ** ﴾ (٢).

قال ابن كثير - رحمه الله - : ((أي واستقم أنت ومن اتبعك على عبادة الله تعالى ، كما أمركم الله - عز وجل -))(٣) .

وبهذا نفهم أن الاستقامة واجب من الواجبات ، ومسؤولية من المسؤوليات التي كلَّفنا بها رب الأرض والسموات ، وأن على المرء أن يبذل في القيام بتكاليفها جهده ، ويسأل الله -عز وجل- المغفرة لما قصر فيه ؛ ولذلك جاء طلب المغفرة بعد الاستقامة مباشرة في قوله تعالى : ﴿ **قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ** ﴾(٤) .

قال ابن رجب - رحمه الله - وفي قوله - عز وجل - : ﴿ **فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ** ﴾ إشارة إلى أنه لابد من تقصير في الاستقامة المأمور بها ، فيُجْبَرُ ذلك بالاستغفار المقتضي للتوبة والرجوع إلى الاستقامة ، فهو كقول النبي ﷺ لمعاذ رضي الله عنه : ((**اتق الله حيثما كنت ، وأتبع السيئة الحسنة تمحها**)) (٥) ، وقد أخبر النبي ﷺ أن الناس لن يطيقوا الاستقامة حق الاستقامة فقال النبي ﷺ : ((**استقيموا ولن تحصوا ، واعلموا أن خير أعمالكم الصلاة ، ولا يحافظ على الوضوء إلا مؤمن**)) ، وفي رواية للإمام أحمد : ((**سددوا وقاربوا ، ولا يحافظ على الوضوء إلا مؤمن**)) (٦) .

---

(١) مختصر ابن كثير للصابوني ، ج ٢ ، ص ٢٣٥ .
(٢) سورة الشورى [١٥] .
(٣) المرجع السابق ، ج٣ ، ص ٢٧٢ ، وانظر أيضًا جامع العلوم والحكم ، لابن رجب ، ج١ ، ص٥٠٩ .
(٤) سورة فصلت [٦] .
(٥) روى الحديث من طريق معاذ وطريق أبي ذر ، وقد حسَّنَ الألباني حديث أبي ذر في مشكاة المصابيح ، ج٣ ، ص١٤٠٩ . حديث رقم ٥٠٨٣ . وقد بسط الحافظ ابن رجب الكلام في سند الحديث ، في جامع العلوم والحكم ، ج١ ، ص٣٩٥ - ٣٩٦ ، فراجعه - إن شئت - .
(٦) رواه أحمد وغيره ، وهو في صحيح الجامع ، حديث رقم ٩٥٢ .

وفي الصحيحين عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال : ((**سددوا وقاربوا**)) [١].

فالسداد : هو حقيقة الاستقامة ، وهو الإصابة في جميع الأقوال والأعمال والمقاصد ، كالذي يرمي إلى غرض ، فيصيبه ، وقد أمر النبي ﷺ عليًّا أن يسأل الله - عز وجل - السداد والهدى ، وقال له : ((**اذكر بالسداد تسديدك السهم ، وبالهدى هدايتك الطريق**)) [٢].

والمقاربة : أن يصيب ما قرب من الغرض إذا لم يصب الغرض نفسه ، ولكن بشرط أن يكون مصممًا على قصد السداد وإصابة الغرض ، فتكون مقاربته عن غير عمد ، ويدل عليه قول النبي ﷺ في حديث الحكم بن حزن الكُلفي : ((**أيها الناس ، إنكم لن تعملوا – أو لن تُطيقوا – كل ما أمرتكم ، ولكن سددوا وأبشروا**)) [٣].

والمعنى : اقصدوا التسديد والإصابة والاستقامة ، فإنهم لو سددوا في العمل كله ، لكانوا قد فعلوا ما أمروا به كله [٤] .

٣ - ثمرات الاستقامة :

لقد جعل الله - عز وجل - لمن آمنوا بدينه حقًّا ، واستقاموا عليه صدقا فضائل عظيمة ومنازل رفيعة اقرءوا إن شئتم قوله تعالى : ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلاَئِكَةُ أَلاَّ تَخَافُوا وَلاَ تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ** ﴾ [٥] ، ومن خلال هذه الآيات نرى الثمرات التالية :

٣ - ١ : ((تتنزل عليهم الملائكة)) :

فملائكة الرحمن تتنزل عليهم بالبشرى من عند الله - سبحانه - بالسرور والحبور وذلك في ثلاثة مواطن عصيبة ، قال وكيع : ((البشرى في ثلاثة مواطن : عند الموت ، وفي القبر ، وعند البعث)) [٦] .

---

(١) رواه البخاري ، كتاب الرقائق ، باب القصد والمداومة على العمل ، وحديث رقم ٦٤٦٣ ، ورواه مسلم ، في كتاب صفات المنافقين ، باب لن يدخل أحد الجنة بعمله ، بل برحمة الله تعالى ، حديث رقم ٢٨١٨ .

(٢) رواه مسلم ، كتاب الذكر .. ، حديث رقم ٢٧٢٥ .

(٣) حديث حسن ، رواه أحمد وأبو داود وأبو يعلى والطبراني .

(٤) جامع العلوم والحكم ، ج١ ، ص٥١٠ ، بتحقيق الأرناؤوط .

(٥) سورة فصلت [٣٠].

(٦) فتح القدير للشوكاني ، ت : عبد الرحمن عميرة ، دار الأندلس الخضراء ، ج٤ ، ص ٤٩٥ ، انظر أيضًا القرطبي ، ج١٥ ، ص٣٥٩ .

٣ - ٢ الطمأنينة والسكينة .. ((ألا تخافوا ولا تحزنوا)) :

والمعنى : لا تخافوا مما تقدمون عليه من أمور الآخرة ، ولا تحزنوا على ما فاتكم من أمور الدنيا من أهل وولد ومال ، وقال عطاء : ((لا تخافوا ردَّ ثوابكم فإنه مقبول ولا تحزنوا على ذنوبكم فإني أغفرها لكم))[1] .

وقال - عز وجل - عن هذه الثمرة وهذا الفضل في سورة الأحقاف : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلائِكَةُ أَلاَّ تَخَافُوا وَلاَ تَحْزَنُوا ﴾[2] .

٣ - ٣ : البشرى بالجنة :

﴿ وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ﴾[3] .. ويالها من منزلة عظيمة ... ونعمة جسيمة.

٣ - ٤ : ﴿ نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآَخِرَةِ ﴾[4].. وهي أعظم من التي قبلها ، قال الشوكاني - رحمه الله - أي نحن المتولون لحفظكم ومعونتكم في أمور الدنيا وأمور الآخرة ، ومن كان الله وليه فاز بكل مطلب[5] ، ونجا من كل مخافة ، وقيل :
إن هذا من قبول الملائكة ... قال مجاهد : إذا كان يوم القيامة قالوا : لا نفارقكم حتى تدخلوا الجنة[6] .

٣ - ٥ : مغفرة الذنوب :

﴿ نُزُلاً مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴾[7] .. قال الإمام ابن كثير - رحمه الله - : ﴿ مِّنْ غَفُورٍ ﴾ لذنوبكم ، ﴿ رَّحِيمٍ ﴾ بكم ، حيث غفر وستر ورحم ولطف .

٣ - ٦ : سعة الرزق وهناءة العيش :

---

(1) فتح القدير للشوكاني ، ت : عبد الرحمن عميرة ، دار الأندلس الخضراء ، ج٤ ، ص ٤٩٥ ، انظر أيضًا القرطبي ، ج١٥ ، ص٣٥٩ .
(2) سورة الأحقاف [١٣] .
(3) سورة فصلت [٣٠] .
(4) سورة فصلت [٣١] .
(5) قلت : وهو كما قال تعالى عن أهل الاستقامة في سورة الأنعام : ﴿ وَهَذَا صِرَاطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا قَدْ فَصَّلْنَا الآَيَاتِ لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ * لَهُمْ دَارُ السَّلاَمِ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَهُوَ وَلِيُّهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ .
(6) فتح القدير للشوكاني ، ت : عبد الرحمن عميرة ، دار الأندلس الخضراء ، ج٤ ، ص ٤٩٥ ، انظر أيضًا القرطبي ، ج١٥ ، ص٣٥٩ .
(7) سورة فصلت [٣٢] .

﴿ وَأَن لَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لأَسْقَيْنَاهُم مَّاءً غَدَقًا ﴾ [١]، أي لو استقام الناس على طريقة الإسلام ، واستمروا عليها ﴿ لأَسْقَيْنَاهُم مَّاءً غَدَقًا ﴾ أي كثيرًا ، والمراد بذلك سعة الرزق كما قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : « أينما كان الماء كان المال » [٢] ، وهذا الوعد كقوله تعالى : ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ ﴾ [٣]،وعلى هذا يكون معنى قوله تعالى : ﴿لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ﴾[٤] ؛ أي : لنختبرهم من يستمر على الهداية ممن يرتد على الغواية[٥] .

٤ - السبيل إلى الاستقامة :

إن العاقل إذا علم منزلة الذين استقاموا في الدنيا والآخرة وما لهم عند الله من الحسنى سعى حثيثًا يتلمس إليها الوسائل ، ويتابع نحوها الخطوات ، وبهذا أمرنا الرسول صلى الله عليه وسلم حين قال : « **استقيموا ولن تحصوا** » (نَفْي الإحصاء في هذا الحديث يُراد به عدم الإطاقة) لتحقيق كمال الاستقامة عند كل الناس فلا أمل من السعي نحوها ، ومحاولة القرب منها ، والاستعانة على تحقيقها - كما ينبغي - بما يوصّل إليها من عبادة وتقوى[٦] .

إذا ثبت هذا ، فإليك - أخي الحبيب - بعض الوسائل التي تعينك على الوصول إلى مرادك .

٤ - ١ : فعل الطاعات ، الاجتهاد فيها ، ومجاهدة النفس عليها :

مما يعين على تحقيق الاستقامة الالتزام بالفرائض والمحافظة عليها ، والقيام بها كما أمر الله - عز وجل - ولهذا بعد آية الأمر بالاستقامة بآية جاء الأمر بالمحافظة على الصلوات الخمس لما لها من أثر في استقامة العبد ، قال الله تعالى : ﴿ وَأَقِمِ الصَّلاَةَ طَرَفَيْ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ اللَّيْلِ﴾ [٧] . قال القرطبي : « لم يختلف أحد من أهل التأويل في أن الصلاة في هذه الآية يراد بها الصلوات الخمس » [٨] ، ثم - بعد ذلك - بذل المجهود في المستحبات والتقرب إليه - سبحانه - بالنوافل وسائر أعمال البر ،

---

(١) سورة الجن [١٦] .
(٢) القرطبي ، ج١٩ ، ص١٨ .
(٣) سورة الأعراف [٩٦] .
(٤) سورة الجن [١٧] .
(٥) مختصر ابن كثير ، ج٣ ، ص٥٥٨ - ٥٥٩ .
(٦) موسوعة أخلاق القرآن ، للشرباصي ، ج١ ، ص ١٦٨ .
(٧) سورة هود [١١٤] .
(٨) الجامع لأحكام القرآن ، القرطبي ، ج٩ ، ص١٠٩ .

قـال الله تعـالى : ((**وما تقرَّب إليَّ عبدي بشيء أحب إليَّ مما افترضته عليه وما زال عبدي يتقرَّب إليَّ بالنوافل حتى أُحبه . فإن أحببته كنت سمعه الذي يسمع به ، وبصره الذي يبصر به ، ويده التي يبطش بها ، ورجله التي يمشي بها ...**)) (١) الحديث .

ولقد أرشدنا النبي ﷺ إلى الصلاة والوضوء بعد أن أمرنا بالاستقامة فقال النبي ﷺ :
((**استقيموا ولن تحصوا واعلموا أن خير أعمالكم الصلاة ، ولا يحافظ على الوضوء إلا مؤمن ..**)) (٢) .

فالصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ، كما أنها كفارة لكثير من الذنوب كما قال تعالى :
﴿ **وَأَقِمِ الصَّلاَةَ طَرَفَيْ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ** ﴾(٣) ، وبهذا يطهر القلب ويستقيم ، كما أن في الوضوء طهارة الجوارح مما اكتسبته من الآثام كما في الحديث .

فإذا حصلت طهارة القلب ، وزكاة الجوارح - وفي مقدمتها اللسان - كان العبد أهلاً للاستقامة ، وفي هذا يقول المصطفى ﷺ : ((**لا يستقيم إيمان عبد حتى يستقيم قلبه ، ولا يستقيم قلبه حتى يستقيم لسانه**)) (٤).

٤ - ٢ : العلم :

قال ابن القيم - رحمه الله - : ((به يُعرف الله ويُعبد ، ويُذكر ويُوحَّد ، ويُحمد ويُمجّد ، وبه اهتدى إليه السالكون ، ومن طريقه وصل إليه الواصلون ، ومن بابه دخل عليه القاصدون ... مذاكرتهُ تسبيح ، والبحث عنه جهاد ، وطلبُه قُربة ، وبذلُهُ صدقة ، ومدارسته تُعْدَلُ بالصيام والقيام ، والحاجة إليه أعظمُ منها إلى الشراب والطعام)) (٥).

وبقدر أخذك منه وعملك به تكون استقامتك والتزامك ؛ لذلك قال عمر بن عثمان المكي : ((العلم قائد ، والخوف سائق ، والنفس حرون بين ذلك ، جَنوحٌ ، خدّاعةٌ ،

---

(١) رواه البخاري ، في كتاب الرقائق ، باب التواضع ، حديث رقم ٦٥٠٢ .
(٢) سبق تخريجه .
(٣) سورة هود [١١٤] .
(٤) رواه أحمد ، ج٣ ، ص ١٩٨ ، قال الهيثمي في المجمع ، ج١ ، ص٥٣ : وفي إسناده علي بن مسعدة ، وثقه جماعة وضعفه آخرون .
(٥) تهذيب مدارج السالكين ، ص ٤٨٤ - ٤٨٥ .

روَّاغةٌ ، فاحذرها وراعها بسياسة العلم ، وسُقْها بتهديد الخوف يتم لك ما تريد ›› [١] .

وأهم ما ينبغي أن يحرص عليه المسلم في طلبه للعلم . العلم بتوحيد الله - عز وجل - بأسمائه وصفاته فإنه مفتاح باب الاستقامة ولذلك ابتدأ به ﷺ فقال : ‹‹ **قل آمنت بالله ثم استقم** ›› [٢] .

قال ابن رجب –رحمه الله – : فأصل الاستقامة استقامة القلب على التوحيد ، كما فسر أبو بكر الصديق وغيره قوله : ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا** ﴾[٣] بأنه لم يلتفتوا إلى غيره [٤] .

٤ - ٣ : الإخلاص :

الرياء انحراف في النية ؛ ولذا لابد من تهذيبها حتى تستقيم فتصدق مع الله في الأقوال والأعمال ، فلا تشرك فيها معه أحدًا سواه ﴿**قُلْ إِنَّ صَلاَتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ، لاَ شَرِيكَ لَهُ** .. ﴾[٥] ، وكذلك قوله تعالى : ﴿**فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا**﴾[٦] أي بإخلاص القصد لله وإرادته وحده لا شريك له .

٤ - ٤ : متابعة السنة :

صحبة النبي ﷺ باتباع سنته واقتفاء هديه في الأفعال والأقوال والأحوال كلها من أكبر أسباب الاستقامة ‹‹ إذ إن كل فعل يفعله العبد بغير اقتداء فهو عيش النَّفْس ›› [٧] ، وعيش النفس هو الهوى كما يوضحه أبو عثمان النيسابوري - رحمه الله - حين قال : ‹‹ من أمَّر السُّنَّة على نفسه قولاً وفعلاً نطق بالحكمة ، ومن أمَّرَ الهوى على نفسه قولاً وفعلاً نطق بالبدعة›› [٨] ، والحكمة هي دليل الاستقامة ، كما أن البدعة شعار الزيغ والضلالة .

واعلم أخي الحبيب أن من فارق السنة فقد فارق الدليل وضل عن سواء السبيل ، فألزم نفسك بالسّنة ، وتحرها في كل صغيرة وكبيرة تستقم كما قال تعالى : ﴿ **وَإِنَّكَ**

---

(١) المرجع السابق ، ص ٤٨٤ .
(٢) رواه مسلم ، في كتاب الإيمان ، باب جامع أوصاف الإسلام ، حديث رقم ٣٨ .
(٣) سورة الأحقاف [١٣] .
(٤) جامع العلوم والحكم ، لابن رجب ، ج ١ ، ص ٥٠٩ - ٥١٠ .
(٥) سورة الأنعام [١٦٢ - ١٦٣] .
(٦) سورة الروم [٣٠] .
(٧) تهذيب مدارج السالكين ، ص ٤٨٣ ، وهو من أقوال سهل التُّستري .
(٨) المرجع السابق ، ص ٤٨٤ .

لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ، صِرَاطِ اللهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ ﴾[1] .

٤ ـ ٥ : التوسط والموازنة :

إن من لوازم الاستمرار على الاستقامة أن يتوسط العبد في أموره كلها بين الإفراط والتفريط ؛ ولذلك قال ﷺ وهو يوصينا بالاستقامة : ((**سددوا وقاربوا**))[2] .. فلا يُفرِط في الأخذ بالعزائم والمشقة ولا يُفرط بتتبع الرخص ، وقد قال النبي ﷺ : ((**اكلفوا من الأعمال ما تطيقون**))[3] ، والمقصود أن القليل الدائم خير من الكثير المنقطع ، على أن يكون هذا القليل في دائرة السنة كما قال النبي ﷺ لعبد الله بن عمرو بن العاص وهو يوصيه بالتوازن والوسطية ((**فمن كان فترته إلى سنتي فقد اهتدى**))[4] ، قال ابن القيم في منزلة الاستقامة ((هذه الدرجة تتضمن خمسة أمور :

١- عملاً واجتهادًا فيه ، وهو بذل المجهود .

٢- واقتصادًا ، وهو السلوك بين طرفي الإفراط : وهو الجور على النفوس ، والتفريط بالإضاعة .

٣- وقوفًا مع ما يرسُمُه العلم .

٤- وإفراد المعبود بالإرادة وهو الإخلاص .

٥- ووقوع الأعمال على الأمر ، وهو متابعة السنة .

فبهذه الأمور الخمسة تتم لأهل هذه الدرجة استقامتهم ، وبالخروج عن واحدٍ منها يخرجون عن الاستقامة إما خروجًا كليًّا ، وإما خروجًا جزئيًّا))[5] .

٤ ـ ٦ الدعاء :

لما كانت الهداية إلى الاستقامة بيد الله ـ عز وجل ـ ﴿ **مَن يَشَأِ اللهُ يُضْلِلْهُ وَمَن يَشَأْ**

(1) سورة الشورى : آية ٥١ .
(2) سبق تخريجه .
(3) رواه البخاري ، كتاب الصوم ، باب التنكيل لمن أكثر الوصل ، حديث رقم ١٩٦٦ ، قال ابن حجر في الفتح ، ج٤ ، ص ٢٠٨ : اكلفوا : بسكون الكاف وضم اللام أي احملوا المشقة في ذلك .
(4) رواه الطحاوي ، في مشكل الآثار ، ج٢ ، ص ٨٨ ، وقال الهيثمي في المجمع : رواه البزار ورجاله رجال الصحيح ، وأورده الألباني في صحيح الترغيب والترهيب ، حديث رقم ٥٥ .
(5) التهذيب ، ص ٣٣٣ .

يَجْعَلْهُ عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾[1] « لهج المؤمنون بسؤاله إياها مع بذلهم أسبابها الموصلة إليها ، فراحوا يرددون في كل ركعة من صلواتهم ﴿ **اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ** ﴾ ، ولقد قال الإمام القرطبي - رحمه الله - في قوله تعالى : ﴿ **فَاسْتَقِمْ** ﴾ قيل : اطلب الإقامة على الدين من الله واسأله ذلك ، فتكون السين سين السؤال ، كما تقول أستغفر الله ، أطلب الغفران منه »[2]، « وكان الحسن إذا قرأ هذه الآية قال : اللهم أنت ربنا فارزقنا الاستقامة »[3] .

٤ - ٧ : الصحبة الصالحة :

لقد جاء بعد آية الأمر بالاستقامة - في سورة هود - مباشرة قوله تعالى : ﴿ **وَلاَ تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ** ﴾ [4] .. قال أهل العلم : أي لا تميلوا إلى العصاة ، وقد قال القرطبي - رحمه الله - في دلالة هذه الآية : « أنها دالة على هجران أهل الكفر والمعاصي من أهل البدع وغيرهم ، فإن صحبتهم كفر أو معصية ؛ إذ الصحبة لا تكون إلا عن مودةٍ ، وقد قال حكيم [وهو طرفة بن العبد] :

عن المرء لا تسأل وسَلْ عن قرينه   فكل قرين بالمقارن يقتدي

ثم قال تعالى في : ﴿ **فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ** ﴾ ؛ أي تحرقكم بمخالطتهم ومصاحبتهم وممالأتهم على إعراضهم وموافقتهم في أمورهم »[5] ، ويعني هذا كله - بمفهوم المخالفة - ضرورة التزام الصحبة الصالحة سبيلا للاستقامة على دين الله ، والرسول ﷺ يقول : « **المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل** »[6] .

٤ - ٨ : الارتباط بالقرآن تلاوة وحفظا ، وتدبرا ، وعملا :

« إذا كان الإنسان محتاجًا - دون شك - إلى دليل يدله على طريق الاستقامة وإلى رائد يَرُودُه على ذلك الطريق ، فإن خير دليل وأصدق رائد في هذا المجال هو كتاب الله الذي يقول في شأنه رب العزة : ﴿ **إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا** ﴾[7] ، فالآية تخبرنا - وهي قول

---

(1) سورة الأنعام [٣٩] .
(2) الجامع لأحكام القرآن ، القرطبي ، ج ٩ ، ص١٠٧ .
(3) المرجع السابق ، ج ١٥ ، ص ٣٥٨ .
(4) سورة هود [١١٣] .
(5) الجامع لأحكام القرآن ، ج٩ ، ص ١٠٨ .
(6) سبق تخريجه في مبحث الأخوة .
(7) سورة الإسراء [٩] .

أصدق القائلين - بأن كتاب الله - تعالى - يهدي إلى الحالة التي هي أقوم الحالات ، وإلى الطريقة التي هي أعدل الطرق ، وهي طريقة الإيمان بالله ، وشهادة أن لا إله إلا الله ، وأن محمدا رسول الله ، والإيمان برسله ، والعمل بطاعته)) .

وقد أكد الله - تبارك وتعالى - لعباده هذا المعنى حين قال عن كتابه : ﴿ **إِنْ هُوَ إِلاَّ ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ ، لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ** ﴾(1) ، فهذا القرآن بيان وهداية للناس جميعًا ، إذا أرادوا الهداية والرشاد ، وإنما ينتفع بهداية القرآن الكريم من شاء من هؤلاء أن يستقيم :
﴿ **إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَالْمَوْتَى يَبْعَثُهُمُ اللهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ** ﴾(2)(3) .

وهذا حذيفة ﷺ ينادي فيقول : ((يا معشر القراء .. استقيموا فقد سَبَقْتُم سَبْقًا بعيدًا ، فإن أخذتم يمينًا وشمالاً لقد ضللتم ضلالاً بعيدًا))(4) .

٥ - آثار الاستقامة في حياة المسلم :

لما كانت الاستقامةُ كلمة جامعةً آخذةً بمجامع الدين ، متعلقةً بالأقوال والأفعال والأحوال كان لابد من ظهور آثار لها في حياة المسلم المستقيم .

٥ - ١ التوحيد الخالص :

إن من أوضح آثار الاستقامة في حياة المؤمن توحيده لله - عز وجل - توحيدًا لا تخالطه شائبة شرك ، لذلك تراه سائلاً إياه ، لائذاً بحماه ، واثقا به ، متوكلاً عليه ، لا يخاف إلا الله ولا يحب إلا الله .. يعلم ((أن الأمة لو اجتمعوا على أن ينفعوه بشيء لم ينفعوه إلا بشيء قد كتبه الله له ، ولو اجتمعوا على أن يضروه بشيء لم يضروه إلا بشيء قد كتبه الله عليه ، وأن ما أصابه لم يكن ليخطئه وما أخطأه لم يكن ليصيبه)) .

٥ - ٢ الدعوة إلى الله :

لقد قرن الله - عز وجل - الأمر بالدعوة مع الأمر بالاستقامة في آية واحدة فقال :
﴿ **فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ** ﴾(5) ، وبعد آيات الإشادة بأصحاب الاستقامة في

(1) سورة التكوير [٢٧ - ٢٨] .
(2) موسوعة أخلاق القرآن ، ج ١ ، ص١٦٨ - ١٦٩ ، وانظر أيضًا الاستقامة منهج حياة ، محيي الدين مستو ، ص ٢١ ، دار الكلم الطيب ، دمشق ، ط ١ .
(3) سورة الأنعام [٣٦] .
(4) رواه البخاري ، في كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة ، باب الاقتداء بسنن رسول الله ﷺ ، حديث رقم ٧٢٨٢ .
(5) سورة الشورى [٥] .

سورة فصلت أتبعها مباشرة بآيات الدعوة إلى الله - عز وجل - فقال : ﴿ **وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَا إِلَى اللهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ** ﴾(١) .. فنفعه لنفسه باستقامته ولغيره بدعوته ..

٥ - ٣ : الجد وعلوّ الهمة :

لما كانت الاستقامة تحمل صاحبها على التقيد بدين الله ، والوقوف عند حدوده ، والاستجابة لأمره ، والانتهاء عن محارمه ، وتدعوه للاستقامة في عقيدته وتصوراته ، في سلوكه وأحكامه ؛ لذا فإن الصبر على تكاليفها وتبعاتها لا يستطيع عليه المهازيل ، ولا يرقى إليها إلا أصحاب الجد والتشمير ؛ ولذلك قال الحسن : لما نزلت ﴿ **فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ** ﴾(٢) شمر رسول الله ﷺ فما رؤي ضاحكًا (٣)، وقال ﷺ : ((**شيبتني هود**)) (٤)، وذلك لأنه حَمَل همَّها بجد وعزيمة ، قال ابن عباس : ((ما نزلت على رسول الله ﷺ آية أشد ولا أشق عليه من هذه الآية)) ؛ ولذلك كانت الاستقامة من أعظم الكرامة ... قال ابن القيم - رحمه الله تعالى - : سمعت شيخ الإسلام ابن تيمية - قدَّس الله تعالى روحه - يقول : ((أعظم الكرامة لزوم الاستقامة)) (٥) .

٥ - ٤ : الثبات :

روي عن عمر بن الخطاب أنه قرأ هذه الآية على المنبر ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا** ﴾(٦) فقال : ((لم يروغوا روغان الثعلب))(٧)، فالمستقيم قد عرف طريقه ، وآمن بدعوته ، ومضى عليها ، لا يميل ولا يزيغ ، ولا يتلوَّن ولا يتذبذب .. ثابت القدم ، راسخ اليقين ، لا تؤثر به فتنة ولا تغيرِّه محنة .

٥ - ٥ : الشعور بالتقصير :

---

(١) سورة فصلت [٣٣] .
(٢) سورة الشورى [٥] .
(٣) جامع العلوم والحكم ، ص ٥٠٩ ، بتحقيق الأرناؤوط .
(٤) حديث صحيح ، روي من حديث أبي بكر وابن عباس وغيرهما - رضي الله عنهم - ، صححه الأرناؤوط ، انظر جامع العلوم ، حاشية ، ص ٥١٠ ، وهو في السلسلة الصحيحة للألباني ، حديث رقم ٩٥٥ .
(٥) تهذيب المدارج ، ص ٣٣٢ .
(٦) سورة الأحقاف [١٣] .
(٧) رواه ابن المبارك في الزهد ، حديث رقم ٣٢٥ ، وأحمد في الزهد أيضًا ، ص ١١٥ ، والطبري في جامع البيان ، ج٢٤ . ص ١١٥ ، وفيه انقطاع . انظر تحقيق جامع العلوم والحكم للأرناؤوط ، ص ٥٠٨ .

لما كان تحقيق الاستقامة المطلوبة أمرًا صعبًا ، والمواظبة عليها مع العمل بمقتضاها أشد وأصعب فلابد من التقصير الذي يتطلب الاستغفار قال تعالى : ﴿ **فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ** ﴾ (١) قال ابن رجب : ((إشارة إلى أنه لابُد من تقصير في الاستقامة المأمور بها ، فيُجبر ذلك بالاستغفار المقتضي للتوبة والرجوع إلى الاستقامة ، فهو كقول النبي ﷺ لمعاذ : ((**اتق الله حيثما كنت وأتبع السيئة الحسنة تمحُها**)) (٢)(٣).

٦ - عوائق الاستقامة :

٦ - ١ الاستهانة بالمعصية :

ياَ للهِ ! كم أهلكت المعاصي أناسًا كانوا صالحين فأردتهم صرعى الشهوات ، وصدتهم عن الطاعات ؟! .. ، ولهذا يقول ابن القيم - رحمه الله - وهو يذكر عقوبات المعاصي ، ومنها حرمان الطاعة : ((فلو لم يكن للذنب عقوبة إلا أن يصد عن طاعة تكون بدله ، وتقطع طريق طاعة أخرى ، فينقطع عليه بالذنب طريق ثالثة ثم رابعة وهلمَّ جرًّا ، فينقطع عليه بالذنب طاعات كثيرة كلٌّ واحدة منها خير له من الدنيا وما عليها ، وهذا كرجل أكل أكلة أوجبت له مرضة طويلة منعته من عدة أكلات أطيب منها)) (٤) .

وربما يستهين المسلم بمعصية حتى تجتمع عليه أخواتها ، فالسيئة - كما قيل - تدعو أختها ؛ ولذلك قال النبي ﷺ : ((**إياكم ومحقرات الذنوب ، فإنهن يجتمعن على الرجل حتى يهلكنه**)) (٥)، وقال أنس يحذر معاشر التابعين من الاستهانة بالمعاصي فيقول لهم : ((إنكم لتعملون أعمالاً ، هي أدق في أعينكم من الشعر كنا نعدُّها على عهد رسول الله ﷺ من الكبائر))(٦) ، وقد قيل : ((كم من أكلة منعت قيام ليلة ، وكم من نظرة منعت قراءة سورة ، وإن العبد ليأكل أكلة ، أو يفعل فعلة ، فيحرم بها قيام سنة ، وكما أن الصلاة

---

(١) سورة فصلت [٦] .
(٢) رواه الترمذي ، كتاب البر والصلة ، حديث رقم ١٩١٠ ، وقال : حسن صحيح ، وأحمد ، ج٥ ، ص ١٥٣ ، ١٥٨ ، ١٦٩ ، ١٧٧ ، ٢٢٨ ، ٢٣٦ ، وحسنَّه الأرناؤوط في جامع العلوم والحكم ، انظر حاشية صفحة ٣٩٥ .
(٣) جامع العلوم والحكم ، ص٥١٠ ، قال محققه عن حديث معاذ : حسن ، رواه أحمد والترمذي .
(٤) الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي ، لابن القيم ، ص ١٠٦ ، تحقيق يوسف بديوي ، مكتبة التراث .
(٥) رواه أحمد ، ج١ ، ص٤٠٢ وغيره ، وهو في صحيح الجامع ، حديث رقم ٢٦٨٧ .
(٦) رواه البخاري ، كتاب الرقائق ، حديث رقم ٦٠١١ ، وأحمد ، ج٣ ، ص١٥٧ ، ٢٨٥ ، ٤٧٠ ، ج٥ ، ص٧٩ .

تنهى عن الفحشاء والمنكر ، فكذلك الفحشاء تنهى عن الصلاة ، وسائر الخيرات)) [1]
.

٦ ـ ٢ : الانشغال بالدنيا عن الآخرة :

قال ﷺ : ((**ما الفقر أخشى عليكم ، ولكن أخشى عليكم أن تبسط الدنيا عليكم كما بسطت على من كان قبلكم ، فتنافسوها كما تنافسوها ، وتهلككم كما أهلكتهم**)) [2].

٦ ـ ٣ : التوسع في المباحات :

من توسع في المباحات تقاعس عن المهمات وقصر في الواجبات .

٦ ـ ٤ : الوسط السيئ :

في الوظيفة ـ في الأسرة ـ في المجتمع . قال تعالى : ﴿ **وَلاَ تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا** ﴾[3].

٧ ـ صور مشرقة من سير سلفنا الصالح :

وبعد فكتب السير طافحة بصور مشرقة لأهل الاستقامة من السلف الصالح ، والوقوف عند هذه السير ، والاقتداء بأصحابها من أعظم أسباب الاستقامة والثبات عليها .

٧ ـ ١ : استقامة اللسان :

إن أعظم ما يُراعى استقامته بعد القلب من الجوارح اللسان ، قال النبي ﷺ : ((**لا يستقيم إيمان عبد حتى يستقيم قلبه ، ولا يستقيم قلبه حتى يستقيم لسانه**)) [4] ، ولذلك عُني السلف باستقامة ألسنتهم عناية بالغة وإليك بعض ما أثر عنهم :

قال بكر بن منير : سمعت أبا عبد الله البخاري يقول : ((أرجو أن ألقى الله ولا يحاسبني أني اغتبتُ أحدًا)) . قال الذهبي معلقًا على هذا : ((صَدَقَ ـ رحمه الله ـ ومن نظر في كلامه في الجرحِ والتعديلِ علم ورَعَه في الكلام في الناس ، وإنصافه فيمن يُضعِّفُه ، فإنه أكثر ما يقول : منكر الحديث ، سكتوا عنه ، فيه نظر ، ونحو هذا . وقلَّ أن يقول : فلان

---

(1) الإحياء ، ج١ ، ص٣٥٦ .
(2) رواه البخاري ، ج٥ ، ص١٠٨ ، ورواه مسلم ، في كتاب الزهد والرقائق ، حديث رقم ٢٩٦١ .
(3) سورة هود [١١٣] .
(4) سبق تخريجه .

كذَّاب . حتى إنه قال : إذا قلت فلان في حديثه نظر ، فهو متهم واهٍ ، وهذا معنى قوله : لا يحاسبني الله أني اغتبت أحدًا وهذا هو والله غاية الورع»[1] ، وقال البخاري عن نفسه : ما اغتبت أحدًا قط منذ علمت أن الغيبة تضرُّ أهلها[2] . وقيل له (أي البخاري) : كيف لا تدعو الله على هؤلاء الذين يظلمونك ويتناولونك؟ فقال : قال النبي ﷺ : « **اصبروا حتى تلقوني على الحوض** » [3] .

٧ - ٢ : استقامة الهموم :

قال ﷺ : « **من كانت همه الآخرة ، جمع الله له شمله ، وجعل غناه في قلبه ، وأتته الدنيا راغمة ، ومن كانت همه الدنيا ، فرّق الله عليه أمره وجعل فقره بين عينيه ، ولم يأته من الدنيا إلا ما كتب الله له** » [4] فقد كان السلف لا يتحدثون بحديث إلا وللآخرة نصيب منه ، فلا يفرحون إلا للآخرة ، ولا يحزنون إلا للآخرة .

ومما جاء في ترجمة الصحابي الجليل حممة بن أبي حممة أنه بات ليلة عند التابعي هرم ابن حيان العبدي ، فرآه يبكي الليل أجمع ، فقال له هرم : ما يبكيك؟ قال : ذكرت ليلة صبيحتها تبعثر القبور ، ثم بات عنده ليلة ثانية فبات يبكي فسأله فقال : ذكرت ليلة صبيحتها تتناثر النجوم[5] .

ومن صور تعلقه بالآخرة أنه عندما غزا أصبهان في زمن عمر رضي الله عنه قال : « اللهم إن حممة يزعم أنه يحب لقاءك ، اللهم إن كان صادقا فاعزم له بصدقه ، وإن كان كاذبًا فاحمله عليه وإن كره ، اللهم لا ترجع حممة من سفره هذا ، فمات بأصبهان » [6] .

٧ - ٣ الثبات على الاستقامة :

أ - مهما اشتد البلاء ، فأهل الاستقامة ثابتون على عقيدتهم ، لا تعصف بهم الأهواء ، ولا تزل بهم الأنواء .. ومن هؤلاء كعب بن مالك ؛ حين اعتزله الناس وجفاه أقرب الناس إليه .. لتخلفه عن غزوة (تبوك) : « فبينما أنا أمشي في سوق المدينة إذا نبطيٌّ من نبط أهل الشام ممن قدم بالطعام يبيعه بالمدينة يقول : مَنْ يَدُلُّ

---

(1) سير أعلام النبلاء ، ج١٢ ، ص ٤٣٩ - ٤٤١ .
(2) المرجع السابق ، ج١٢ ، ص٤٤١ .
(3) سير أعلام النبلاء ، للذهبي ، ج١٢ ، ص ٤٦١ ، وحديث (اصبروا) رواه البخاري ، ج ٣ ، ص ١٥٠ ، ورواه مسلم في الزكاة ، حديث رقم ١٣٢ .
(4) رواه ابن ماجه ، وصححه الألباني ، صحيح الجامع ، حديث رقم ٦٣٩٢ .
(5) قال ابن الأثير في أسد الغابة ، ج٢ ، ص٥٣ : ذكره أحمد بن حنبل في كتاب الزهد عن هرم بن حيان العبدي .
(6) أسد الغابة ، ج٢ ، ص ٥٣ ، انظر للتوسع : واحات الإيمان لعبد الحميد البلالي ، ص ١٠٩ ، المجموعة الأولى .

على كعب بن مالك فطفق الناس يُشيرونَ له إليَّ حتى جاءني فدفع إليَّ كتابًا من ملك غسَّان ، وكنت كاتبًا ، فقرأتُهُ فإذا فيه : أما بعد فإنه قد بلغنا أنّ صاحبَكَ قد جفاك ، ولم يَجعلك اللهُ بدار هوان ولا مضيعةٍ فالْحَقْ بنا نواسكَ ، فقلت حين قرأتُها : وهذه أيضًا من البلاء !! فتيمَّمتُ بها التَّنُّورَ فسجرتها)) [1] .

وهكذا لم تستهوه تلك الرسالة التي تدعوه للمواساة ، وهو في أشد الحاجة إليها وقد هجره الناس كلهم .. فثبت على استقامته ، وكان التنور هو أبلغ جواب لتلك الشهوات الزائلة .. صدق مع الله فجعله الله من الصادقين ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ** ﴾ [2] .

ب - وصورة أخرى يجسدها لنا أبو بكر ﷺ ومواقفه من المرتدين ومانعي الزكاة بعد وفاة رسول الله ﷺ ، يُظهر بوضوح صدق العزيمة والثبات في نصرة دين الله ، والجزيرة العربية تضطرب بالردة والنفاق ، وهو ثابت كالطود الأشم لا يتنازل عن عقال ولا عن عَناق حتى نصره الله تعالى ، وبقي ﷺ علمًا لمن أراد الاستقامة ، وطلبَ القدوة الصالحة[3] .

٨ - أحاديث في الاستقامة [4] :

٨ - ١ : عن سفيان بن عبد الله الثقفي ﷺ ، قال : قلت يا رسول الله قلْ لي في الإسلام قولاً ، لا أسأل عنه أحدًا غيرك - وفي رواية بعدك - قال ﷺ : ((**قل آمنت بالله ثم استقم**))

[رواه مسلم في كتاب الإيمان ، باب جامع أوصاف الإسلام ، رقم ٣٨ ، ورواه الترمذي في الزهد (٢٤١٠) وأحمد في المسند ج٣ ، ص ٤١٣ ، وابن ماجة في الفتن (٣٩٧٢) ، وفيه زيادة : قلت يا رسول الله ! ما أكثرُ ما تخاف علي ؟ فأخذ بلسان نفسه ثم قال : ((**هذا**))] .

٨ - ٢ : عن أنس ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : ((**لا يستقيم إيمان عبدٍ حتى يستقيم قلبه ولا يستقيم قلبه حتى يستقيم لسانه**)) . رواه أحمد ج٣ ، ص ١٩٨ .

---

(1) رواه البخاري ، كتاب المغازي ، باب غزوة تبوك ، ورواه مسلم ، في كتاب التوبة ، باب توبة كعب بن مالك ، حديث رقم ٢٧٦٩ .
(2) سورة التوبة [١١٩] .
(3) الاستقامة منهج حياة ، محيي الدين مستو ، ص ١٠٧ .
(4) هذه الأحاديث مع تخريجاتها من كتاب الاستقامة منهج حياة لمحيي الدين مستو ، ص ٥٢ ، ٦٩ .

٨ - ٣ : عـن ثوبـان ﷺ ، قـال : قـال رسـول الله ﷺ : ((**استقيموا ولن تُحصوا ، واعلموا أن خير أعمالكم الصلاة ، ولا يحافظ على الوضوء إلا مؤمن**)) . رواه أحمد في المسند ، ج٥ ، ص ٢٢٧ ، وابن ماجة في الطهارة (باب ثواب الطهور ص ٢٢٧ وفيه انقطاع بين سالم وثوبان ، وابن حبان ص١٠٣٧) بلفظ (**سدِّدوا وقاربوا**) من طريق ثوبان مفصلاً ، ورواه مالك في الموطأ بلاغًا ج١ ، ص٣٤ ، ورواه ابن ماجة عن أبي أمامة ص ٢٧٩ بلفظ : ((**استقيموا ، ونعمّا إن استقمتم**)) .

٨ - ٤ : عن أبي سعيد الخدري ﷺ موقوفًا ومرفوعًا : ((**إذا أصبح ابن آدم ، فإن الأعضاء كلها تُكفر اللسان ، فتقول : اتق الله فينا ، فإنما نحن بك ، فإن استقمت استقمنا ، وإن اعوججت اعوججنا**)) . رواه الترمذي في الزاهد (٢٤٠٧) وابن خزيمة في صحيحه ، والبيهقي في الشعب (٤٩٤٥) ، وقال العراقي في تخريجه أحاديث الإحياء : إسناد الرفع جيد ، لكن الموقوف أجود .

خامسا : بعض التطبيقات العملية المقترحة لتأكيد معاني الدرس :

١- إن الاستقامة تبدأ من التزام المرء بالفرائض وفي مقدمتها الصلاة ، ولذلك فإن من التطبيقات العملية الحرص على عدم تفويت تكبيرة الإحرام مع الإمام لا سيما صلاة الفجر .
٢- عدم الجلوس في مجالس الغيبة والنميمة أو في مجالس الغناء ورؤية الأفلام الهابطة أو النساء الكاشفات .. (استقامة القلب/ استقامة اللسان) مع الحرص على استقامة اللسان بكفِّه عن فضول الكلام .
٣- قراءة تفسير قوله تعالى : ﴿ **اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ** ﴾ ، ومحاولة إلقاء كلمة حولها على مجمع من الإخوان في الله .
٤- الابتعاد عن الصحبة السيئة ماديًّا أو شعوريًّا في حالة عدم التمكن من اعتزالهم لظروف عمل ونحوها .

سادسا : المراجع :

١- تهذيب مدارج السالكين ، ابن القيم ، مكتبة السوادي .
٢- واحات الإيمان ، عبد الحميد البلالي ، دار الدعوة ، ط ١ .
٣- الاستقامة منهج حياة ، محيي الدين مستو ، دار الكلم الطيب ، ط١ .

٤- تكاليف القلب السليم ، محمد بن صفوك العلي ، مكتبة الصحابة الإسلامية ، ط١.
٥- أين نحن من أخلاق السلف ، عبد العزيز الجليل ، بهاء الدين عقيل ، دار طيبة ، ط١ .
٦- آفات على الطريق ، السيد محمد نوح ، دار الفرقان (دار الوفاء) ، ط ١ .
٧- السلسلة الذهبية ، مازن الفريح ، دار الأندلس الخضراء ، ط ١ .
٨- مختصر تفسير ابن كثير ، الصابوني ، دار القرآن الكريم .
٩- الجامع لأحكام القرآن ، القرطبي .
١٠- جامع العلوم والحكم ، ابن رجب ، تحقيق الأرناؤوط ، مؤسسة الرسالة .
١١- إسلامنا ، السيد سابق ، دار الكتاب العربي .
١٢- الاستقامة ، خالد بن إبراهيم الضالع ، مكتبة السعدي .
١٣- سير أعلام النبلاء ، الإمام الذهبي ، مؤسسة الرسالة .
١٤- فتح الباري ، ابن حجر ، دار المعرفة .
١٥- في ظلال القرآن ، سيد قطب ، دار الشروق .
١٦- موسوعة أخلاق القرآن ، الشرباصي ، دار الرائد العربي ، ط ٣ .
١٧- التفسير الوجيز ومعجم معاني القرآن العزيز ، وهبة الزحيلي ، دار الفكر ، ط ٢ .
١٨- أسد الغابة ، ابن الأثير ، دار إحياء التراث العربي .
١٩- الداء والدواء أو الجواب الكافي فيمن سأل عن الدواء الشافي ، لابن القيم ، مكتبة دار التراث ، تحقيق يوسف علي بدوي ، ط٣ .
٢٠- نزهة المتقين شرح رياض الصالحين ، د . مصطفى الخن وآخرون ، مؤسسة الرسالة ، ط١٨.
٢١- صحيح البخاري .
٢٢- صحيح مسلم .
٢٣- السلسلة الصحيحة للألباني .
٢٤- صحيح الجامع الصغير ، للألباني .
٢٥- لسان العرب ، لابن منظور .
٢٦- فتح القدير ، للشوكاني ، ت : عبد الرحمن عميرة ، دار الأندلس الخضراء .

٢٧- صحيح الترغيب والترهيب ، للألباني .
٢٨- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ، للهيثمي .
٢٩- مشكاة المصابيح ، للتبريزي ، تحقيق الألباني .
٣٠- اللؤلؤ والمرجان ، محمد فؤاد عبد الباقي ، دار الجيل .
٣١- موسوعة أطراف الحديث النبوي الشريف ، محمد السعيد زغلول ، دار الفكر .

أمانـــة

الأمانـة

أولا : دلالة المصطلح :

أ - لغة : في مادة أمن .

الأمانة : الوفاء [1] .

وفي لسان العرب[2] : الأمان والأمانة بمعنى .. والأمن : ضد الخوف ، والأمانة : ضد الخيانة .

وائتمن فلانًا : وثق به ، وائتمن فلانًا على الشيء : جعله أمينًا عليه ، والأمنة : جمع أمين وهو الحافظ .

وفي الحديث : ((**المؤذن مؤتمن**)) ؛ مؤتمن القوم : الذي يثقون إليه ويتخذونه أمينًا حافظًا ، تقول : اؤتمن الرجل فهو مؤتمن يعني أن المؤذن أمين الناس على صلاتهم وصيامهم.

ب - اصطلاحًا :

لقد تعددت تعريفات أهل العلم للأمانة :

قال القرطبي : ((الأمانة والعهد يجمع كل ما يحمله الإنسان من أمر دينه ودنياه قولاً وفعلاً ، وهذا يعم معاشرة الناس والمواعيد وغير ذلك ؛ وغاية ذلك حفظه والقيام به ، والأمانة أعم في العهد ، وكل عهد فهو أمانة فيما تقدم فيه قول أو فعل أو معتقد)) [3] .

وقال - رحمه الله - : ((والأمانة تعم جميع وظائف الدين على الصحيح في الأقوال ، وهو قول الجمهور)) [4] ، وذلك في تفسير قوله تعالى : ﴿ **إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ** ﴾[5] الآية .

ومن المعاصرين من عرَّفها فقال : ((الأمانة أحد الفروع الخلقية لحب الحق وإيثاره ، وهي ضد الخيانة والأمانة في جانبها النفسي خلق ثابت في النفس يعف به

---

(1) المعجم الوجيز ، ص ٢٦ .
(2) لسان العرب لابن منظور ، ج١ ، ص ١٤٠ وما بعدها (ملخصًا) .
(3) جامع أحكام القرآن ، القرطبي ، ج١٢ ، ص ١٠٧ .
(4) المرجع السابق ، ج١٤ ، ص٢٥٣ .
(5) سورة الأحزاب [٧٢] .

الإنسان عما ليس له به حق ، وإن تهيأت له ظروف العدوان عليه دون أن يكون عرضة للإدانة عند الناس ، ويؤدي به ما عليه أو لديه من حق لغيره ، وإن استطاع أن يهضمه دون أن يكون عرضة للإدانة عند الناس))[1] ثم قال : وقد ظهر لنا من تعريف الأمانة أنها تشتمل على ثلاثة عناصر :

الأول : عفة الأمين عمَّا ليس له به حق .

الثاني : تأدية الأمين ما يجب عليه من حقٍّ لغيره .

الثالث : اهتمام الأمين بحفظ ما استؤمن عليه من حقوق غيره ، وعدم التفريط بها والتهاون بشأنها [2] .

ثانيا : الأهداف :

نهدف من عرض هذا الموضوع إلى :

١- التأكيد أن الأمانة صفة امتدح الله بها المؤمنين ، وجعلها خصلة من خصال المفلحين ، الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون .
٢- إيضاح شمولية الأمانة لمجالات الدين كافة ، فالأمانة في الاعتقاد : التوحيد ، والأمانة في العبادات : المتابعة والإخلاص ، والأمانة في الخلق كف الأذى والأمن من الغوائل والبوائق.
٣- التأكيد على أمانة الدعوة وتبعات هذه الأمانة من بذل وتضحية وصبر ومصابرة لإعلاء كلمة الله ونشر الخير بين العباد .
٤- بيان أن الداعية أمين في علمه وخلقه ودعوته مقتديًا برسل الله وأنبيائه الذين كانت الأمانة دثارهم وشعارهم ، فقال كل واحدٍ منهم لقومه : ((**إني لكم رسول أمين**)).
٥- التأكيد على أن الكتمان لأسرار الإخوان في مجالسهم ، والأهل في بيوتهم وفرشهم من الأمانة التي يجب الحفاظ عليها ورعايتها .
٦- التحذير من الخيانة بجميع صورها ومجالاتها ، وأنها من صفات المنافقين . وبيان ما يترتب عليها من فساد في أمور الدنيا والدين .
٧- التعرف على بعض الأحكام الشرعية المتعلقة بالأمانة والخيانة .

ثالثا : عناصر الموضوع :

---

(1) الأخلاق الإسلامية وأسسها ، الدكتور عبد الرحمن الميداني ، ص٦٤٥ ، دار القلم ، ط٤ .
(2) المرجع السابق ، ص٦٤٦ - ٦٤٧ .

١- لماذا نتحدث عن الأمانة ؟
٢- فضيلة الأمانة وأهلها ؟
٣- مجالات الأمانة ؟
٣ - ١ : أمانة الفطرة (التوحيد) .
٣ - ٢ : الأمانة في الدعوة .
٣ - ٣ : الأمانة في الجوارح .
٣ - ٤ : الأمانة في الحقوق .
٣ - ٥ : الأمانة في المجالس .
٣ - ٦ : الأمانة في الاستشارة والنصح .
٣ - ٧ : الأمانة في الأسرة .
٣ - ٨ : أمانة إتقان العمل .
٤- التحذير من الخيانة .
٥- أحكام تتعلق بالأمانة :
٥ - ١ : هل نعامل الخائن بالمثل؟
٥ - ٢ : من أودعت عنده أمانة فتلفت .
٥ - ٣ : قلة الأمناء شرط من أشراط الساعة .
٥ - ٤ : أمانة التولية .
٦- صورة مشرقة في الأمانة .
٧- أحاديث في الأمانة [تخريجها وبيان ما ذكره أهل العلم فيها] .

رابعا : العرض :

١ - لماذا نتحدث عن الأمانة ؟

إن من وراء عرض هذا الموضوع أسبابًا عديدة منها :

١ - ١ : الفهم القاصر لمفهوم الأمانة عند كثير من الناس ، حيث يحصرونها في أداء الإنسان ما أودع عنده من الودائع المالية إلى أهلها ، هذا وإن كان من معاني الأمانة فإنه من أضيق معانيها وحدودها .

١ - ٢ : التقصير في الكثير من الواجبات والمسؤوليات التي هي بمثابة الأمانات التي يجب على المسلم أن يبذل فيها جهده لأدائها على أحسن وجه وأكمل صورة ، ألم تر أن الرسول ﷺ عدَّ المقصر في إصلاح أهله وذريته غاشًّا وخائنًا حيث قال : ((**ما من عبد يسترعيه الله رعية يموت يوم يموت وهو غاش لرعيته إلا حرّم الله عليه الجنة**)) . متفق عليه ، وعند مسلم من حديث معقل بن يسار مرفوعًا : ((**ما من أمير يلي أمور المسلمين**

، **ثم لا يَجْهدُ لهم ، وينصح لهم إلا لم يدخل معهم الجنة**)) . قال أهل العلم : ((هذه الأحاديث وأمثالها تنطبق على كل من يتولى أمر غيره ولو كان يتولى أمر إنسان واحد .. فرب الدار وأبو العيال .. كل هؤلاء أمراء مسؤولون عن أماناتهم ومسؤولياتهم تجاه رعيتهم))[1] .

١ ـ ٣ : أهمية الأمناء في قافلة الدعوة إلى الله - عز وجل - ، فالداعية الأمين موضع ثقة الناس واحترامهم كما أن المخلِّط الخائن مناط سخطهم واحتقارهم ، ونتيجة ذلك أن ينجح الأول في تبليغ دعوته ، بينما يخفق الثاني في مهمته .

١ ـ ٤ : التحذير من الخيانة وبيان عواقبها مع التنبيه على صور سيئة للخيانة يقع فيها الكثير من الناس جهلاً أو تجاهلاً كإفشاء الأسرار وفضح حرمة المجالس بل والبيوت ... إلخ .

١ ـ ٥ : إن الأمانة وصية يتواصى المسلمون برعايتها ويستعينون بالله على حفظها حتى إنه عندما يكون أحدهم على أهبة سفر ، يقول له أخوه : (استودع الله دينك وأمانتك وخواتيم عملك)[2] ، فحريّ بالمسلم أن يقف عندها مذكرًا نفسه ناصحًا إخوانه برعايتها وحفظها .

١ ـ ٦ : إن الأمانة فضيلة ضخمة ، لا يستطيع حملها الرجال المهازيل ، وقد ضرب الله المثل لضخامتها ، فأبان أنها تثقل الوجود كله ، فلا ينبغي للإنسان أن يستهين بها ، أو يفرط في حقها وإلا كان من الجاهلين الظالمين .

٢ ـ فضيلة الأمانة وأهلها :

لما كانت الأمانة خصلة سامية ، وخلَّة راقية ، وخلقًا كريمًا ، وسلوكًا قويمًا ، فقد دعا إليها الإسلام ، وحبب فيها ، بل وأمر بها ، وأعلى منزلة أصحابها وإليك أخي الكريم - بعض ما ورد في الآيات القرآنية والسنة النبوية في فضل الأمانة ومنزلة أصحابها :

٢ ـ ١ : الأمانة سبيل إلى الفلاح :

لقد جعل الله - عز وجل - الأمانة سببًا لدخول جنات النعيم ، ووصف بها عباده المفلحين ، فقال : ﴿ **قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُون** ﴾ ، ثم ذكر من صفاتهم : ﴿ **وَالَّذِينَ هُمْ لأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ * أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ * الَّذِينَ يَرِثُونَ**

---

(1) انظر السلوك الاجتماعي في الإسلام ، حسن أيوب ، ص ١٢٩ .
(2) رواه الترمذي ، كتاب الدعوات ، حديث رقم ٢٣٦٥ ، وقال : حديث حسن صحيح غريب ، وهو في السلسلة الصحيحة للألباني ، حديث رقم ١٤ .

الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾(١) فجعل جزاءهم الفردوس ، وفي صحيح مسلم : ((فإذا سألتم الله فسلوه الفردوس فإنه أوسط الجنة وأعلى الجنة ومنه تفجر أنهار الجنة)) . نسأل الله - عز وجل - أن نكون من أهلها وأن نستعملها للعمل لها ، قال أبو حاتم محمد بن حبَّان : قوله ﷺ : ((فإنه أوسط الجنة)) يريد أن الفردوس في وسط الجنان في العرض وهو أعلى الجنة ((يريد في الارتفاع)) (٢) .

٢ - ٢ : صفة الرسل والأنبياء :

الأمانة خلق يتصف به أشراف الناس وخيارهم ، وأعلى الناس شرفًا وأسماهم منزلة رسل الله صلوات الله وسلامه عليهم ، فقد كانت الأمانة دثارهم وشعارهم ؛ لذا يقول كل واحد منهم لقومه بصدق وإخلاص : ﴿ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴾ [انظر سورة الشعراء قول نوح ولوط وهود وصالح وشعيب عليهم الصلاة والسلام] ولقب سيد الأنبياء ﷺ بالأمين ، ولذلك عندما أراد هرقل - عظيم الروم - أن يستدل على صدق نبينا محمد ﷺ سأل أبا سفيان (وهو يومئذ مشرك) عن خُلقِه وماذا يأمر به .. ثم قال هرقل لأبي سفيان : (وسألتك هل يغدر؟ فذكرت أن لا ، وكذلك الرسل لا تغدر)(٣)، و (سألتك ماذا يأمركم) فزعمت أنه يأمر بالصلاة والصدق والعفاف والوفاء بالعهد وأداء الأمانة ، قال - أي هرقل - (وهذه صفةُ نبي) (٤) .

٢ - ٣ : الأمانة علامة الإيمان :

كما أن الأمانة صفة لازمة للأنبياء والمرسلين فهي خصلة راسخة في أفئدة المؤمنين ولذلك قال ﷺ : ((ألا أخبركم بالمؤمن ؟ من أمنه الناس على أموالهم وأنفسهم)) (٥) ، بل ويجعل الإيمان والأمانة صنوان لا يفترقان ، فإذا ذهبت الأمانة من قلب ترحّل الإيمان منه قال ﷺ : ((لا إيمان لمن لا أمانة له ، ولا دين لمن لا عهد له)) (٦) .

---

(١) سورة المؤمنون [٨-١١] .
(٢) جامع الأحكام للقرطبي ، ج ١٢ ، ص ١٠٨ .
(٣) رواه البخاري ، انظر فتح الباري ، ج١ ، ص ٣٢ .
(٤) رواه البخاري ، انظر الفتح ، ج ٥ ، ص ٢٨٩ ، حديث رقم ٢٦٨١ .
(٥) رواه أحمد ج ٦ ، ص ٢١ ، وابن ماجة ، حديث رقم ٣٩٣٤ ، وهو في الصحيحة للألباني ، حديث رقم ٥٤٩.
(٦) رواه أحمد ، ج٣ ، ص ١٣٥ ، ١٥٤ ، ٢١٠ ، ٢٥١ ، وهو في صحيح الجامع ، حديث رقم ٧١٧٩ .

٢ ـ ٤ : الأمانة تعدل الدنيا وما فيها :

من رزقه اللهُ الأمانة هانت عنده الدنيا ومتاعها الزائل ، فلا يبيع أمانته بعرض من أعراضها قال ﷺ : ((**أربع إذا كن فيك فلا عليك ما فاتك من الدنيا ، حفظ أمانة ، وصدق حديث ، وحسن خليقة ، وعفة طعمة**)) [1] .

٢ ـ ٥ : الأمناء أهل للمسؤولية :

الأمانة رفعت منزلة أصحابها بين الناس فكانوا موضع ثقتهم ؛ ولهذا وسدوا أمورهم إليهم ولذلك قالت ابنة شعيب : ﴿ **يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الأَمِينُ** ﴾[2] ، وقال أبو بكر لزيد بن ثابت عندما أمره أن يجمع القرآن ، قال له : ((إنك رجل شاب عاقل لا نتهمك ، قد كنت تكتب الوحي لرسول الله ﷺ ، فتتبع القرآن فاجمعه))[3] ؛ ولهذا بوَّب الإمام البخاري لهذا الخبر بابًا فقال : باب يُستحب للكاتب أن يكون أمينًا عاقلاً.

٣ ـ مجالات الأمانة :

تتسع الأمانة في مفهومها لتشمل كل ما يحمله المسلم من أمور الدين والدنيا ؛ ولهذا ندرك خطأ فهم العامة للأمانة وحصرها في أداء الإنسان للحقوق المالية فقط . وإليكم بعض مجالات الأمانة التي ينبغي للمسلم أن يرعاها ويحفظها :

٣ ـ ١ : أمانة الفطرة (أمانة التوحيد) :

وهي الأمانة العظمى والوديعة الكبرى التي أودعها الله الخلائق ، وأخذ العهد عليهم بها وأشهدهم عليها ، وقال ـ عز وجل ـ لهم : ﴿ **أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا** ﴾[4] والمعنى : شهدنا أنك ربنا وإلهنا ؛ ولذا فإن حق الله على العباد أن يوحِّدوه ولا يشركوا به شيئًا ، كما أن حقهم عليه ـ سبحانه ـ أن لا يعذب من مات منهم وقد أدى الأمانة في توحيده كما جاء ذلك في حديث معاذ قال : كنت رديف النبي ﷺ على حمار فقال لي : يا معاذ أتدري ما حق الله على العباد وما حق العباد على الله ؟ ، فقلت : الله ورسوله أعلم

قال : ((**حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئًا ، وحق العباد على الله أن لا يعذب من لا يشرك به شيئًا**)) ، فقلت : يا رسول الله : أفلا أبشر الناس ، قال : ((**لا تبشرهم**

---

(1) رواه أحمد ، ج٢ ، ص ١٧٧ ، وهو في الصحيحة للألباني ، حديث رقم ٧٣٣ .
(2) سورة القصص[٢٦] .
(3) صحيح البخاري ، كتاب الأحكام ، باب ٣٧ ، حديث رقم ٧١٩١ .
(4) سورة الأعراف [١٧٢] .

فيتكلوا)) [1].. وقال ﷺ : ((**كل مولود يولد على الفطرة**)) [2]. قال أهل العلم : أي على توحيد الخالق شاهدة على وجوده .

قال سيد - رحمه الله - : ((والأمانات كثيرة في عنق الفرد وفي عنق الجماعة : وفي أولها أمانة الفطرة ، وقد فطرها الله مستقيمة متناسقة مع ناموس الوجود الذي هي منه وإليه شاهدةً بوجود الخالق ووحدانيته .. والمؤمنون يرعون تلك الأمانة الكبرى فلا يدعون فطرتهم تنحرف عن استقامتها ، فتظل قائمة بأمانتها شاهدة بوجود الخالق ووحدانيته ، ثم تأتي سائر الأمانات تبعًا لتلك الأمانة الكبرى)) [3].

٣ - ٢ : أمانة الدعوة :

إن مهمة الدعوة للخير والأمر به ، وإنكار المنكر والتصدي له ، لهما أمانة في عنق كل فرد من أفراد الأمة - كل حسب طاقته - وقد جاءت نصوص شرعية كثيرة لتؤكد فرضية هذه الأمانة وضرورة القيام بها ، ومن هذه النصوص قوله ﷺ : ((**مَن رأى منكم منكرًا فليغيره بيده ، فإن لم يستطع فبلسانه ، فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان**)) [4] ، فلم يسقط التكليف بهذه الأمانة مهما كان المسلم عاجزًا ضعيفًا ، وجعل أداءها بالقلب - عند العجز عن اليد واللسان - أدنى تبعة يقدمها المرء للدين الذي آمن به وبأداء هذه الأمانة - بعد الإيمان بالله - استحقت الأمة منزلة الخيرية على الأمم كلها : ﴿ **كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللهِ** ﴾ [5].. ألا ما أشد تقصيرنا في أداء هذه الأمانة على الرغم من كثرة النصوص الواردة في الترهيب من التقاعس عنها والتفريط فيها .. فهل هناك أشد من اللعنة التي تلحق المستمرئين للمنكر والمتخاذلين في التصدي لإنكاره ؟ قال تعالى : ﴿ **لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ * كَانُوا لاَ يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ** ﴾ [6]، وهل هناك أعظم من عقاب لا تسمع بعده دعوة قال ﷺ : ((**والذي نفسي بيده لتأمرنّ بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليوشكنَّ اللهُ أن يبعث عليكم**

(1) رواه البخاري ، كتاب الرقائق ، حديث رقم ٦٥٠٠ .
(2) رواه البخاري ، كتاب الجنائز ، باب إذا أسلم الصبي فمات .. ، حديث رقم ١٣٥٧ .
(3) الظلال ، سيد قطب ، ج٤ ، ص ٢٤٥٦ ، دار الشروق .
(4) رواه مسلم ، في الإيمان ، باب بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان ، حديث رقم ٤٩ .
(5) سورة آل عمران [١١٠] .
(6) سورة المائدة [٧٨ - ٧٩] .

عقابًا من عنده ، ثم لتدْعُنَّه فلا يستجيب لكم)) (١).

٣ - ٣ : أمانة الجوارح :

ومن الأمانة أن تنظر إلى حواسك التي أنعم الله بها عليك ، وإلى جوارحك التي أسداها إليك ، فتدرك أنها ودائع الله عندك فتسخرها في طاعته ، وتستخدمها في مرضاته ، وتستعملها للجهاد في سبيله ، وإن من الخيانة لهذه الأمانة أن تستقوي بها على معصية أو تفتن بها عن طاعة أو تضن بها في قربة ... وإليك بعض الأمثلة التفصيلية لبعض هذه المعاني الإجمالية :

أ - فأمانة العين تقتضي أن تغض البصر عمَّا يحرم عليك النظر إليه ، وفي المقابل أن تقرأ بها الكتب النافعة لتتعلم أحكام دينك ومبادئ دعوتك ﴿ **قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ، وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ** ﴾ (٢) الآية ، وكذلك أن تنظر إلى هذا الكون من حولك نظرة تفكر واعتبار لترى من خلاله آيات وجود خالقك وأدلة وحدانيته ﴿ **أَفَلاَ يَنظُرُونَ إِلَى الإِبْلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ، وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ، وَإِلَى الجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ، وَإِلَى الأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ** ﴾ (٣).

ب - وأمانة اللسان تقتضي أن تكفَّه عن محرمات الأقوال من كذب وغيبة واستهزاء ونميمة ، كما أنها تقتضي منك أن تسخره في الدعوة للخير ، والتحذير من الشر ، وما أكثر خيانات الألسن ووقوعها في أعراض المسلمين وانتقاصهم .

قال النبي ﷺ : ((**إن الله – عز وجل – كتب على ابن آدم حظه في الزنا أدرك ذلك لا محالة ، فالعين تزني وزناها النظر ، واللسان يزني وزناه النطق ، والرِجْلُ تزني وزناها الخطى ، واليد تزني وزناها البطش ، والقلب يهوى ويتمنى ، والفرجُ يُصدق ذلك ويكذبه**)) (٤) .

قال ابن القيم - رحمه الله - معلقًا على الحديث : ((بدأ بزنا العين لأنه أصلُ زنا اليد والرجل والقلب والفرج ، وهذا الحديث أبين الأشياء على أن العين تعصي بالنظر ، وأن ذلك زناها)) .

---

(١) رواه أحمد ، ج٥ ، ص ٣٨٩ ، والترمذي ، حديث رقم ٢١٦٩ ، حسنه الألباني في صحيح الجامع ، حديث رقم ٧٠٧٠ .
(٢) سورة النور [٣٠-٣١] .
(٣) سورة الغاشية [١٧-٢٠] .
(٤) رواه البخاري ، كتاب الاستئذان ، باب زنا الجوارح دون الفرج ، حديث رقم ٦٣٤٣ ، ورواه مسلم في القدر باب قدِّر على ابن آدم حظه من الزنا وغيره ، حديث رقم ٢٦٥٧ .

٣ - ٤ : الأمانة في أداء الحقوق :

أ - حقوق الله - عز وجل - وهي أعظم الحقوق وأولاها بالأداء وفي مقدمتها توحيده - كما مرَّ بنا - ثم بقية أركان الإسلام ؛ ولذا فسر كثير من السلف الأمانة الواردة في قوله تعالى : ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَالْجِبَالِ ﴾[1] بالفرائض كما روي ذلك عن ابن عباس ومجاهد والضحاك والحسن البصري ، وقال قتادة : الأمانة هي الدين والفرائض والحدود [2] .

ب - حقوق الخلق : وفيها الودائع التي تُدفع إلينا لنحفظها حينًا ، ثم نردها إلى ذويها حين يطلبونها ، وقد استخلف رسول الله ﷺ عند هجرته ابن عمه علي بن أبي طالب رضي الله عنه ليُسلم المشركين الودائع التي استحفظها ، مع أن هؤلاء المشركين كانوا بعض الأمة التي استفزته من الأرض واضطرته إلى ترك وطنه في سبيل عقيدته ، لكن الشريف لا يتصنع مع الصغار ، قال ميمون بن مهران : « ثلاثة يُؤدين إلى البر والفاجر : الأمانة ، والعهد ، وصلة الرحم » [3] ، وكذلك من الأمانة صيانة أعراض المسلمين ، وستر عوراتهم ، والبعد عن غشهم والاعتداء عليهم .

٣ - ٥ : أمانة المجالس :

إن من الأمانة أن تحفظ حقوق المجالس التي تشارك فيها ، فلا تدع لسانك يفشي أسرارها ، ويسرد أخبارها ، فكم من حبال تقطعت ، ومصالح تعطلت ، لاستهانة بعض الناس بأمانة المجلس ، وذكرهم ما يدر فيه من كلام منسوب إلى قائله ، أو غير منسوب .

قال ﷺ : « **إذا حدث رجل رجلاً بحديث ثم التفت ، فهو أمانة** » [4] ، وحرمات المجالس تصان ما دام الذي يجري فيها مضبوطًا بقوانين الأدب وشرائع الدين ، وإلا فليست لها حرمة ، وعلى كل مسلم شهد مجلسًا يمكر فيه المجرمون بغيرهم ليُلحقوا به الأذى ، أن يسارع إلى الحيلولة دون الفساد جهد الطاقة ، قال ﷺ : « **المجلس بالأمانة إلا ثلاثة : مجلس سفكِ دمٍ حرامٍ ، أو فَرْجٍ حرام ، أو اقتطاع مال بغير حق** » [5][6] .

وعليه ، فإفشاء سر إخوانك خيانة يكبر إثمها مع عظم الضرر المترتب على هذا الإفشاء ، قال الحسن - رحمه الله - : « إن من الخيانة أن تحدِّث بسر أخيك » . قال

---

(1) سورة الأحزاب [٧٢] .
(2) مختصر تفسير ابن كثير ، ج٣ ، ص ١١٧ ، للصابوني .
(3) خلق المسلم ، الغزالي ، ص٨٢ - ٨٣ .
(4) أخرجه الترمذي ، كتاب البر والصلة ، حديث رقم ١٢٨٢ ، وقال : حديث حسن ، وأبو داود كتاب الأدب ، حديث رقم ٤٢٢٥ ، وقال العراقي في تخريج الإحياء ، ج٣ ، ص ١٣٢ : أخرجه أبو داود والترمذي وحسنه من حديث جابر ، وحسنه الألباني في المشكاة ، حديث رقم ٥٠٦١ .
(5) رواه أبو داود ، كتاب الأدب ، حديث رقم ٤٢٢٦ ، وأحمد ، ج٣ ، ص ٣٤٣ .
(6) خلق المسلم ، الغزالي ، ص ٨١ .

الإمام الغزالي - رحمه الله - : ((وهو حرام إن كان فيه إضرار ، ولؤم إن لم يكن فيه إضرار)) [1].

٣ - ٦ : أمانة المشورة :

ومن معاني الأمانة أن تَصْدُق مَنْ استشارك . قال ﷺ : ((**المستشار مؤتمن**)) [2]؛ أي أنه أمين فيما سئل عنه واستشير فيه ، فينبغي أن ترشد أخاك إلى الحق إن كنت تعلمه ، ولا تضله إن كنت تجهله ، وكفى بالمرء خيانة أن يرى الخير في أمر فيشير على أخيه بخلافه .
قال ﷺ : ((**من أشار على أخيه بأمر يعلم أن الرشد في غيره فقد خانه**)) [3] .

٣ - ٧ : الأمانة الأسرية :

أ - كتمان الأسرار الزوجية : للعلاقات الزوجية حرمتها التي يجب الحفاظُ عليها وعدم كشفها إلا لمصلحة شرعية راجحة . عن أسماء بنت يزيد : أنها كانت عند رسول الله ﷺ :
والرجال والنساء قعود عنده ، فقال : ((**لعل رجلاً يقول ما يفعل بأهله ، ولعل امرأة تخبر ما فعلت مع زوجها !**)) ، فأزمَّ القوم - أي سكتوا وجلين - فقلت : إي والله يا رسول الله إنهم ليفعلون وإنهن ليفعلن ، قال : ((**فلا تفعلوا ، فإنما مثل ذلك مثل شيطان لقي شيطانة فغشيها والناس ينظرون**)) [4] .

وقال ﷺ أيضًا : ((**إن من أعظم الأمانة** (على حذف المضاف ؛ أي أعظم خيانة للأمانة) **عند الله يوم القيامة : الرجل يفضي إلى امرأته وتفضي إليه ، ثم ينشر سرها**)) [5].

ب - القيام بالواجبات الأسرية على أكمل وجه أيضًا أمانة سيسأل عنها الزوجان كما أخبر بذلك المصطفى ﷺ فقال : ((**كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته ، والرجل راع على أهل بيته ، والمرأة راعية على بيت زوجها وولده ، فكلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته**

---

(1) الإحياء ، لأبي حامد الغزالي ، ج٣ ، ص ١٣٢ .
(2) صحيح ، عن أبي هريرة ، انظر السلسلة الصحيحة ، ١٦٤١ .
(3) حسن ، صحيح الجامع الصغير ، للألباني حديث رقم ٦٠٦٨ ، انظر أيضًا المشكاة ، حديث رقم ٢٤٢ .
(4) رواه أحمد ، ج ٦ ، ص ٤٥٦ ، قال الهيثمي في المجمع ، ج٤ ، ص٢٩٤ : رواه أحمد والطبراني وفيه شهر بن حوشب وحديثه حسن وفيه ضعف ، وللحديث شاهد عند البزار ، انظر الترغيب للمنذري ، ج٣ ، ص ٩٦ .
(5) رواه مسلم في كتاب النكاح ، باب تحريم إفشاء سر المرأة ، حديث رقم ١٤٣٧ .

)) (١) فمن الأمانة :
- تطهير البيت من المنكرات .
- إلزام أهل البيت بالفرائض والواجبات .
- حثهم على الفضائل والمستحبات .

٣ - ٨ : أمانة إتقان العمل :

ومن معاني الأمانة أن يحرص المرء على أداء واجبه كاملاً في العمل الذي يناط به ، وأن يستنفد جهده في إبلاغه تمام الإحسان ، أجل ، إنها لأمانة يمجدها الإسلام : أن يُخلِصَ الرجلُ لشغله وأن يُعنى بإجادته ، وأن يسهر على حقوق الناس التي وضعت بين يديه ، فإن استهانة الفرد بما كلف به - وإن كان تافهًا - ستتبع شيوع التفريط في حياة الجماعة كلها ، ثم استشراء الفساد في كيان الأمة وتداعيه برمته .

وخيانة هذه الواجبات تتفاوت إثمًا ونُكْرًا ، وأشدها شناعة ، ما أصاب الدين ، وجمهور المسلمين ، وتعرضت البلاد لأذاه (١) .

قال النبي ﷺ : ((**لكل غادر لواء عند استه ، يُرْفَعُ له بقدر غدرته ، ألا ولا غادر أعظم من أمير عامّة**)) (٢) .

أي ليس أعظم خيانة ولا أسوأ عاقبة من رجل تولى أمورَ الناس فخانها وأضاعها .

٤ - التحذير من الخيانة :

لما كانت الخيانة رذيلة منكرة وخصلة مقيتة مذمومة تقطع أواصر المسلمين وتخلخل كيانهم ولا تتوافق مع طهارة الإسلام وزكاته ، وأخلاقه وآدابه ؛ لذا فقد حذر منها ، وتوعد من تلبس بها .

ولقد سلك الإسلام في تحذير أتباعه منها عدة مسالك ، منها :

٤ - ١ : الخيانة صفة من صفات المنافقين :

لقد عدَّ النبي ﷺ الخيانة من صفات المنافقين وجعلها من العلامات التي تدل عليه ويعرف بها فقال : ((**آية المنافق ثلاث : إذا حدث كذب ، وإذا وعد أخلف ، وإذا ائتمن**

---

(١) رواه البخاري ، في النكاح والجمعة ، باب الجمعة في القرى والمدن ، ج٢ ، ص ٣١٧ ، ورواه مسلم في الإمارة ، باب فضيلة الإمام العادل ، حديث رقم ١٨٢٩ .
(٢) خلق المسلم ، للغزالي ، ص ٨٧ - ٨٨ .
(٣) رواه البخاري ، كتاب الجزية ، باب إثم الغادر ، حديث رقم ٣١٨٧ ، ورواه مسلم في كتاب الجهاد والسير ، باب تحريم الغدر ، حديث رقم ١٧٣٨ واللفظ له .

خان »[1] .

٤ - ٢ : الفضيحة يوم القيامة :

قال النبي ﷺ : « **لكل غادر لواء يوم القيامة يُقال : هذه غدرة فلان** »[2] .

٤ - ٣ : عدم محبة الله للخائنين :

قال الله تعالى : ﴿**إِنَّ اللهَ لاَ يُحِبُّ الْخَائِنِينَ**﴾[3].

٤ - ٤ : التبرؤ من الخائن والغاش :

قال أنس ﷺ : قلَّمَا خطبنا رسول الله ﷺ إلاَّ قال: « **لا إيمان لمن لا أمانة له ، ولا دين لمن لا عهد له** »[4] ، وقال عليه أفضل الصلاة والسلام : « **من غش فليس مني** »[5] .

٤ - ٥ : الخيانة طريق إلى النار :

قال الله - تعالى- عن امرأتي نوح ولوط : ﴿ **ضَرَبَ اللهُ مَثَلاً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلاَ النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ** ﴾[6] .. والخيانة في الآية خيانة الدين وليس المراد بها الفاحشة ، قال الإمام ابن كثير - رحمه الله - : « إن نساء الأنبياء معصومات عن الوقوع في الفاحشة لحرمة الأنبياء » ، ولقد بين الرسول ﷺ بعض أهل النار فعدَّ منهم : « والخائن الذي لا يخْفَى له طمعٌ وإن دقَّ إلا خانَهُ . ورجلٌ لا يصبح ولا يمسي إلا وهو يُخادِعُك عن أهلك ومالك »[7] .

٥ - أحكام تتعلق بالأمانة :

---

(1) متفق عليه أخرجه البخاري ، في الإيمان ، باب علامات المنافق ، ج١ ، ٨٣ - ٨٤ ، ومسلم في الإيمان ، باب بيان خصال المنافق ، حديث رقم ٥٩ .
(2) متفق عليه ، رواه البخاري ، في كتاب الجهاد ، باب إثم الغادر ، ج١٠ ، ص ٤٦٤ ، ومسلم في الجهاد ، حديث رقم ١٧٣٥ .
(3) سورة الأنفال [٥٨] .
(4) رواه أحمد ، ج٣ ، ص ١٣٥ ، ١٥٤ ، ٢١٠ ، ورواه الضياء في الأحاديث المختارة ، قال الألباني في مشكاة المصابيح : وهو حديث جيد أحد إسناديه حسن ، وله شواهد ، انظر المشكاة ، حديث رقم ٣٥ .
(5) رواه مسلم في الإيمان ، باب من غشنا فليس منا ، حديث رقم ١٠٢ .
(6) سورة التحريم [١٠] .
(7) رواه مسلم ، في كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها ، باب الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار ، حديث رقم ٢٨٦٥ .

٥ - ١ : عدم جواز معاملة الخائن بالمثل :

لقوله ﷺ : ((**أدِّ الأمانة إلى من ائتمنك ، ولا تخن من خانك**)) [1] ، ففي الحديث توجيه إلى ما ينبغي أن يكون عليه المسلم من الاستمساك بفضيلة الأمانة ، حتى مع الخونة الغادرين .

٥ - ٢ : مَنْ أُودعت عنده وديعةٌ (أمانة) فتلفت لا يضمن ، إلا إذا فرَّط في حفظها [2]. لقوله ﷺ : ((**من أُودع وديعة فلا ضمان عليه**)) [3] .

٥ - ٣ : قلة الأمناء علامة من علامات الساعة ، كما أنها دليل على فساد المجتمع واضطراب الموازين فيه : قال رسول الله ﷺ : ((**إذا ضُيعت الأمانة فانتظر الساعة ، قيل : وكيف إضاعتها يا رسول الله؟ قال : إذا أسند الأمر إلى غير أهله ، فانتظر الساعة**)) [4].

وفي اختلال الموازين ، وفساد القيم قال رسول الله ﷺ : ((**وسيأتي على الناس سنوات خدَّاعات ، يصدق فيها الكاذب ، ويكذب فيها الصادق ، ويؤتمن فيها الخائن ، ويخوَّن فيها الأمين ، وينطق فيها الرويبضة في أمر العامة ، قيل : وما الرويبضة ؟ قال : الرجل التافه**))[5].

٥ - ٤ : أمانة التولية :

قال شيخ الإسلام ابن تيمية في كتاب (السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية) : ((يجب على ولي الأمر أن يولي على كل عمل من أعمال المسلمين ، أصلح من يجده لذلك العمل)) [6] .

٦ - صور مشرقة في الأمانة :

٦ - ١ : أمانة العين :

---

(1) صحيح ، رواه أبو داود ، كتاب البيوع ، حديث رقم ٣٠٦٧ ، والترمذي ، كتاب البيوع ، حديث رقم ١١٨٥، وقال حسن غريب ، وصححه الألباني ، في الإرواء ، حديث رقم ١٥٤٤ .
(2) انظر منار السبيل ، ج١ ، ص ٤١٥ ، وفقه السنة ، ج٣ ، ص ٢٤٥ .
(3) حسن ، رواه ابن ماجة ، كتاب الأحكام ، حديث رقم ٢٣٩٢ ، انظر إرواء الغليل ، رقم الحديث ١٥٤٧ .
(4) رواه البخاري ، كتاب الرقائق ، حديث رقم ٦٤٩٧ .
(5) أخرجه ابن ماجة (٤٠٤٢) ، والحاكم ، ج٤ ، ص٤٦٥ - ٥١٢ ، وأحمد ج٢ ، ص ٢٩١ ، وانظر السلسلة الصحيحة للألباني ، حديث رقم ١٨٨٧ .
(6) نقلاً عن موسوعة أخلاق القرآن للشرباصي ، ج٢ ، ص٢٦ ، انظر أيضًا : هذه أخلاقنا حين نكون مؤمنين حقا ، محمود محمد الخازندار ، ص ٥١٩ ، وأيضًا إسلامنا ، للسيد سابق ، ص ١٦٨ - ١٦٩ .

قال الإمام ابن كثير - رحمه الله - في قوله تعالى : ﴿ قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الأَمِينُ ﴾ (1) قال لها أبوها : وما علمك بذلك؟ قالت له :
(إنه رفع الصخرة التي لا يطيق حملها إلا عشرة رجال ، وإنما لما جئت معه تقدمت أمامه فقال لي : كوني من ورائي ، فإذا اختلف عليَّ الطريق فاحذفي لي بحصاة أعلم بها كيف الطريق لأهتدي إليه) (2) ، « روي هذا القول عن عمر وابن عباس وشريح القاضي وقتادة وغيرهم ، وذلك حتى لا ينظر إليها وهي تمشي أمامه ، وذلك سبب وصفها له بالأمانة ، قاله ابن عباس» (3) .

٦ - ٢ : أمانة الفَرْج :

كما وصف الله بها عباده المؤمنين فقال : ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ * إِلاَّ عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴾ (4) ، وتبدو جلية واضحة في نبي الله يوسف - عليه السلام - ؛ ولذلك قال له الملك بعد أن ذكرت براءته امرأة العزيز قال :
﴿ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ ﴾ (5).

٦ - ٣ أمانة الأموال (6) :

أ - عن أبي هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : « **اشترى رجلٌ ممن كان قبلكم عقارًا من رجل ، فوجد الذي اشترى العقار في عقاره جرة فيها ذهب فقال له الذي اشترى العقار : خذ ذهبك عني ، إنما اشتريت العقار ولم أبتع منك الذهب . فقال بائع الأرض : إنما بعتك الأرض وما فيها ، فتحاكما إلى رجل ، فقال الذي تحاكما إليه : ألكما ولد؟ فقال أحدهما : لي غلام ، وقال الآخر : لي جارية . فقال : أنكحوا الغلام الجارية .. وأنفقوا عليهما**

(1) سورة القصص [٢٦] .
(2) مختصر ابن كثير للصابوني ، ج٣ ، ص١١ .
(3) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ، ج١٣ ، ص ٢٧١ .
(4) سورة المؤمنون [٢٩-٣٠] .
(5) سورة يوسف [٥٤] .
(6) القصص الواردة من هذه الفقرة في كتاب الأمانة والأمناء ، أحمد نصيب المحاميد ، [قد أورد فيه ثلاثين قصة عن الأمانة] .

منه وتصدقوا)) (١) .

ب - وفي حديث الثلاثة الذين أووا إلى الغار فانحدرت صخرة فسدت عليهم فم الغار : قال النبي ﷺ : ((**وقال الثالث : اللهم استأجرت أجراء وأعطيتهم أجرهم . غير رجل واحد ترك الذي له وذهب ، فثَمَّرت أجره حتى كثرت منه الأموال . فجاءني بعد حين فقال : يا عبد الله أدّ إليَّ أجري ، فقلت : كل ما ترى من أجرك ، من الإبل ، والبقر ، والغنم ، والرقيق ، فقال : يا عبد الله ، لا تستهزئ بي ، فقلت : إني لا أستهزئ بك ، فأخذه كله ، فاستاقه ، فلم يترك منه شيئًا ، اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك ، فأفرج عنا ما نحن فيه ، فانفرجت الصخرة ، فخرجوا يمشون**)) (٢) .

ج - أخرج ابن جرير في تاريخه عن قيس العجْلي ، قال : لما قُدم بسيف كسرى على عمر رضي الله عنه ، ومِنطقِته ، وزِبْرِجِه قال : ((إن أقوامًا أدَّوا هذا لذوو أمانة)) . قال علي رضي الله عنه : ((إنك عففت فعفوا ، ولو رتعت لرتعوا))، وفي رواية : ((إنك عففت فعفت الرعية)).

٦ - ٤ : أمانة تبليغ الدعوة ونشر الخير بين الناس :

قال رسول الله ﷺ : ((**بَلغوا عني ولو آية**)) (٣) ، فكانت أمانة استشعرها السلف فقاموا عليها حق قيام ، ومما روي عن الأوزاعي ((حدثني أبو كثير ، عن أبيه ، قال : أتيت أبا ذر وهو جالس عند الجمرة الوُسطى ، وقد اجتمع الناسُ عليه يستفتونَه ، فأتاه رَجل ، فوقَف عليه ، فقال : ألم يَنهكَ أميرُ المؤمنين عن الفُتيا ؟ فرفَع رأسه ، ثم قال : أرقيب أنتَ عليَّ ؟! لو وضعتُم الصَّمْصَامَةَ على هذه - وأشار بيده إلى قفاه - ثم ظننتُ أني أنْفِذُ كلمةً سمعتُها من رسول الله ﷺ قبل أن تُجيزوا عَليَّ لأنفذتها)) (٤) .

---

(١) رواه البخاري ، في كتاب الأنبياء ، باب ما ذكر عن بني إسرائيل ، ج٦ ، ص٣٧٥ ، ٣٧٦ ، ومسلم في الأقضية ، باب استحباب إصلاح الحاكم بين الخصمين ، حديث رقم ١٧٢١ .

(٢) رواه البخاري ، كتاب الأنبياء ، باب ﴿ أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ ... ﴾ ج٤ ، ص٣٦٩ - ٣٧٠، ورواه مسلم ، في كتاب الرقاق ، باب قصة أصحاب الغار الثلاثة والتوسل بصالح الأعمال ، حديث رقم ٢٧٤٣ .

(٣) رواه البخاري ، في كتاب أحاديث الأنبياء ، باب ما ذكر عن بني إسرائيل ، حديث رقم ٣٤٦١ .

(٤) سير أعلام النبلاء ، ج٢ ، ص ٦٤ ، والحلية ، لأبي نعيم ، ج١ ، ص١٦٠ .

٦ ـ ٥ : أمانة الأسرار :

قد ذكرنا أن من الأمانة حفظ الأسرار وعدم إفشائها [انظر صفة الكتمان في هذا الكتاب] .

٧ ـ أحاديث في الأمانة :

٧ ـ ١ : عن أبي سعيد ، قال : قال رسول الله ﷺ : ((**التاجر الصدوق الأمين مع النبيين والصديقين والشهداء**)) (١) .

٧ ـ ٢ : عن أبي موسى عن النبي ﷺ قال : ((**الخازن المسلم الأمين الذي يُنفذ ما أُمِرَ به كاملاً مُوفَّرًا طيبًا به نفسُه فيدفعهُ إلى الذي أُمر له به أحدُ المتصدقين**)) (٢) .

٧ ـ ٣ : عن حذيفة ﷺ قال ، قال رسول الله ﷺ ـ يصف مرور الناس على الصراط ـ : ((**وترسل الأمانةُ والرحم ، فتقومان جَنَبَتي الصراط يمينًا وشمالا**)) (٣) ، قال الإمام النووي في قوله : ((**وترسل الأمانة والرحم**)) ، إرسال الأمانة والرحم فهو لعظم أمرهما وكثير موقعهما ، فتصوران مشخصتين على الصفة التي يريدها الله تعالى ، قال صاحب التحرير : إنهما تقومان لتطالبا كل مَنْ يريد الجواز بحقهما)) (٤) .

٧ ـ ٤ : عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ كان يقول : ((**اللهم إني أعوذ بك من الجوع فإنه بئس الضجيع ، وأعوذ بك من الخيانة فإنها بئست البطانة**)) (٥).

٧ ـ ٥ : عن عمر بن الحميد ، ﷺ قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : ((**أيما رجل أمَّن رجلاً على دمه ، ثم قتله – فأنا من القاتل برئ ، وإن كان المقتول كافرًا**)) (٦).

---

(١) رواه الترمذي ، كتاب البيوع ، حديث رقم ١١٣٠ ، وابن ماجة ، كتاب التجارات ، حديث رقم ٢١٣٠ ، والدارمي ، في كتاب البيوع ، حديث رقم ٢٤٢٧ ، وقد ضعفه الألباني ، في تحقيق المشكاة .

(٢) رواه البخاري ، انظر الفتح ، ج٣ ، ص ٣٠٢ ، حديث رقم ١٤٣٨ .

(٣) رواه مسلم ، كتاب الإيمان ، حديث رقم ٣٢٩ .

(٤) صحيح مسلم ، بشرح النووي ، ج ٣ ، ص ٧٢ .

(٥) رواه أبو داود ، كتاب الصلاة ، حديث رقم ١٢٢٣ ، والنسائي ، كتاب الاستعاذة ، حديث رقم ٥٣٧٣ ، وابن ماجة ، كتاب الأطعمة ، حديث رقم ٣٣٥٤ وانظر المشكاة ، حديث رقم ٢٤٦٩ ، وقد حسنّه الألباني في صحيح سنن ابن ماجة .

(٦) رواه أحمد ، ج٥ ، ص ٢٢٣ ـ ٢٢٤ ، وابن حبان ، كما في الإحسان ، ج١٣ ، ص ٣٢٠ ، حديث رقم ٥٩٨٢ . والطيالسي ، حديث رقم ١٢٨٥ ، والبخاري ، في التاريخ الكبير ، ج٣ ، ص١٩٣ ، وحسنّه الأرنؤوط في تعليقه على ابن حبان .

٧ - ٦ : عن أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال : ((**والله لا يؤمن ، والله لا يؤمن ، والله لا يؤمن ، قيل : من يا رسول الله؟ قال : الذي لا يأمن جاره بوائقه**)) (١) بوائقه ؛ أي غوائله وخياناته .

٧ - ٧ : عن أبي هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : ((**المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده**)) (٢)، وفي رواية الترمذي والنسائي : ((**والمؤمن من أمنه الناس على دمائهم وأموالهم**)).

خامسا : بعض التطبيقات العملية المقترحة لتأكيد معاني الدرس :

١- التواصي بغض البصر عمّا تعرضه وسائل الإعلام (مجلات وتلفاز) في الصور المحرمة والمناظر الفاتنة (أمانة البصر) .
٢- التواصي بترك مجالس الغيبة والنميمة فضلاً عن التفوُّه بها (أمانة السمع والكلام) .
٣- التواصي بكتمان أسرار المجالس وعدم التحدث بها حتى لأقرب الناس .
٤- القراءة في رياض الصالحين ((باب حفظ الأمانة)) وإلقاء كلمة حول معانيها .
٥- القيام بمنشط دعوي في الأسرة كإهداء الزوجة شريطًا أو ... (الأمانة الأسرية) : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا** ... ﴾(٣) .

سادسا : المراجع :

١- مختصر تفسير ابن كثير ، للصابوني ، دار القرآن الكريم ، الطبعة الخامسة .
٢- الجامع لأحكام القرآن ، للقرطبي .
٣- الإحياء ، للغزالي ، دار المعرفة .
٤- هذه أخلاقنا حين نكون مؤمنين حقًّا ، لمحمود الخازندار ، دار طيبة ، ط ١ .
٥- خلق المسلم ، د . محمد الغزالي ، الاتحاد الإسلامي العالمي .
٦- مشكاة المصابيح ، محمد التبريزي ، المكتب الإسلامي .

---

(١) متفق عليه ، رواه البخاري ، في الأدب ، ج١ ، ص ٣٧٠ ، ورواه مسلم ، في الإيمان ، حديث رقم ٤٦ .
(٢) متفق عليه ، رواه البخاري ، في كتاب الإيمان ، باب المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده ، ج١ ، ص٥٠ . حديث رقم ١٠ ، ورواه مسلم ، في كتاب الإيمان ، باب تفاضل الإسلام ... ، حديث رقم ٤٠ .
(٣) سورة التحريم [٦] .

٧- الجامع المفهرس لأطراف الحديث ، سليم الهلالي ، دار ابن الجوزي .

٨- سلسلة الأحاديث الصحيحة ، للألباني ، مكتبة المعارف .

٩- منار السبيل في شرح الدليل ، ابن ضويان ، مكتبة المعارف .

١٠-فقة السنة ، للسيد سابق ، دار الكتاب العربي .

١١- الأمانة والأمناء ، أحمد المحاميد ، دار الكتاب العربي .

١٢-قاموس القرآن ، الدامغاني ، دار العلم للملايين .

١٣-صحيح الإمام مسلم ، الإمام مسلم بن الحجاج ، ترتيب محمد فؤاد عبد الباقي ، دار الحديث.

١٤-صحيح الإمام مسلم ، بشرح النووي .

١٥-أخلاقنا الاجتماعية ، الدكتور مصطفى السباعي ، المكتب الإسلامي .

١٦-تيسير الوصول إلى مواضع الحديث ، في كتاب الأصول ، عبد المجيد محمد حسين ، دار الدعوة.

١٧-فتح الباري ، ابن حجر ، دار المعرفة .

١٨-مشكاة المصابيح ، للقاري ، بتحقيق الألباني .

١٩-سير أعلام النبلاء ، الذهبي ، مؤسسة الرسالة ، ط٣ .

٢٠-حلية الأولياء ، لأبي نعيم ، دار الكتاب العربي .

٢١-إرواء الغليل ، للألباني ، المكتب الإسلامي .

٢٢-مجمع الزوائد ، للهيثمي ، دار الكتاب العربي .

٢٣-نزهة المتقين ، شرح رياض الصالحين ، د . مصطفى الخن وآخرون ، مؤسسة الرسالة .

٢٤-موسوعة أخلاق القرآن ، للشرباصي ، دار الرائد العربي .

٢٥-لسان العرب ، لابن منظور .

٢٦-دليل التجار إلى أخلاق الأخيار ، يوسف النبهاني ، الجفان والجابي .

٢٧-الترغيب والترهيب ، للمنذري .

٢٨-السلوك الاجتماعي ، لحسن أيوب ، دار الندوة الجديدة .

٢٩-صحيح الجامع الصغير ، محمد الألباني ، ط ٢ ، المكتب الإسلامي .

٣٠-إسلامنا ، سيد سابق ، دار الكتاب العربي .

٣١-في ظلال القرآن ، سيد قطب ، دار الشروق ، ط ٧ .
٣٢-مسند الإمام أحمد ، بترقيم الألباني ، مؤسسة قرطبة .
٣٣-مسند الإمام أحمد ، تحقيق أحمد شاكر - رحمه الله - دار المعارف بمصر .
٣٤-جامع العلوم والحكم ، لابن رجب ، بتحقيق الأرناؤوط ، مؤسسة الرسالة ، ط٢ .

إيثار

الإيثـــار

أولا : دلالة المصطلح :

أ - لغة : في مادة (أثر) .

- آثرهُ يُؤثِرُه إيثارًا : اختاره وفضله[1] .

- وآثرتُ فلاناً على نفسي : من الإيثار [قال] الأصمعيُّ : آثرتُك إيثارًا أيْ فضلتك[2] .

وضد الإيثار : الأثرة والاستئثار .

قال ابن منظور : استأثر بالشيء على غيره : خصَّ به نفسه واستبد به .

وفي الحديث ، قال النبي ﷺ للأنصار : ((**إنكم ستلقون بعدي أثَرَةً فاصبروا**)) [3] .

ب - اصطلاحًا :

قال الإمام القرطبي - رحمه الله - الإيثار : هو تقديم الغير على النفس وحظوظها الدنيوية ، ورغبة في الحظوظ الدينية [4] ، وقال الإمام ابن القيم - رحمه الله - : ((فالإيثار ضد الشح ، فإن المؤْثِر على نفسه تاركٌ لما هو محتاج إليه ، والشحيح حريص على ما ليس بيده ، فإذا حصل بيده شيء شحَّ عليه ، وبخل بإخراجه ، فالبخل ثمرة الشح ، والشح يأمر بالبخل ، كما قال النبي ﷺ : ((**إياكم والشح ، فإن الشح أهلك من كان قبلكم أمرهم بالبخل فبخلوا ، وأمرهم بالقطيعة فقطعوا**)) [5][6].

وقال - رحمه الله - في مراتب الجود الثلاث : أن يؤثر غيره بالشيء مع حاجته إليه ، وهو مرتبة (الإيثار) وعكسها الأثرة وهي استئثاره عن أخيه بما هو محتاج إليه[7] .

ج - المصطلحات المقاربة للإيثار أو لها علاقة به :

- الجود وهو : (أن يُعطي الأكثر ، ويبقي له شيئًا ، أو يبقي مثل ما أعطى)[8] ، فالإيثار أعلى مرتبة من الجود ؛ ولهذا وصف الله به الأنصار فقال - عز

(1) المعجم الوجيز ، ص٥ .
(2) لسان العرب ، لابن منظور ، ج١ ، ص ٢٦ وما بعدها .
(3) رواه البخاري ، ج٥ ، ص ٤١ ، ورواه مسلم في الزكاة ، حديث رقم ١٣٩ .
(4) تفسير القرطبي ، ج١٨ ، ص ٢٦ .
(5) صحيح ، رواه أبو داود ، (١٦٩٨) .
(6) تهذيب المدارج ، ج١ ، ص ٦٤١ .
(7) المرجع السابق ، ج١ ، ص ٦٤٢ .
(8) تهذيب المدارج ، ج٢ ، ص٦٤٢ .

وجـــــــــل - :
﴿ وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾[1] .

- البذل : هو العطاء مع طيب النفس . قال ابن منظور : (وكل من طابت نفسُه بإعطاء شيء فهو باذل له) [2] .
- السخاء : بمعنى الجود[3] ، وهو بذل ما يقتنى بغير عوض[4] .

ثانيا : الأهداف :

١- بيان أهمية الإيثار وضرورة تخلق المرء به مع إخوانه خاصة ومع أفراد مجتمعه عامة .
٢- التحذير من داء الأثرة - الأنانية - وبيان ضررها على المرء في دينه ودنياه .
٣- بيان السبل التي توصل المرء إلى خلق الإيثار .
٤- توضيح أن الإيثار لا يختص بالمال فقط وإنما يشمل الأوقات والشهوات .
٥- عرض نماذج من إيثار الرسول ﷺ وصحابته - رضوان الله عليهم - ليقتدى بهم ، ولحث النفوس على التشبه بهم .
٦- معرفة آداب الإيثار وما لا ينبغي الإيثار فيه أو ما يسمى (بالإيثار المذموم) .

ثالثا : عناصر الموضوع :

١- أهمية الإيثار وضرورته .
٢- أنواع الإيثار .
٣- شروط الإيثار المحمود .
٤- السبيل إلى الإيثار .
٥- صور من الإيثار .
٦- التحذير من الأثرة .
٧- الموقف من المؤثرين على أنفسهم .

رابعا : العرض :

١ - أهمية الإيثار وضرورته :

---

(1) سورة الحشر [٩] .
(2) لسان العرب ، ج١ ، ص ٢٣٨ .
(3) المرجع السابق ، ج٣ ، ص ١٩٦٧ مادة (سخا) .
(4) انظر فتح الباري ، ج١٠ ، ص ٤٥٧ ، ط دار المعرفة .

١ - ١ : إن الإيثار صفة من صفات المتقين ، وخصلة من خصال المفلحين الذين قال الله فيهم : ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلاَ يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [1].

١ - ٢ : إن إيثار المسلم أخاه دليل على قوة الإيمان والثقة بما عند الرحمن ﴿وَمَا تُقَدِّمُوا لأَنْفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا﴾ [2]، والرسول ﷺ يقول : ((**لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحبُ لنفسه**)) [3]، بل لا يمكن أن يسلم للعبد دينه إن لم يكن فيه إيثار ؛ ولذلك قال ابن القيم - رحمه الله - :((والدين كله والمعاملة في الإيثار))[4].

١ - ٣ : إن الدعوة إلى الله - عز وجل - لا تقوم إلا على رجالٍ يؤثرونها على أنفسهم ، ويبذلون في سبيلها الغالي والرخيص والنفس والنفيس ، وبقدر وجود هؤلاء يكون النصر والتمكين ، أرأيت كيف يتسابق الصحابة ﷺ في بذل أموالهم في نصرة هذا الدين حتى كان أحدهم ربما قدَّم ماله كلَّه ؟ عن زيد بن أسلم عن أبيه قال : ((سمعت عمر ابن الخطاب يقول : أمرنا رسول الله ﷺ أن نتصدق ، ووافق ذلك عندي مالاً فقلت : اليوم أسبق أبا بكر إن سبقته يومًا ، قال : فجئت بنصف مالي فقال رسول الله ﷺ : ((**ما أبقيت لأهلك ؟**)) قلت : مثله ، وأتى أبو بكر بكل ما عنده فقال : ((**يا أبا بكر ما أبقيت لأهلك ؟**)) فقال : أبقيت لهم الله ورسوله ، فقلت : لا أسبقه إلى شيء أبدًا)) [5] .

١ - ٤ : إن الإيثار من أكثر الوسائل تأليفًا للقلوب ، وتقوية للمحبة بين الإخوان ، ولذلك قال ﷺ : ((**تهادوا تحابوا**)) [6] ، ((ومما يروى عن قيس بن سعد بن عبادة ، أنه

---

(1) سورة الحشر [٩] .
(2) سورة المزمل [٢٠] .
(3) متفق عليه ، رواه البخاري ، في الإيمان ، باب من الإيمان أن يحب لأخيه .. ، ج١ ، ص٥٣ - ٥٤ ، ورواه مسلم ، في الإيمان ، باب الدليل على أن من خصال الإيمان أن يحب ... ، حديث رقم ٤٥ .
(4) طريق الهجرتين ومفتاح السعادتين ، ابن القيم ، ص ٤٩١ .
(5) أخرجه الترمذي ، كتاب المناقب ، حديث رقم ٣٦٠٨ ، وقال : حسن صحيح ، وأبو داود ، كتاب الزكاة ، حديث رقم ١٤٢٩ ، والدارمي ، كتاب الزكاة ، حديث رقم ١٦٠١ ، وقد حسنه الألباني ، كما في المشكاة ، حديث رقم ٦٠٢١.
(6) رواه البخاري ، في الأدب المفرد ، حديث رقم ٥٩٤ ، وحسنه الألباني ، في الإرواء ، حديث رقم ١٦٠١ ، وفي صحيح الجامع ، حديث رقم ٣٠٠٤ .

مرض فاستبطأ إخوانه في عيادته ، فسأل عنهم فقيل له : إنهم يستحيون مما لك عليهم من الدين . فقال : أخزى الله مالاً يمنع الإخوان من الزيارة ، ثم أمر مناديًا ينادي : من كان عليه لقيس حق ، فهو منه في حل ، قال : فانكسرت عتبة بابه بالعشي لكثرة من عاده)) (١)، فانظر كيف توثَّق الرباط وتجمع الرفاق يوم آثر قيس إخوانه بماله ! .

١ - ٥ : إن اليد التي غلها الشح وأمسكها البخل لهي يد شلاء جزاؤها - في الآخرة - القطع ، قال النبي ﷺ : ((**يكون كنز أحدكم يوم القيامة شجاعًا أقرعَ يفر منه صاحبه فيطلبه ويقول : أنا كنزك . قال : والله لن يزالَ يطلبه حتى يبسط يدَهُ فيلقمها فاه**)) (٢) أي يدخل يده الشحيحة في فم الشجاع فيقضمها والعياذ بالله .

١ - ٦ : إن الإيثار خصلة ترفع صاحبها في أعين الناس وتجعله قدوة لهم يحبونه ويحترمونه ويستمعون إليه ويتأثرون به ؛ ولهذا جعل الرسول ﷺ بشر بن البراء بن معرور سيد بني سلمة لجوده وإيثاره وسخائه وبذله .. روى جابر ﷺ ، قال : قال النبي ﷺ لبني سلمة : ((**مَنْ سيدكم؟ قالوا : الجد بن قيس على أننا نبخّله ، قال : وأيُّ داءٍ أدوى من البخل؟ بل سيدكم عمرو بن الجموح**)) (٣) . قال ابن القيم : ((فصاحب الإيثار محبوب مطاع مهيب)) (٤) .

١ - ٧ : إن تربية الطالب على الإيثار وحب الخير للناس وبذله لهم والصبر على ذلك وإيثار ما عند الله - عز وجل - من الأجر والثواب على حمدهم وثنائهم من أسباب الثبات على الحق والاستمرار في دعوة الخلق ، كما أن من أكبر المثبطات عن فعل الخير الشح والبخل ؛ ولذلك قال النبي ﷺ : ((**ثلاث مهلكات : شح مطاع ، وهوى متبع ، وإعجاب المرء بنفسه**)) (٥).

٢ - أنواع الإيثار :

---

(١) مختصر منهاج القاصدين ، ص ٢١ ، تهذيب مدارج السالكين ، ص ٦٤٢ ، بألفاظ مقاربة لما ذكرنا .

(٢) رواه البخاري ، كتاب الحيل ، باب في الزكاة .. ، الحديث رقم ٦٩٥٧ ، انظر للتوسع خلق المسلم ، ص ٢٠٣ .

(٣) رواه البخاري ، في الأدب المفرد ، باب البخل ، حديث رقم ٢٩٧ ، وصححه الألباني ، في صحيح الأدب المفرد ٢٢٧ ، وانظر أيضًا الفتح ، ج٥ ، ص١٧٨ - ١٧٩ .

(٤) طريق الهجرتين وباب السعادتين ، ابن القيم ، دار ابن القيم ، ط١ ، ج١ ، ص ٤٩٥ .

(٥) صحيح الجامع للألباني ، حديث رقم ٣٠٣٩ ، وفي الصحيحة ، حديث رقم ١٨٠٢ ، وهو حسن .

السخاء (أو الجود) درجات أعلاها مرتبة الإيثار ، والإيثار أنواع بحسب المؤثَّر فيه ، والمؤثِر، والأخيرُ قال ابن القيم عنه : ((فالإيثار إما أن يتعلق بالخلق ، وإما أن يتعلق بالخالق))(١) ، وإليك بعض أنواعه وصوره :

٢ - ١ : إيثار رضا الخالق على رضا المخلوق :

قال الإمام ابن القيم - رحمه الله - : ((ويظل السائر يرتقي حتى يُؤثر رضا الله على رضا غيره ، وإن عظمت فيه المحن ، وثقلت فيه المؤن وضعف عنه الطول والبدن فهو يريد ويفعل ما فيه مرضاته ، ولو أغضب الخلق ، وهي درجة الأنبياء ، وأعلاها للرسل - عليهم صلوات الله وسلامه - وأعلاها لأولي العزم منهم ، وأعلاها لنبينا ﷺ وعليهم ، فإنه قاوم العالمَ كلَّهُ ، وتجرد للدعوة إلى الله ، واحتمل عداوة البعيد والقريب في الله تعالى ، وآثر رضا الله على رضا الخلق من كل وجهٍ ، ولم تأخذه في إيثار رضاه لومة لائم ، بل كان همُّهُ وعزمُهُ وسعيهُ كلُّهُ مقصورًا على إيثار مرضاة الله ، وتبليغ رسالاته ، وإعلاء كلماته ، وجهاد أعدائه ، حتى ظهر دين الله على كل دين ، وقامت حجته على العالمين ، وتمت نعمتهُ على المؤمنين ، فبلغ الرسالة ، وأدَّى الأمانة ، ونصح الأمةَ ، وجاهدَ في الله حق جهاده ، وعَبدَ اللهَ حتى أتاهُ اليقينُ من ربه ، فلم ينل أحدٌ من درجة هذا الإيثار ما نال ، صلواتُ الله وسلامه عليه))(٢) .

وفي الحديث : ((**من التمس رضا الله بسخط الناس كفاهُ الله مُؤْنة الناس ، ومن التمس رضا الناس بسخط الله وكلهُ الله إلى الناس**))(٣) ، وإلى معنى هذا الحديث يشير ابن القيم - رحمه الله - حين قال : ((هذا ، وقد جرت سنة الله - التي لا تبديل لها - أن من آثر مرضاة الخلق على مرضاته أن يسخط عليه من آثر رضاهُ ، ويخذله من جهته ويجعل محنته على يديه ، فيعود حامده ذاما فلا على مقصوده منهم حصل ، ولا إلى ثواب مرضاة ربه وصل ، وهذا أعجز الخلق وأحمقهم))(٤) .

٢ - ٢ الإيثار بالمال :

فيجود المرء بماله مع حاجته إليه سواء كان المال دراهم أو خميصة أو طعامًا أو شرابًا أو دارًا أو عقارًا .

قال عروة : رأيت عائشة - رضي الله عنها - تقسم سبعين ألفًا وهي ترقع درعها ، وروي أنها قسمت في يوم ثمانين ومائة ألف بين الناس ، فلما أمست قالت : يا

---

(١) طريق الهجرتين وباب السعادتين ، ابن القيم ، ص ٤٩٢ .
(٢) تهذيب مدارج السالكين ، ص ٦٤٨ - ٦٤٩ .
(٣) رواه الترمذي ، كتاب الزهد ، حديث رقم ٢٣٣٨ ، وصححه الألباني ، انظر صحيح الجامع ، حديث رقم ٦١٠٠ ، والمشكاة ، حديث رقم ٥١٣٠ .
(٤) تهذيب المدارج ، ص ٦٤٠ .

جارية : عليَّ فطوري ، فجاءتها بخبز وزيت ، فقالت لها أم درة : أما استطعت فيما قسمت اليوم أن تشتري لنا بدرهم لحمًا نفطر عليه ؟! فقالت : لو ذكرتيني لفعلت !! ... « واشترى عبد الله بن عامر من خالد بن عقبة داره التي في السوق بتسعين ألف درهم ، فلما كان الليل ، سمع بكاء أهل خالد ، فقال لأهله : ما لهؤلاء ؟ قالوا : يبكون على دارهم ، قال : يا غلام : ائتهم ، فأعلمهم أن الدار والمال لهم جميعًا » (1) ، ويعظم أجر الإيثار بالمال عندما يبذل في نصرة دين الله الحسنةَ بعشرة أمثالها إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة ، والله واسع عليم .

٢ - ٣ : إيثار الآخرة على الدنيا :

لما كان حب الدنيا والتعلق بها من أكبر أسباب نسيان الآخرة والاستعداد لها ، فقد حذَّر القرآن الكريم في مواطن كثيرة من الدنيا ودعا إلى إيثار الباقي على الفاني كما قال تعالى : ﴿ بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا * وَالآَخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى ﴾ (2) . قال سيد - رحمه الله - : « إن إيثار الحياة الدنيا هو أساس كل بلوى ، فعن هذا الإيثار ينشأ الإعراض عن الذكرى ؛ لأنها تقتضيهم أن يحسبوا حساب الآخرة ويؤثروها ، وهم يريدون الدنيا ، ويؤثرونها .

وتسميتها (الدنيا) لا تجيء مصادفة . فهي الواطية الهابطة - إلى جانب أنها الدانية العاجلة : ﴿ وَالآَخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى ﴾ . خير في نوعها ، وأبقى في أمدها . وفي ظل هذه الحقيقة يبدو إيثار الدنيا على الآخرة حماقة وسوء تقدير ، لا يقدم عليها عاقل بصير» (3) ، وقد جاء في الأثر « من أحب دنياه أضرَّ بآخرته ، ومن أحب آخرته أضرَّ بدنياه ، فآثروا ما يبقى على ما يفنى »(4) ، قال الملا علي القاري - رحمه الله - في المرقاة في شرح هذا الحديث : « فإن العاقل يختار الخزف الباقي على الذهب الفاني ، فكيف والأمر بالعكس؟ » ؛ ولذا قال الغزالي - رحمه الله - : « أقل العلم ، بل أقل الإيمان ، بل أقل العقل أن يعرف صاحبه أن الدنيا فانية ، وأن الأخرى باقية ، ونتيجة هذا العلم أن يعرض عن الفاني ، ويقبل على الباقي ، وعلامة الإقبال على العقبى والإعراض عن الدنيا الاستعداد للموت قبل وقوع الميعاد وظهور المعاد » ، قال الطيبي - رحمه الله - : « أي هما كَكِفتي ميزان ، فإذا رجحت إحدى الكفتين خفت الأخرى ، وبالعكس ؛

---

(1) مختصر منهاج القاصدين ، الإمام المقدسي ، ص ٢٢٠ .
(2) سورة الأعلى [١٦-١٧] .
(3) في ظلال القرآن ، سيد قطب ، ج٦ ، ص ٣٨٩٤ ، ط٧ ، دار الشروق .
(4) رواه أحمد ، ج٤ ، ص١٧٥ ، والطبراني ، عن أبي موسى الأشعري مرفوعًا قال الهيثمي في مجمع الزوائد ، ج١٠ ، ص٢٤٩ ، رواه أحمد والطبراني ورجاله ثقات . وقال العجلوني في كشف الخفاء ، ج١ ، ص٤٩١ : رواه أحمد ومسلم وابن حبان والحاكم وصححاه . قلت : ولم أجده في مسلم . بل الحديث قد ضعّفه الألباني في ضعيف الجامع الصغير ، ج٥ ، ص١٤٩ ، حديث رقم ٥٣٤٦ . وقد ردّ الذهبي - رحمه الله - تصحيح الحاكم لانقطاع السند .

وذلك أن محبة الدنيا سبب لاشتغاله بها ، والانهماك فيها ، وذلك للاشتغال عن الآخرة ، فيخلو عن الذكر والفكر والطاعة ؛ فيفوت الفوز بدرجاتها وثوابها . وهو عين المضرة سوى ما يقاسيه من الخوف والحزن والغم والهم والتعب في دفع الحساد ، وتجشم المصاعب في حفظ الأموال وكسبها في البلاد »[1] .

ومن أمثلة إيثار الآخرة على الدنيا .. إيثاره ﷺ للقاء الله على الخلد في الحياة الدنيا والتمتع بمتاعها ، قالت عائشة - رضي الله عنها - : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **ما من نبي يمرض إلا خُيرِّ بين الدنيا والآخرة ، وكان في شكواه الذي قُبض فيه أخذتْه بُحَّة شديدة ، فسمعتهُ يقول : مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ، فعلمت أنه خيِّر** » وعنها - رضي الله عنها - أنه ﷺ كان يقول : « **اللهم في الرفيق الأعلى فقلت : إذًا لا يختارنا** »[2]. وجلس ذات يوم على منبره ﷺ فقال : « **إن عبدًا خيَّره الله أن يؤتيه من زهرة الدنيا ما شاء – أي من متاعها ونعيمها مع طول العمر – وبين ما عنده ، فاختار ما عنده** »[3].

ومن صور هذا النوع من الإيثار التضحية بالنفس في سبيل الله ؛ لأن من أراق دمَه لنصرة دين الله فقد آثر آخرته على دنياه ، وفضَّل موته في سبيل إعلاء كلمة الله بل هو من أعلى صور الإيثار كما قال القائل :

يجود بالنفس إذ ضن البخيل بها … والجود بالنفس أقصى غاية الجود[4]

فهذا الإيثار هو الذي جعل عمير بن الحمام يستطيل بقاءه في الدنيا حتى يأكل ثمرات بيده فرماها وراح يقاتل حتى قتل ، وهو الذي جعل أنس بن النضر يقول لسعد وهو مقبل على أهل الكفر وقد شرعوا رماحهم وأصلتوا سيوفهم : يا سعد إنها الجنة ورب النضر . إني لأجد ريحها من وراء أحد ، وغيرهما كثير - رضي الله عنهما - وجمعنا وإياهم في دار كرامته .

٢ - ٤ الإيثار بالفضل :

وهو تجرد النفس عن أَثَرَتِها ، وانسلاخها من ذاتيتها ، فتؤثر غيرها بالفضل الذي هي مفتقرة إليه ، والمجد الذي هي محتاجة إليه ، ومن ذلك الإيثار ، ما ذكره

---

(١) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح ، للعلامة على القاري ، ج٩ ، ص٣٤ .
(٢) رواه البخاري ، الحديث ، ٤٤٣٥ ، انظر الفتح ، ج٨ ، ص ١٣٦ ، ط دار المعرفة .
(٣) رواه البخاري ، ومسلم عن أبي سعيد الخدري ، المشكاة ، حديث رقم ٥٩٥٧ .
(٤) البيت لمسلم بن الوليد ، وقد ورد صدرُ البيت بألفاظ متقاربة منها : (يجود بالنفس إذا ضن الجواد بها) انظر تفسير القرطبي ، ج ١٨ ، ص ٢٨ .

القاضي التنوخي قال :
((دار بين الحسن والحسين - رضي الله عنهما - كلام ، فقيل للحسين : لو أتيت أخاك متنصلاً ، فقال : إن الفضل للمبتدئ بالتفضل ، ولست أرى أن يكون لي على أخي فضل ، فبلغ ذلك الحسن فأتاه))[1] .

قال الشافعي - رحمه الله تعالى - : ((وددت أن الناس تعلموا هذا العلم ، ولم يُنسب إليَّ منه شيء)) ، وكان - رحمه الله - يقول لتلميذه الربيع : ((لو قدرت أن أطعمك العلم لأطعمتك)) ، وكان يقول : ((ما ناظرت أحدًا قط إلا أحببت أن يوفق ويسدد ويعان ، ويكون عليه رعاية من الله وحفظ))[2]. ((ومن هذا النوع من الإيثار : إيثار عائشة - رضي الله عنها - لعمر بن الخطاب ﷺ بدفنه عند رسول الله ﷺ في حجرتها ، قال ابن القيم - رحمه الله - : وإنما هو إيثار بمسكن شريف فاضل لمن هو أولى به منها ، فالإيثار به قربة إلى الله - عز وجل - للمؤثر))[3] ، وهو ليس من الإيثار بالطاعات أو القُرَب .

٢ - ٥ إيثار الحق على هوى النفس[4] :

وهو تجرد النفس عن هواها واتباعها الحق ولو خالف مبتغاها وأرفع منه إيثارها الحق ولو كان فيه هلاكها كما فعل السحرة الذين آمنوا بموسى فقالوا لفرعون : ﴿ **قَالُوا لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَى مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا** ... ﴾[5] الآيات .

٣ - شروط الإيثار :

ليكون إيثارك محمودًا لابد أن تتوافر فيه عدة شروط منها :

٣ - ١ : أن لا يؤدي إلى محرم أو مكروه :

مثل أن تؤثرهم بمالك وتقعد كلاً مضطرًا[6] عيلة على الناس أو يؤدي إيثارك إلى التقصير في حق من تعول من الأهل والعيال ، وقد جعل الإمام البخاري - رحمه الله - بابًا قال فيه باب لاصدقة إلا عن ظهر غنىً ، ومن تصدق وهو محتاج أو أهله محتاج أو عليه دين فالدين أحق أن يُقضى من الصدقة والعتق والهبة ، وهو رد عليه ، ليس له أن يُتلف أموال الناس ، وقال النبي ﷺ : ((**من أخذ أموال الناس يريد إتلافها**

---

(1) الإيثار ، سمير حلبي ، ص٣٨ ، ط١ ، دار الصحابة للتراث .
(2) رواه أبو نعيم ، في الحلية ، ج٩ ، ص١١٨ - ١١٩ ، السير للذهبي ، ج١٠ ، ص٥٥ .
(3) مدارج السالكين ، ج٢ ، ص٣١٠ - ٣١١ .
(4) انظر للتوسع ، طريق الهجرتين ومفتاح السعادتين لابن القيم ، ص٤٩٦ وما بعدها .
(5) سورة طه [٧٢] .
(6) تهذيب مدارج السالكين ، لابن القيم ، ص٦٤٧ ، مؤسسة الرسالة ، انظر أيضًا للتوسع طريق الهجرتين ومفتاح السعادتين .

أتلفهُ الله)) (١) ، إلا أن يكون معروفًا بالصبر فيؤثر على نفسه ولو كان به خصاصة ، كفعل أبي بكر رضي الله عنه حين تصدق بماله ، وكذلك آثر الأنصار المهاجرين ونهى النبي ﷺ عن إضاعة المال ، فليس له أن يضيع أموال الناس بعلّة الصدقة ، وقال كعب رضي الله عنه : ((قلتُ يا رسول الله إن من توبتي أن أنخلع من مالي صدقة إلى الله وإلى رسوله ﷺ ، قال : ((**أمسك عليك بعض مالك ، فهو خير لك ، قلت : فإني أُمسكُ سهمي الذي بخيبر**)) (٢) .

ثم أورد حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : ((**خيرُ الصدقة ما كان عن ظهر غنى ، وابدأ بمن تعول**)) (٣)، وقد اختلف أهل العلم فيمن آثر الناس بماله كلِّه فتصدق به .

قال ابن حجر - رحمه الله - : قال الطبري وغيره : قال الجمهور : من تصدق بماله كله في صحة بدنه وعقله حيث لا دين عليه وكان صبورًا على الإضافة ولا عيال له أو له عيال يصبرون أيضًا فهو جائز ، قال : فإن فقد شيء من هذه الشروط كره ، وقال بعضهم : هو مردود ، وروي عن عمر رضي الله عنه حيث رد على غيلان الثقفي قسمة ماله ، ويمكن أن يحتج له بقصة المدبر الآتي ذكره ، فإنه ﷺ باعه وأرسل ثمنه إلى الذي دبره لكونه كان محتاجًا ، وقال آخرون : ((يجوز من الثلث ويرد عليه الثلثان ، وهو قول الأوزاعي ومكحول ، وعن مكحول أيضًا يرد ما زاد على النصف . قال الطبري : والصواب عندنا الأول من حيث الجواز ، والمختار من حيث الاستحباب أن يجعل ذلك من الثلث جمعا بين قصة أبي بكر وحديث كعب والله أعلم)) (٤) .

٣ - ٢ : أن لا يقطع عليك طريقا :

أي ((طريق الطلب والمسير إلى الله تعالى ، مثل أن تؤثر جليسَك على ذكرك وتوجهك وجمعيَّتك على الله ، فتكون قد آثرتَه على الله ، وآثرتَ بنصيبك من الله ما لا يستحقُ الإيثار ، فيكون مَثَلُكَ كمثل مسافر سائرٍ على الطريق لَقِيَهُ رجل فاستوقفه ، وأخذ

---

(١) رواه البخاري ، ج٢ ، ص١٣٩ ، ج٣ ، ص١٥٢ .
(٢) رواه البخاري ، كتاب المغازي ، باب غزوة تبوك ، ج٨ ، ص٨٦ - ٩٣ ، ورواه مسلم في كتاب التوبة ، باب توبة كعب بن مالك ، حديث رقم ٢٧٦٩ .
(٣) رواه البخاري ، كتاب الزكاة ، باب لا صدقة إلا عن ظهر غني ... ، حديث رقم ١٤٢٦ ، ورواه مسلم ، كتاب الزكاة ، باب بيان أن اليد العليا خير من اليد السفلى ... ، حديث رقم ١٠٣٤ .
(٤) المرجع السابق ، ج٣ ، ص٢٩٥ ، انظر أيضًا تفسير القرطبي ، ج١٨ ، ص٢٧ ، ط١ ، دار إحياء التراث العربي .

يحدِّثُه ويَلهيه حتى فاته الرفاق))[1] .

إن (الحركة) بين الناس ودعوتهم إلى الله يجب أن لا تكون سببًا في انشغال الداعية عن خالقه ، وغفلته عن بارئه ، وتفريطه في الفرائض والواجبات ، وتقصيره في السنن والمستحبات . إن من كانت هذه حاله فالفشل مآله ؛ ((إذ لا يتصور للداعية نجاح وتوفيق ، أو تميز وقبول دون أن يكون حظُّه من الإيمان عظيمًا ، إذ كيف تدعو الناس إلى أحد وصلاتك به واهية ومعرفتك به قليلة))[2]، ولا يظن أنها دعوة إلى الانشغال بالأوراد عن دعوة العباد ولكنها دعوة إلى إعطاء كل ذي حق حقه ، والتوازن والوسطية سمة من سمات هذا الدين ورحم الله الغزالي إذ يقول : ((إن الذين يكرسون أوقاتهم لله لدفع الناس إلى سبيله ، لابد أن يكون شعورهم بالله أعمق ، وارتباطهم به أوثق ، وشغلهم به أدوم ، ورقابتهم له أوضح))[3] .

٣ ـ ٣ : ألا يفسد عليك وقتك[4] :

كالخلطة بين الداعية والمدعو أكثر من الحاجة حتى تنقطع عن المقصود ، وقضاء الساعات الطوال في أعمال دعوية يمكن اختصارها لو أُحسن التخطيط لها وأُتقنت إدارتها مع الخروج بنتائج ربما تكون أفضل .

٣ ـ ٤ : أن لا يكون الإيثار في القرب والطاعات :

قال ابن القيم ـ رحمه الله ـ : ((تكلم الفقهاء في الإيثار بالقُرب ، وقالوا : إنه مكروه أو حرام ، كمن يُؤْثِرُ بالصف الأول غيره ويتأخر هو ، أو يُؤثرهُ بقربهِ من الإمام يوم الجمعة ، أو يُؤثر غيره بالأذان والإقامة))[5] .

وقال ـ رحمه الله ـ : ((فلم يجعل الشارع الطاعات والقربات محلاً للإيثار بل محلاً للتنافس والمسابقة))[6]. قال الله تعالى : ﴿ **وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ** ﴾[7]، وقال ﷺ : ((**لو يعلم الناس ما في النداء والصف الأول ثم لم يجدوا إلا أن يستهموا عليه لاستهموا**))[8].

---

(1) تهذيب مدارج السالكين ، ص ٦٤٧ .
(2) مقومات الداعية الناجح ، د . علي بادحدح ، ص ٣٥ ، دار الأندلس الخضراء .
(3) مع الله ، د . محمد الغزالي ، نقلاً عن المرجع السابق ، ص٤٣ ، انظر أيضاً آفات على الطريق ، السيد محمد نوح ، ج١ ، ص١٥ . [من أسباب الفتور ، التقصير في عمل اليوم والليلة] .
(4) تهذيب مدارج السالكين ، ابن القيم ، ص٦٨ ، مؤسسة الرسالة .
(5) مدارج السالكين ، لابن القيم .
(6) طريق الهجرتين ، ص ٤٩٤ ، انظر فيه بحث مهم حول حكمة منع الإيثار في القرب .
(7) سورة المطففين [٢٦] .
(8) رواه البخاري ، في الأذان ، باب فضل التهجير إلى الظهر ، حديث رقم ٦٥٣ ، ومسلم ، ج١ ، ص ٣٢٥ ، حديث رقم ٤٣٧ ، في الصلاة ، باب تسوية الصفوف .

٤ - السبيل إلى الإيثار :

لما كان الإيثار في أخلاق المؤمنين ، وفضائل المفلحين ، وجب على المرء أن يشمّر لتحصيله ويسعى لتحقيقه حتى يكون له سجية ، ومن الأسباب التي يصل بها المرء إلى الإيثار :

٤ - ١ قوة الإيمان :

لقد ذكر أهل السلوك أن الإيثار يحتاج إلى قوة إيمان يتغلب به على شهوات النفس وحظوظها ؛ ولذلك قال الإمام القرطبي - رحمه الله - : « الإيثار هو تقديم الغير على النفس وحظوظها الدنيوية ، ورغبةً في الحظوظ الدينية . وذلك ينشأ عن قوة اليقين ، وتوكيد المحبة ، والصبر على المشقة »[1] ، وممن بعد القرطبي ابنُ القيم حين ذكر أن الإيثار يحتاج إلى « صحة اليقين وقوة محبة »[2] ، ولعلهما استنبطا هذا من صدر آية الإيثار حيث قال الله تعالى فيها : ﴿ **وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلاَ يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ** ﴾[3] .

٤ - ٢ : سلامة القلب من الآفات :

كيف يؤثر مَنْ طبعه الشح والإمساك؟! ، وكيف يجود مَنْ امتلأ قلبه بالحقد وحسد الناس؟! . إن الفضائل لا تنبت إلا في الأرض الطيبة ﴿ **وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ** ﴾[4] ، ولهذا قال الإمام ابن رجب - رحمه الله - في شرحه لحديث أنس المرفوع « **لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه** »[5] ، قال : « وحديثُ أنس الذي نتكلمُ الآن فيه يدلُّ على أنَّ المؤمن يَسُرُّه ما يَسرُّ أخاه المؤمن ، ويُريد لأخيه المؤمن ما يُريده لنفسه من الخير ، وهذا كُلُّه إنَّما يأتي من كمال سلامة الصدر من الغل والغش والحسدِ ، فإنَّ الحسدَ يقتضي أن يكره الحاسدُ أن يَفوقه أحدٌ في خير ، أو يُساويه فيه ؛ لأنه يُحبُّ أن يمتاز على الناس بفضائله ، وينفرِدَ بها عنهم ، والإيمانُ يقتضي خلاف ذلك ، وهو أن يَشْرَكَه المؤمنون كُلُّهم فيما أعطاه الله من الخير من غير أن ينقص

---

(1) تفسير القرطبي ، ج١٨ ، ص ٢٦ .
(2) تهذيب المدارج : ص ٦٥١ .
(3) سورة الحشر [٩] .
(4) سورة الأعراف [٥٨] .
(5) رواه البخاري ، في كتاب الإيمان ، باب في الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه ، حديث رقم ١٣ ، ورواه مسلم ، في كتاب الإيمان ، باب الدليل على أن من خصال الإيمان أن يحب لأخيه المسلم ما يحب لنفسه من الخير ، حديث رقم ٤٥ .

عليه منه شيء))[١] .

٤ ـ ٣ : تذكر عاقبة الإيثار :

فمن آثر الآخرة على الدنيا وخاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فإن الجنة هي المأوى ، ومن آثر رضا الله على رضا الخلق كفاه الله مؤونة الناس ـ كما ثبت ذلك عن النبي ﷺ ـ ومن آثر إخوانه بماله فقد اتصف بصفات المفلحين الذين قال الله فيهم : ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُون ﴾ [٢]، بالإضافة إلى النصوص الكثيرة في أجور الباذلين وثواب المضحِّين بأنفسهم وأموالهم وأعراضهم [كأبي ضمضم] .

٤ ـ ٤ : الزهد بالدنيا والاستعداد للآخرة :

فما بخل من بخل ولا أمسك من أمسك إلا بحبه للدنيا ونسيانه للآخرة ؛ ولذلك تكاثرت النصوص في ذم الدنيا والمحبين لها ، قال الله تعالى : ﴿كَلاَّ بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ * وَتَذَرُونَ الآَخِرَةَ﴾ [٣] ، قال الماوردي : ((فيه وجهان : أحدهما : تحبون ثواب الدنيا ، وتذرون ثواب الآخرة ، قاله مقاتل ، وثانيهما : تحبون عمل الدنيا ، وتذرون عمل الآخرة)) [٤].

ويقول سبحانه : ﴿إِنَّ هَؤُلاَءِ يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلاً﴾ [٥] ، فمحبة الدنيا أنستهم الاستعداد لذلك اليوم الثقيل بالإنفاق والبذل وسائر أنواع القربات .. قال يحيى بن معاذ : ((الزهدُ يورث السخاء بالملك)) [٦] .

فالزاهد بالدنيا حقًّا هان لديه البذل ، وشعر لذة العطاء والجود ، فيؤثر غيره بمتاع الدنيا الزائل ، ويترفع عن الدنايا والصغائر ؛ لأنه يجد فيما عند الله عوضًا عما في أيدي الناس ، فيشري أخراه بدنياه ، ويترك نعيمها لسواه ، فإذا بلغ في الزهد منزلة الصادقين ، ظهر في فعله الإخلاص واليقين .

فلا يرد سائلاً ، ولا يمنع نائلاً ، وإنما يعطي عطاء من لا يخشى الفقر ، ولا يخاف العوز والقهر ، مقتديًا بالرسول الكريم ﷺ .

---

(١) جامع العلوم والحكم ، ابن رجب ، ج١ ، ص٣٠٦ ، مؤسسة الرسالة ، ط٢ ، بتحقيق الأرناؤوط وباجس .
(٢) سورة الحشر [٩] .
(٣) سورة القيامة [٢٠-٢١] .
(٤) النكت والعيون ، ج٤ ، ص ٣٦١ ، نقلاً عن آفات على الطريق للسيد محمد نوح ، ج٤ ، ص٨٤ .
(٥) سورة الإنسان [٢٧] .
(٦) تهذيب المدارج ، ج١ ، ص٤٥٣ ، ط مؤسسة الرسالة .

فقد روي عن أبي سعيد الخدري : « أنَّ ناسًا من الأنصار سألوا رسول الله ﷺ فأعطاهم ، ثم سألوه فأعطاهم ، حتى إذا نفد ما عنده ، فقال : « **ما يكون عندي من خيرٍ فلن أدَّخرهُ عنكمْ ، ومنْ يستعْفِف يُعفَّه الله ، ومن يَستغنِ يغنِهِ الله ، ومن يصبر يُصبِّره الله ، وما أُعطيَ أحدٌ من عطاءٍ خيرٌ وأوسعُ من الصبرِ** » [1]، فالنبي ﷺ لم يرد سائله قط ، ولكنه يرشده إلى مكارم الأخلاق ومواطن المروءة ، ويدله على سبل العزة والإباء ليكون جديرًا بالدعوة التي يحملها ، والرسالة التي ينتمي إليها » [2] .

٤ - ٥ : الثقة بما عند الله :

إن الشيطان يوهم المرء كلما همَّ بالبذل والإيثار بالفقر ليثبطه عن الإنفاق في سبيل الله ، ولقد بين الله هذه الوسوسة فقال : ﴿ **الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ وَاللهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلاً** ﴾ [3] ، قال ابن عباس - رضي الله عنهما - : في هذه الآية اثنتان من الله تعالى :[يعني المغفرة والفضل ، وهو الرزق في الدنيا والتوسعة والنعيم في الآخرة] ، واثنتان من الشيطان[4] .

فمتى ما وثق العبد بما عند الله وتيقن بوعده فإنه لا يلتفت لوسوسة الشيطان ووعده ، قيل لبعض السلف ما الزهد؟ فقال : « أن تكون بما في يد الله أوثق منك بما في يدك » .

٤ - ٦ : الدعاء :

لما كان الإيثار صورة من صور الخير فلا سبيل إليه إلا بتوفيق من بيده الخير كلُّه ، وإليه يرجع الأمر كلُّه فاسأله من خيره العظيم فإنه جواد كريم .

٤ - ٧ : تعظيم الحقوق :

قال ابن القيم - رحمه الله - في بيان الطرق الموصلة للإيثار : « الثالث : تعظيم الحقوق التي جعلها الله -سبحانه وتعالى- للمسلمين بعضهم على بعض فهو يرعاها حق رعايتها ، ويخاف من تضييعها ، ويعلم أنه إن لم يبذل فوق العدل لم يمكنه الوقوف مع حده ، فإن ذلك عسر جدا ، بل لابد من مجاوزته إلى الفضل »[5] وهو الإيثار .

---

(1) رواه البخاري ، في الزكاة ، باب الاستعفاف عن المسألة ، حديث رقم ١٤٦٩ ، ورواه مسلم ، في الزكاة ، باب فضل التعفف والصبر ، حديث رقم ١٠٥٣ .
(2) الإيثار : ص٥٨ ، سمير الحلبي .
(3) سورة البقرة [٢٦٨] .
(4) جامع الأحكام للقرطبي ، ج٣ ، ص ٣٢٨ .
(5) طريق الهجرتين ، ص ٤٩٥ - ٤٩٦ .

٥ - صور من الإيثار(١) :

ما أجمل أن نتكلم عن الإيثار ، ولكن أجمل من ذلك وأعظم أن يتجسد الإيثار عملاً في واقع المرء يتعامل به مع إخوانه وأحبابه ، وأعظم مَنْ جسَّد الإيثار عملاً رسول الله ﷺ ، ثم صحبه ﷺ ثم أهل القرون التي شهد لها رسول الله ﷺ بالخيرية .. فإليك - أخي الحبيب - هذه الومضات من سيرهم لعلنا نقتدي بهم ﴿**أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ**﴾(٢) ، فإن لم نستطع فلنتشبه بهم ! .

٥ - ١ : آثره ﷺ بثيابه التي عليه :

ما سُئل ﷺ عن شيءٍ قط فقال : لا (٣) ، لا يقول لسائله لا ولو كانت ثيابه التي عليه ، هذا ما حدّث به سعد بن سهل فقال : ((جاءت امرأة إلى النبي ﷺ بُبردة - فقال سهلٌ للقوم : أتدرون ما البردةُ ؟ فقال القوم : هي شَملةٌ ، فقال سهلٌ : هي شملةٌ منسوجة فيها حاشيتُها - فقالت : يا رسول الله ، أكسوك هذه ، فأخذها النبي ﷺ محتاجًا إليها فلبسها ، فرآها عليه رجل من الصحابة فقال : يا رسول الله ما أحسن هذه ، فاكسُنيها ، فقال : ((**نعم**)) فلما قام النبي ﷺ لامَهُ أصحابُه فقالوا : ما أحسنتَ حين رأيت النبي ﷺ أخذها محتاجًا إليها ثم سألته إياها ، وقد عرفت أنه لا يُسأل شيئًا فيمنعه ، فقال : رجوتُ بركتها حين لبسها النبي ﷺ لعلي أكفن فيها))(٤).

٥ - ٢ : آثر أخاه بقوته وقوت صبيانه :

عن أبي هريرة قال : ((جاء رجل إلى الرسول ﷺ فقال : إني مجهود(٥) فأرسل إلي بعض نسائه ، فقالت : والذي بعثك بالحق ! ما عندي إلا ماء ، ثم أرسل إلى أخرى فقالت مثل ذلك ، حتى قلن كلهن مثل ذلك : لا ، والذي بعثك بالحق ! ما عندي إلا ماء ، فقال : ((**من يضيف هذه الليلة رحمة الله**)) ، فقام رجل من الأنصار فقال : أنا يا رسول الله ، فانطلق به إلى رحله ، فقال لامرأته : هل عندك شيء؟ قالت : لا ، إلا قُوتُ صبياني . قال : فعلليهم بشيء ، فإذا دخل ضيفنا فأطفئى السراج وأريه أنا نأكل ، فإذا أهوى ليأكل فقومي إلى السراج حتى تطفئيه . قال : فقعدوا وأكل الضيف ، فلما

---

(١) من أراد المزيد من إيثار السلف فليرجع إلي نزهة الفضلاء ، تهذيب سير أعلام النبلاء ، لمحمد حسن موسى ، وذلك في الصفحات التالية ج٤ ، ص٤٥٠ ، ج٧ ، ص ٤٦٨ ، ج٤ ، ص٨٥٠ ، ج٣ ، ص٩٧٣ ، ج٤ ، ص١٢٩١ ، ج٢ ، ص ١٥١٧ .
(٢) سورة الأنعام [٩٠] .
(٣) رواه البخاري ، كتاب الأدب ، حديث رقم ٦٠٣٤ .
(٤) رواه البخاري ، كتاب الأدب ، حديث رقم ٦٠٣٥ .
(٥) أي أصابني الجهد وهو المشقة والحاجة وسوء العيش والجوع .

أصبح غدا على النبي ﷺ ، فقال : ((**قد عجب الله من صنيعكما بضيفكما الليلة**)) [١]، وفي رواية قال : فنزلت هذه الآية : ((﴿ **وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ** ﴾)) [٢] .

٥ - ٣ : لا يحبون أن يستأثروا بشيء دون إخوانهم :

قال أنس رضي الله عنه : ((أراد رسول الله ﷺ أن يُقطع من البحرين ، فقالت الأنصار : حتى تقطع لإخواننا من المهاجرين مثل الذي تقطع لنا)) [٣] ، وفي رواية : دعا النبي ﷺ الأنصار ليقُطع لهم بالبحرين [أي يخصهم بقطعة أرض تكون لهم ملكًا أو يكون لهم غلتها] ، فقالوا : يا رسول الله إن فعلت فاكتب لإخواننا من قريش بمثلها - يعنون المهاجرين - فلم يكن عند النبي ﷺ ، فقال : ((**إنكم سترون بعدي أثَرَةً فاصبروا حتى تلقوني**)) .

قال ابن حجر - رحمه الله - : ((وفي الحديث فضيلة ظاهرة للأنصار لتوقفهم عن الاستئثار بشيءٍ من الدنيا دون المهاجرين ، وقد وصفهم الله تعالى بأنهم كانوا ﴿ **وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ** ﴾ ، فحصلوا في الفضل على ثلاث مراتب : إيثارهم على أنفسهم ، ومواساتهم لغيرهم ، والاستئثار عليهم)) [٤] .

٥ - ٤ : من آثر إخوانه بشيء لم يجد فقده !! :

في موطأ مالك ((أنه بلغه عن عائشة زوج النبي ﷺ : أن مسكينًا سألها وهي صائمة وليس في بيتها إلا رغيف ، فقالت لمولاة لها : أعطيه إياه ، فقالت : ليس لك ما تفطرين عليه؟ فقالت : أعطيه إياه ، قالت : ففعلت ، قالت : فلما أمسينا أهدَى لنا أهلُ بيت أو إنسانٌ ما كان يُهدي لنا : شاةً وكَفَنَها ، فدعتني عائشة فقالت : كُلي من هذا ، فهذا خير من قُرْصك ، قال علماؤنا : هذا من المال الرابح ، والفعل الزاكي عند الله - تعالى - يعجِّل منه ما يشاء ، ولا ينقص ذلك مما يدّخر عنه ، ومن ترك شيئًا لله لم يجد فقْدهُ ، وعائشة - رضي الله عنها - في فعلها هذا من الذين أثنى الله عليهم بأنهم يؤثرون على أنفسهم مع ما هم فيه من الخصاصة ، وأن من فعل ذلك فقد وقي شُح نفسه وأفلح فلاحًا لا خسارة بعده ، ومعنى (شاةً وكَفَنَها) فإن العرب - أو

---

(١) رواه البخاري ، في كتاب مناقب الأنصار ، باب قول الله - عز وجل - سورة الحشر [آية ٩] ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ ، حديث رقم ٣٧٩٨ ، ومسلم ، كتاب الشربة ، باب إكرام الضيف وفضل إيثاره ، حديث رقم ٢٠٥٤ .

(٢) سورة الحشر [٩] .

(٣) رواه البخاري ، كتاب المساقاة ، باب القطائع ، حديث رقم ٢٣٧٦ ، والذي يليه في باب كتاب القطائع ، حديث رقم ٢٣٧٧ .

(٤) فتح الباري ، ابن حجر ، ج٥ ، ص٤٨ .

بعـــض العـــرب أو بعـــض وجـــوههم - كـــان هـــذا مـــن طعامهم ، يأتون إلى الشاة أو الخروف إذا سلخوه غَطُّوه كلّه بعجين البُرِّ وكَفنُوه به ثم عَلَّقوه في التَّنُّور ، فلا يخرج من ودَكِه شيء إلا في ذلك الكفن ، وذلك من طيب الطعـــام عندهم)) (١).

٥ - ٥ : إيثار الإخوان على شهوته :

روى النسائي عن نافع : ((أن ابن عمر اشتكى واشتهى عنبًا ، فاشْتُرِى له عنقود بدرهم ، فجاء مسكين فسأل : فقال : أعطوه إياه ، فخالف إنسان فاشتراه بدرهم ثم جاء به إلى ابن عمر ، فجاء المسكين فسأل : فقال : أعطوه إياه ، ثم خالف إنسان فاشتراه بدرهم ، ثم جاء به إليه ، فأراد السائل أن يرجع فمنع ، ولو علم ابن عمر أنه ذلك العنقود ما ذاقه ؛ لأن ما خرج لله لا يعود فيه)) (٢) .

٥ - ٦ : إيثارهم لإخوانهم في أموالهم :

أما أخبارهم في ذلك فقد فاضت بها سيرهم العطرة ، وما ذكره الإمام القرطبي عندما تكلم عن الإيثار فقال : ذكر ابن المبارك قال : ((أخبرنا محمد بن مطرِّف قال : حدَّثنا أبو حازم عن عبد الرحمن بن سعيد بن يَرْبُوع عن مالك الدار : أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أخذ أربعمائة دينار ، فجعلها في صرة ثم قال للغلام : اذهب بها إلى أبي عُبيدة بن الجرَّاح ، ثم تَلَكَّأ ساعة في البيت حتى تنظر ماذا يصنع بها ، فذهب بها الغلام إليه فقال : يقول لك أمير المؤمنين : اجعل هذه في بعض حاجتك ، فقال : وَصَلَه الله ورَحمه ، ثم قال : تعالي يا جارية ، اذهبي بهذه السبعة إلى فلان ، وبهذه الخمســة إلــى فــلان ، حتــى أنفــذها ، فرجــع الغــلام إلــى عمر ، فأخبره فوجده قد أعدَّ مثلها لمعاذ بن جبل ، وقال : اذهب بهذا إلى معاذ بن جبل ، وتَلَكَّأ في البيت ساعة حتى تنظر ماذا يصنع ، فذهب بها إليه فقال : يقول لك أمير المؤمنين : اجعل هذه في بعض حاجتك ، فقال : رحمه الله وَوصَله ، وقال : يا جارية ، اذهبي إلى بيت فلان بكذا وبيت فلان بكذا ، فاطَّلعت امرأة معاذ فقالت : ونحن ! والله مساكين فأعطنا ، ولم يبق في الخرقة إلا ديناران فرمى بهما إليها ، فرجـــع الغـــلام إلـــى عمـــر فـــأخبره فسُـــرَّ بـــذلك عمـــر ، وقال : إنهم إخوة ! بعضهم من بعض))(٣) .

- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : ((قالت الأنصار للنبي ﷺ : اقسم بيننا وبين إخواننا النخيل ، قال : ((لا)) ، فقالوا : أفتكفوننا المؤونة ونشرككم في الثمرة؟ قالوا : سمعنا

---

(١) الجامع لأحكام القرآن ، ج١٨ ، ص٢٦ .
(٢) المرجع السابق ، ج١٨ ، ص٢٧ .
(٣) المرجع السابق ، ج١٨ ، ص ٢٧ .

وأطعنا))[1] .

- عن أنس ﷺ قال : قال المهاجرون : ((يا رسول الله ، ما رأينا مثل قوم قدمنا عليهم أحسن مؤاساة في قليل ولا أحسن بذلا من كثير ، لقد كفونا المؤونة وأشركونا في المهنأ حتى لقد خشينا أن يذهبوا بالأجر كله ، قال : **لا ما أثنيتم عليهم ودعوتم الله لهم**))[2] .

٦ - التحذير من الأثَرَةِ :

- الأثَرَة : تفضيل الإنسان نفسه على غيره ، وتطلق على من لا يهدف إلا لنفعه الخاص وتقابل الإيثار[3] .

وقد قال الرسول ﷺ للأنصار : ((**إنكم ستلقون بعدي أَثَرَةً**)) . قال ابن حجر - رحمه الله - تعالى : ((وأشار ﷺ بذلك إلى ما وقع من استئثار الملوك من قريش عن الأنصار بالأموال والتفضيل في العطاء وغير ذلك فهو من أعلام نبوته ﷺ))[4] .

- ((ولما كان الإنسان مجبولا على الأثرة وحب الذات ، فإن أكثر تفكيره في نفسه وأقله في الآخرين ، لو أنه أوتيَ ما في الأرض جميعًا ، بل لو أنه امتلك خزائن الرحمة العليا لما طوَّعت له نفسه أن تنفق منها بسَعَة ، ولقامت له من طبيعته الضيقة علل شتى تضع في يديه الأغلال))[5] .

﴿ **قُل لَّوْ أَنْتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذًا لأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الإِنْفَاقِ وَكَانَ الإِنْسَانُ قَتُورًا** ﴾[6].

ولهذا فقد حذَّر الإسلام من الأثرة والبخل والشح وعدّها أدواءً مهلكة تمزق الروابط وتشتت الوشائج قال ﷺ : ((**إياكم والشح ، فإن الشحَّ أهلك من كان قبلكم ، أمرهم بالبخل فبخلوا ، وأمرهم بالقطيعة فقطعوا**))[7] ، كما بيّن - سبحانه - أنَّ الشح على المؤمنين بالخير من البر والمعروف من صفات المنافقين ، وكفى بهذا ذما للشح ،

---

(1) رواه البخاري ، في كتاب الحرث والمزارعة ، باب إذا قال ... ، حديث رقم ٢٣٢٥ .
(2) رواه الترمذي ، حديث رقم ٢٦١٧ ، وأبو داود في الأدب ، باب ١١ ، وأحمد في المسند ، ج٣ ، ص٢٠٠ ، ٢٠٤، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي ، حديث رقم ٢٠٢٠ ، وفي المشكاة ، حديث رقم ٣٠٢٦ . (والمهنأ : ما يأتيك بلا تعب) للتوسع انظر البداية والنهاية ، ج٣ ، ص ٢٢٨ ، حياة الصحابة للكاندهلوي ، ج١ ، ص٣٨٧ .
(3) ملخصًا من المعجم الوجيز ، مجمع اللغة العربية ، ص ٦ .
(4) فتح الباري ، ج٥ ، ص٤٨ .
(5) خلق المسلم ، محمد الغزالي ، ص ٢٠٢ ، ط١ ، الاتحاد الإسلامي العالمي .
(6) سورة الإسراء [١٠٠] .
(7) صحيح ، رواه أبو داود ، حديث رقم ١٦٩٨ .

فقال : ﴿ قَدْ يَعْلَمُ اللهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَلاَ يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلاَّ قَلِيلاً ، أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُمْ بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ أُولَئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ اللهُ أَعْمَالَهُمْ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللهِ يَسِيرًا ﴾ (١) .

يقول أبو الحسن الماوردي : « قوله تعالى : ﴿ أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ ﴾ فيه أربعة تأويلات :

الأول : أشحة بالخير ، قاله مجاهد .
الثاني : بالقتال معكم ، قاله ابن كامل .
الثالث : بالغنائم التي أصابوها ، قاله السدّي .
الرابع : أشحة بالنفقة في سبيل الله ، قاله قتادة »(٢) .
ويقول أيضًا : « قوله تعالى : ﴿ أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ ﴾ ، فيه ثلاثة أوجه :
الأول : على قسمة الغنيمة ، قاله يحيى بن سلام .
الثاني : على المال لا ينفقونه في سبيل الله ، قاله السدي .
الثالث : على النبي ﷺ بظفره » (٣) .

إن الشحيح لا يمكن أن يمتزج بالناس وينال حبهم وتقديرهم وذلك لضيق صدره وغل يده عن بذل الخير لهم ، وتقديم المعروف إليهم فكأنه في معزلٍ عنهم لا يستطيع الوصول إليهم قد حجزه بخله وإمساكه وحال بينه وبينهم ... وانظر إلى هذا التشبيه النبوي البليغ لحال رجلين أحدهما منفق والآخر ممسك يقول ﷺ : « **مثل البخيل والمنفق كمثل رجلين عليهما جبتان من حديد من ثديهما إلى تراقيهما ، فأما المنفق فلا ينفق إلا سبغت ، أو وفرت على جلده حتى تخفي بنانه ، وتعفو أثره ، وأما البخيل فلا يريد أن ينفق شيئًا إلا لزقت كل حلقة مكانها ، فهو يوسعها ولا تتسع** » (٤) .

ولذلك فإن الشح والإيمان لا يمكن أن يجتمعا كما أخبر بذلك خليل الرحمن ﷺ

---

(١) سورة الأحزاب [١٨ - ١٩]
(٢) النكت والعيون ، الماوردي ، ج٣ ، ص٣١٢ .
(٣) المرجع السابق ، ج٣ ، ص ٣١٣ ، نقلاً عن آفات على الطريق ، للدكتور السيد محمد نوح ، ج٤ ، ص٨٠ - ٨١ .
(٤) رواه البخاري ، كتاب الزكاة ، باب مثل المتصدق والبخيل ، ج٢ ، ص ١٤٢ - ١٤٣ ، ورواه مسلم كتاب الزكاة ، باب مثل المنفق والبخيل ، حديث رقم ١٠٢١ .

حين قال : ((**لا يجتمع الشح والإيمان في قلب عبد أبدًا**)) [1] ، ولهذا فهي خصلة سيئة وآفة ذميمة تعمي بصر صاحبها فلا يرى إلا نفسه ؛ ولذلك قال ﷺ : ((**شر ما في رجل شح هالع وجبن ضالع**)) [2].

٧ - الموقف من المؤثرين على أنفسهم :

إن إيثار المؤثرين وسخاء الصالحين يجب أن يقابل بنفس متعففة غير مستشرفة :

٧ - ١ : عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن ناسًا من الأنصار سألوا رسول الله ﷺ فأعطاهم ، ثم سألوه فأعطاهم ، ثم سألوه فأعطاهم ، حتى نفذ ما عنده فقال ﷺ : ((**ما يكون عندي من خير فلن أدخره عنكم ، ومن يستعفف يعفه الله ، ومن يستغن يغنه الله ، ومن يتصبر يصبره الله ، وما أعطي أحدٌ عطاءً خيرًا وأوسع من الصبر**))[3] .

٧ - ٢ : عن عروة بن الزبير وسعيد بن المسيب أن حكيم بن حزامٍ رضي الله عنه قال : ((سألتُ رسول الله ﷺ فأعطاني ، ثم سألته فأعطاني ، ثم سألته فأعطاني ثم قال : ((**يا حكيمُ ، إن هذا المال خضرة حلوة ، فمن أخذهُ بسخاوة نفس بورك له فيه ، ومن أخذه بإشراف نفس لم يبارك له فيه ، كالذي يأكل ولا يشبع ، اليد العليا خير من اليد السفلى**)) قال حكيم فقلت : يا رسول الله والذي بعثك بالحق لا أرزأ أحدًا بعدك شيئًا حتى أفارق الدنيا ، فكان أبو بكر رضي الله عنه يدعو حكيمًا إلى العطاء فيأبى أن يقبله منه ، ثم إن عمر رضي الله عنه دعاهُ ليعطيه فأبى أن يقبل منه شيئًا ، فقال عمر : إني أشهدكم يا معشر المسلمين على حكيم أني أعرض عليه حقه من هذا الفيء فيأبى أن يأخذه ، فلم يرزأ حكيم أحدًا من الناس بعد رسول الله ﷺ حتى توفي))[4] ، ومعنى أرزأ ، أي لا أنقص ماله بالطلب منه ، قاله ابن حجر في الفتح [5] .

٧ - ٣ : بارك الله لك في أهلك ومالك ، دلني على السوق :

---

(1) رواه النسائي ، في كتاب الجهاد ، حديث رقم ٣٠٥٩ ، وهو في صحيح الجامع للألباني ، حديث رقم ٧٦١٦ ، وفي المشكاة ، حديث رقم ٣٨٢٨ .

(2) رواه أبو داود وابن حبان ، وهو في الصحيحة للألباني ، حديث رقم ٥٦٠ .

(3) رواه البخاري ، كتاب الزكاة ، باب الاستعفاف عن المسألة ، ج٣ ، ص ٣٣٥ ، حديث رقم ١٤٧٢ .

(4) رواه البخاري ، كتاب الزكاة ، باب الاستعفاف عن المسألة ، ج٣ ، ص ٣٣٥ ، حديث رقم ١٤٧٢ .

(5) فتح الباري ، لابن حجر ، ج٥ ، ص ٣٣٦ .

كيف قابل عبد الرحمن بن عوف ﷺ إيثار أخيه سعد بن الربيع حين عرض عليه ماله بل وزوجه؟! قال عبد الرحمن بنُ عوف ﷺ : (لما قدمنا المدينة آخى رسول الله ﷺ بيني وبين سعد بن الربيع ، فقال سعد بن الربيع : إني أكثُر الأنصار مالاً ، فأقسم لك نصف مالي ، وانظر أي زوجتيَّ هويت نزلت لك عنها ، فإذا حلت تزوجتها . قال : فقال له عبد الرحمن : لا حاجة لي في ذلك ، هل من سوق فيه تجارة؟ قال : سوق قينقاع . قال : فغدا إليه عبدالرحمن فأتى بأقِطٍ وسمنٍ . قال : ثم تابع الغدو ، فما لبث أن جاء عبد الرحمن وعليه أثرُ صُفرةٍ ، فقال رسول الله ﷺ : ((**تزوجت ؟**)) قال : نعم . قال : ((**ومن ؟**)) قال : امرأة من الأنصار . قال : ((**كم سُقْتَ؟**)) قال : زنة نواة من الذهب - أو نواةً من ذهب - فقال له النبي ﷺ : ((**أولم ولو بشاة**)) (١) ، وعن أنس ﷺ قال : ((قدم عبد الرحمن بن عوف المدينة ، فآخى النبي ﷺ بينه وبين سعد بن الربيع الأنصاري ، وكان سعد ذا غنى ، فقال لعبدالرحمن : أقاسمك مالي نصفين وأزوجُكَ . قال : باركَ الله لكَ في أهلِكَ ومالِكَ ، دلوني على السوق ، فما رجع حتى استفضل أقطًا وسمنًا ، فأتى به أهل منزله ، فمكثنا يسيرا - أو ما شاء الله - فجاء وعليه وضرٌ من صفرةٍ فقال له النبي ﷺ : ((**مَهْيَم؟**)) قال : يا رسول الله تزوجت امرأة من الأنصار ، قال : ((**ما سُقتَ إليها؟**)) قال : نواةً من ذهبٍ - أو وزن نواةٍ من ذهب - قال : ((**أولم ولو بشاة**))) (٢) مَهْيَم ؛ أي ما أمرك وشأنك وهي كلمة يمانية .

فانظر كيف قابل عبد الرحمن بن عوف إيثار أخيه سعد بنفس عفيفة وكلمة طيبة ((بارك الله لك في أهلك ومالك دلوني على السوق)) ، فوفقه الله وأغناه ورزقه وكفاه من حيث لا يحتسب حتى قال : ((لو رفعت حجرًا لرجوت أن أصيب ذهبًا وفضة)) .

خامسا : بعض التطبيقات العملية المقترحة لتأكيد معاني الدرس :

١- تقديم هدية لأحد الإخوان مستشعرًا قوله ﷺ : ((**تهادوا تحابوا**)) (٣).

---

(١) رواه البخاري ، أول كتاب البيوع ، في باب ما جاء في قوله تعالى : ﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلاَةُ ﴾ الآية ، حديث رقم ٢٠٤٨ .

(٢) رواه البخاري ، في كتاب البيوع ، في باب ما جاء في قوله تعالى : ﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلاَةُ ﴾ الآية ، حديث رقم ٢٠٤٩ .

(٣) رواه أبو يعلى في مسنده ، وحسنَّه الألباني في صحيح الجامع ، حديث رقم ٣٠٠٤ ، انظر أيضًا الإرواء ، حديث رقم ١٦٠١ .

٢- إيثار راحة إخوانك على راحتك وذلك بالحرص على القيام بخدمتهم في بعض حاجاتهم لا سيما حال السفر أو الرحلات البرية .
٣- إيثار إخوانك بما تحبه وتشتهيه نفسك كالطعام لا سيما إذا كان قليلاً والشراب إن كان شحيحًا .
٤- العفو عن كلمة نابية أو عبارة غليظة [١] صدرت من أحد إخوانك ومغفرتها له وهذا يسمى ((إيثار العرض أو الجود به)) كأبي ضَمْضَم الذي قال : اللهم لا مال لي أتصدق به على الناس ، وقد تصدقت عليهم بعرضي ، فمن شتمني أو قذفني فهو في حل ، فقيل : ((**من يستطع منكم أن يكون كأبي ضَمْضَم**)) [٢] .
٥- إيثار إخوانك بوقتك وطاقاتك وذلك بمشاركتك الفاعلة معهم في مناشطهم ودعوتهم والتغلب على حب النفس للخمول والكسل أو حبها للسعي في منافعها الدنيوية وشهواتها الشخصية .
٦- تقديم شيءٍ من مالك للدعوة إلى الله - عز وجل - مهما كانت الحاجة لهذا المال ، ولو كان قليلاً حتى تعتاد النفس على البذل والإيثار .

سادسا : مراجع البحث :

١- تهذيب مدارج السالكين ، ابن القيم ، ط٤ ، مؤسسة الرسالة .
٢- خلق المسلم ، الغزالي ، ط الاتحاد الإسلامي العالمى .
٣- جامع العلوم والحكم ، ابن رجب ، تحقيق شعيب الأرناؤوط ، مؤسسة الرسالة .
٤- الإيثار ، سمير حلبي ، دار الصحابة للتراث .
٥- مختصر منهاج الصالحين، ابن قدامة المقدسي ، تحقيق زهير الشاويش ، المكتب الإسلامي.
٦- آفات على الطريق ، السيد محمد نوح .
٧- موسوعة أطراف الحديث النبوي الشريف ، محمد السعيد زغلول ، دار الفكر ، ط١ .
٨- المعجم المفهرس لألفاظ الحديث ، أ . ى . ونسنك ، مطبعة بريل .
٩- البداية والنهاية ، ابن كثير ، ط دار الفكر .
١٠- منهاج المسلم ، أبو بكر الجزائري ، ط٨ ، مكتبة الكليات الأزهرية .
١١- الجامع لأحكام القرآن ، القرطبي ، دار التراث العربي .
١٢- حياة الصحابة ، محمد الكاندهلوي ، دار الفكر ، ط٢ .
١٣- موسوعة أخلاق القرآن ، د . الشرباصي . دار الرائد العربي ، ط ٣ ، سنة

(١) انظر للتوسع السلوك الاجتماعي في الإسلام لحسن أيوب ، ص ٤٨٦ ، حق اللسان .
(٢) الحديث ضعيف ، رواه أبو داود ، حديث رقم ٤٨٨٧ .

١٤٠٧هـ .
١٤- مقومات الداعية الناجح ، د . علي بادحدح ، دار الأندلس الخضراء ، ط١ .
١٥- لسان العرب ، ابن منظور .
١٦- المعجم الوجيز ، مجمع اللغة العربية .
١٧- تيسير الوصول إلى مواضع الحديث ، عبد المجيد محمد حسين ، دار الدعوة في كتب الأصول .
١٨- مشكاة المصابيح ، للتبريزي ، المكتب الإسلامي ، ط٣ .
١٩- إحياء علوم الدين ، الغزالي .
٢٠-طريق الهجرتين ومفتاح السعادتين ، ابن القيم ، دار ابن القيم ، ط١ ، سنة ١٤٠٩هـ .
٢١- صحيح الجامع الصغير وزياداته ، الألباني ، المكتب الإسلامي .
٢٢-نزهة الفضلاء تهذيب سير أعلام النبلاء ، محمد حسن عقيل موسى ، دار الأندلس الخضراء .
٢٣- فتح الباري شرح صحيح البخاري ، ابن حجر - رحمه الله - ، دار المعرفة .
٢٤-السلوك الاجتماعي ، حسن أيوب ، دار الندوة الجديدة .
٢٥-دليل القارئ إلى مواضع الحديث في صحيح البخاري ، عبد الله الغنيمان ، مؤسسة الرسالة ، ط ٢ .

إيمان

الإيمـــان

أولا : دلالة المصطلح :

أ - لغة :

قال ابن منظور في مادة أمن ، والإيمان : ضد الكفر . والإيمان بمعنى : التصديق ، ضِده التكذيب[1] . قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله تعالى - : « ليس لفظ الإيمان مرادفًا للفظ التصديق » ، (انظر الإيمان ، ج ٥ ، ص ٥٢٩) .

ب - اصطلاحا (شرعًا) :

- ذهب جماعة أهل السنة إلى تعريف الإيمان بأنه : « تصديق بالجنان ، وإقرار باللسان ، وعمل بالأركان » ، وإلى هذا ذهب مالك والشافعي وأحمد والأوزاعي وإسحق ابن راهويه وسائر أهل الحديث وأهلُ المدينة - رحمهم الله تعالى - .

ولهذا قال الإمام ابن القيم - رحمه الله - في النونية :

واشهد عليهم أن إيمان الورى قول وفعل ثم عقد جنانِ

- قال شارح الطحاوية بعد أن أورد التعريف السابق ، وذهب كثير من أصحابنا إلى ما ذكره الطحاوي - رحمه الله - : « أنه الإقرار باللسان ، والتصديق بالجنان»[2] .

ولا شك أن الأدلة من الكتاب والسنة أظهر في القول الأول ، وأدل عليه من القول الآخر[3] . ولابد من العلم أن الفريق الثاني(أبا حنيفة ومن معه) لا يلغي العمل في قضية الإيمان وإنما يعتبره مقتضى من مقتضياته ولازمًا من لوازمه، أما الفريق الأول فهو يرى أن العمل جزء من الإيمان نفسه ؛ ولذلك قال شارح الطحاوية : « والاختلاف الذي بين أبي حنيفة والأئمة الباقين من أهل السنة اختلاف صوري لا يترتب عليه فساد اعتقاد »[4] .

ج - المصطلحات المقاربة :

١ - العقيدة :

ويستخدمها بعض الكتاب بمعنى الإيمان .. ولم ترد في القرآن الكريم أو في سنة

---

(1) لسان العرب ، لابن منظور ، ج١ ، ص ١٤٠ .
(2) شرح العقيدة الطحاوية ، ص ٣٣٢ ، المكتب الإسلامي - تحقيق الألباني .
(3) للتوسع في مسألة الترجيح للقول الأول : انظر شرح النووي على صحيح مسلم ، ج١ ، ص ١٤٨ ، ورسالة الإيمان لأبي عبيد القاسم بن سلام ، ص ٥٤ ، الإيمان لشيخ الإسلام ابن تيمية ، الفتح ، ج١ ، ص ٤٣ - ٤٥ .
(4) شرح العقيدة الطحاوية ، ص ٣٣٣ ، مختصرًا .

الرسول الأمين ﷺ(١)، فالاقتصار على ألفاظ القرآن أولى وأفضل ثم في لفظة الإيمان من الإيحاءات والظلال ما ليس للفظ العقيدة فتأمل .

٢ - التصور الإسلامي :

استخدمه سيد قطب - رحمه الله - بمعنى العقيدة ، وقد انتقد في هذا ؛ لأن التصور إفراز عقل وليس تنزيل وحي ، ولهذا أورده صاحب معجم المناهي اللفظية(٢) .

٣ - الإسلام :

الفرق بين الإسلام والإيمان : قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - :

لكن التحقيق ابتداءً هو ما بيَّنه النبي ﷺ لما سُئل عن الإسلام والإيمان ، ففسر الإسلام بالأعمال الظاهرة ، والإيمان بالأصول الخمسة ، فليس لنا إذا جمعنا بين الإسلام والإيمان أن نجيب بغير ما أجاب به النبي ﷺ « وأما إذا أفرد اسم الإيمان فإنه يتضمن الإسلام ؛ وإذا أفرد الإسلام فقد يكون مع الإسلام مؤمنًا بلا نزاع ، وهذا هو الواجب »(٣) .

وبهذا ، فإن كل مؤمن مسلم ولكن قد لا يكون المسلم مؤمنًا كما في ادعاء الأعراب في سورة الحجرات ، والله أعلم .

ثانيا : الأهداف :

نهدف في عرض هذا الموضوع إلى عدة أمور منها :

١- إدراك أهمية الإيمان في سعادة المرء في عاجلته وآجلته ، ومنزلة المؤمن عند الله - عز وجل .
٢- ضرورة رعاية المسلم لإيمانه ، فيأخذ بأسباب قوته وزيادته ، ويبتعد عن عوامل ضعفه ونواقضه .
٣- التأكيد على أثر الصحبة الصالحة في الحفاظ على الإيمان وقوته وثباته .
٤- بيان أهمية الالتزام بالدعوة إلى الله - عز وجل - في زيادة الإيمان ونمائه .
٥- التأكيد على ضرورة أن يكون للإيمان آثار يتميز بها المؤمن عن غيره في أخلاقه وسلوكه وفي تصوراته وأفكاره وفي أهدافه وغاياته .

[آثار الإيمان ، الفرق بين المؤمن وضده ، منهج أهل السنة في تعريف الإيمان] .

٦- معرفة بعض الأحكام المتعلقة بالإيمان والتي يحتاج إليها المسلم في حياته .

---

(١) انظر معجم المناهي اللفظية ، بكر أبو زيد ، ص ٢٤٢ ، دار ابن الجوزي ، ط١ .
(٢) المرجع السابق ، ص ٢٢٢ .
(٣) مجموعة الفتاوى ، ج٧ ، ص ٢٥٩ - ٢٦٠ .

ثالثا : عناصر الموضوع :

- دلالة المصطلح (تُنظر في بداية البحث)
١- منزلة الإيمان وأهميته .
٢- مكانة المؤمن عند الله - عز وجل .
٣- ثمرات الإيمان .
٤- آثار الإيمان .
٥- تعاهد الإيمان والسبيل إلى تقويته وزيادته .
٦- أسباب ضعف الإيمان .
٧- مظاهر ضعف الإيمان .
٨- مقارنة بين المؤمن وضده .
٩- أحكام ومسائل في الإيمان .

رابعا : العرض :

١ - منزلة الإيمان وأهميته :

١ - ١ : إن الإيمان أساس قبول الأعمال عند الله - عز وجل- ، فلا يقبل من كافر صرفًا ولا عدلاً ولو أنفق ملء الأرض ذهبًا في أعمال الخير . قال تعالى : ﴿ **وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنثُورًا** ﴾[1] .. وقال - عز وجل - مشترطًا الإيمان في قبول سعي العباد : ﴿ **فَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلاَ كُفْرَانَ لِسَعْيِهِ** ﴾[2] .

١ - ٢ : إن الإيمان أفضل الأعمال وأزكاها عند الله ، لما روى أبو ذر رضي الله عنه فقال : ((قلت يا رسول الله ، أي الأعمال أفضل؟ قال : ((**الإيمان بالله والجهاد في سبيله**))[3] ؛ ولهذا جاء رجل من الكفار مقنّعًا بالحديد ، يسأل رسول الله ﷺ أن يخرج مع المسلمين لقتال المشركين . فقال له رسول الله ﷺ : ((**أسلم ثم قاتل**)) فأسلم ثم قاتل فقتل ، فقال ﷺ : ((**عمل قليلاً وأجر كثيرًا**))[4] .

١ - ٣ : إن الله - عز وجل - قد أمر به وجعله سببًا للهداية وسبيلاً للسعادة في

---

(1) سورة الفرقان [٢٣] .
(2) سورة الأنبياء [٩٤] .
(3) رواه البخاري ، كتاب العتق ، حديث رقم ٢٢٣٤ ، ومسلم ، كتاب الإيمان ، حديث رقم ١١٩ .
(4) رواه البخاري ، كتاب الجهاد ، حديث رقم ٢٥٩٧ ، ومسلم ، كتاب الإمارة ، حديث رقم ٣٥١٩ .

الدنيا والآخرة .. فقال : ﴿ فَآمِنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ (١)، ﴿ فَمَن يُرِدِ اللهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلاَمِ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا ﴾(٢) .

١ - ٤ : ومما يدل على مكانة الإيمان وأهميته ، أنه - عز وجل - ذكره أكثر من ثمانمائة وأربعين مرة(٣) ، بين الأمر به والدعوة إليه والثناء على أهله وبيان عاقبتهم ورفعة منزلتهم .

١ - ٥ : إن الإيمان موقظ للمؤمن عند المعصية ، مذكر له بالتوبة والإنابة كما قال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ﴾(٤) .. فالمؤمن والإيمان كالفرس وآخِيَّتِهِ كما ورد في الأثر : ((مثلُ المؤمن ومثل الإيمان كالفرس المربوط في آخيَّتِهِ : يجول ما يجول ، ثم يعود إلى آخيَّتِهِ)) (٥) .

١ - ٦ : إن الإيمان معين لا ينضب للعمل الصالح ، فبقدر الإيمان في قلب العبد تكون استجابته للطاعات ومسارعته بالخيرات ، وصبره على المشقات ، وتضحيته بنفسه وماله في سبيل خالق الأرض والسموات ؛ ولهذا فإننا نرى أن الكثير من الأوامر الربانية والتوجيهات الإلهية قد صُدِّرت بقوله : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ .

١ - ٧ : إن الإيمان أساس شخصيتنا وسرُّ تميزنا ومنبع قوتنا وقوام عزتنا فيالها من نعمة عظمى ومنَّة كبرى : ﴿ بَلِ اللهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلإِيمَانِ ﴾ (٦)، ﴿ وَلَكِنَّ اللهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ * فَضْلاً مِّنَ اللهِ وَنِعْمَةً وَاللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾(٧).

٢ - مكانة المؤمن عند الله تعالى :

ولمكانة المؤمن الرفيعة عند الله - عز وجل - فقد حباه بنعمه العظيمة ، وأحاطه برعايته الكريمة ، وإليك بعض الفضائل التي خصَّ الله بها المؤمنين في الدنيا ،

---

(١) سورة الأعراف [١٥٨] .
(٢) سورة الأنعام [١٢٥] .
(٣) الإيمان : خصائصه ، علاماته ، ثمراته ، القسم الأول ، أحمد عز الدين البيانوني ، ص ٧ - ١٦ .
(٤) سورة الأعراف [٢٠١] .
(٥) لا يصح مرفوعًا ، أخرجه ابن المبارك في الزهد ، ص ٢٤ ، وأحمد ، ج٣ ، ص ٣٨ ، ٥٥ ، وأبو يعلى في مسنده ، ج٢ ، ٣٥٧ ، ٣٩٢ ، وابن حبان (٢٤٥٨) .
(٦) سورة الحجرات [١٧] .
(٧) سورة الحجرات [٧] .

ولأجر الآخرة أكبر وأعظم :

٢ - ١ : معية الله - تعالى - للمؤمنين :

فمعية الله - عز وجل - لعباده على نوعين : معية عامة وهي الإحاطة بهم علمًا كما في قوله تعالى : ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ ﴾[1] ، ومعية خاصة : قال الحكمي - رحمه الله - : وأما معيته الخاصة لأحبابه وأوليائه فتلك غير المعية العامة ، « فهو معهم بالإعانة والرعاية ، والكفاية والنصر والتأييد والهداية ، والتوفيق والتسديد وغير ذلك ... » [2] ، قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ اللهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴾[3] ، وقال : ﴿ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لاَ تَحْزَنْ إِنَّ اللهَ مَعَنَا ﴾[4] .

٢ - ٢ الدفاع عن المؤمنين ونصرهم وحمايتهم :

كما قال تعالى : ﴿ إِنَّ اللهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا ﴾[5] قال الإمام ابن كثير - رحمه الله تعالى - : « يخبر - تعالى - أنه يدافع عن عباده الذين توكلوا عليه وأنابوا إليه ويحفظهم من شر الأشرار وكيد الفجّار بتأييده ونصره كما قال تعالى : ﴿أَلَيْسَ اللهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ﴾ »[6][7] ، ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [8].

٢ - ٣ : الأمر بإكرام المؤمن والرفق به :

ولكرامة المؤمنين عند الله أمر نبيه أن يُلين جانبه لهم [9]ويتواضع ، لهم كما قال تعالى :

﴿ وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾[10]. وأمره بمشورتهم والعفو عنهم والاستغفار لهم ﴿ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي

---

(1) سورة الحديد [٤] .
(2) معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول (في التوحيد) ، حافظ الحكمي ، ج١ ، ص ٢٠٦ ، دار ابن القيم ، ط٣ .
(3) سورة النحل [١٢٨] .
(4) سورة التوبة [٤٠] .
(5) سورة الحج [٣٨] .
(6) سورة الزمر [٣٦] .
(7) تيسير العلي القدير لاختصار تفسير ابن كثير ، اختصره محمد نسيب الرفاعي ، ج٣ ، ص ٢١٣ ، مكتبة المعارف ، ط ١٤١٠هـ .
(8) سورة الروم [٤٧] .
(9) الإيمان : خصائصه علاماته ثمراته ، البيانوني .
(10) سورة الحجر [٨٨] .

الأمْرِ ﴾ [1].

٢ ـ ٤ : التحذير من أذى المؤمن وخذلانه :

ولعظيم مكانة المؤمنين عند الله - تبارك وتعالى - هدد من يؤذيهم ، واعتبر أذيتهم من الكبائر[2] قال الله تعالى : ﴿ **وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا** ﴾[3] ، وقال الله تعالى في الحديث القدسي : ((**من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب**)) [4] ، وقال : ((**ما من امرئ مسلم يخذل امرءًا مسلمًا في موضع يُنتهك فيه حرمته وينتقص فيه من عرضه إلا خذله الله – تعالى – في موطنٍ يحب فيه نصرته ، وما من امرئٍ مسلم ينصر مسلمًا في موضع يُنتقصُ فيه من عرضه ويُنتهك فيه من حرمته إلا نصره الله في موطن يحب فيه نصرته**)) [5] .

٢ ـ ٥ : مواساة المؤمن في مصابه :

من نعم الله - عز وجل - على المؤمن - وليس ذلك إلا للمؤمن - تكفير الله - عز وجل - لسيئاته ، ومغفرته لذنوبه في كل مصيبة يصابها ، حتى الشوكة يشاكها إذا احتسب وصبر ، قال رسول الله ﷺ : ((**ما من شيء يصيب المؤمن في جسده يؤذيه ، إلا كفَّر الله عنه به من سيئاته**)) [6] ، وقال عليه الصلاة والسلام :((**ما من شيء يصيب المؤمن ، حتى الشوكة تصيبه ، إلا كتب الله له بها حسنة أو حطَّ عنه بها خطيئة**)) [7] .

٢ ـ ٦ : تسديد المؤمن وتوفيقه للهداية :

قال الله تعالى : ﴿ **اللهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ** ﴾[8] يخرجهم من الضلالة إلى الهداية .. ومن الجهالة إلى الرشد .

---

(1) سورة آل عمران [١٥٩] .
(2) الإيمان : خصائصه علاماته ثمراته ، القسم الأول : ص ١٠ ، البيانوني .
(3) سورة الأحزاب [٥٨] .
(4) رواه البخاري ، كتاب الرقائق ، باب التواضع ، حديث رقم ٦١٣٧ .
(5) رواه أبو داود ، كتاب الأدب ، حديث رقم ٤٢٤٠ ، وأحمد والضياء عن جابر وأبي طلحة بن سعد ، وانظر المشكاة ، حديث رقم ٤٩٨٣ .
(6) صحيح ، صحيح الجامع برقم ٥٧٢٤ ، عن معاوية .
(7) رواه مسلم ، في البر والصلة ، حديث رقم ٥١ .
(8) سورة البقرة [٢٧٥] .

وكما قال تعالى : ﴿وَلَكِنَّ اللهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ ، فَضْلاً مِّنَ اللهِ وَنِعْمَةً وَاللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾(1) ، قال ابن سعدي - رحمه الله - : « فهذه أكبر المنن أن يحبب الله الإيمان للعبد ، ويزينه في قلبه ، ويذيقه حلاوته ، وتنقاد جوارحه للعمل بشرائع أهل الإسلام ويبغض الله إليه أصناف المحرمات والله عليم بمن يستحق أن يتفضل عليه بهذا الفضل ، حكيم في وضعه في محله اللائق »(2).

٢ - ٧ : الأمر بمصاحبته :

فقد أمر الله بمصاحبة المؤمن ليتأثر به من يصاحبه ، وما هذا إلا لمنزلة عند الله لا تُعادَل ، ففي حديث أبي سعيد ﷺ عن النبي ﷺ قال : « **لا يأكل طعامك إلا تقي ، ولا تصاحب إلا مؤمنًا** » (3).

قال الحافظ المناوي : « وذلك لأن الطبع سراق ، والمعاشرة والمصاحبة لها تأثير في الأخلاق وبذل الطعام سبيل لألفة الأنام ، فعلى المؤمن أن يتودد إلى الصالحين ويقرب منهم عسى أن يتسرب إلى نفسه من حالهم »(4) .

٢ - ٨ : وأما منزلة المؤمن في الآخرة :

فهو رضوان الله وجنانه ... ورؤية وجهه الكريم والأنس باستماع كلامه وحسبنا أن نورد ما أخبرنا به الصادق المصدوق الذي لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى ، حيث يقول في منزلة المؤمن في الآخرة : « **إن أهل الجنة ليتراؤون أهل الغرف في الجنة ، كما تراؤون الكوكب الشرقي أو الغربي في الأفق ، لتفاضل ما بينهم** » ، قالوا : يا رسول الله تلك منازل الأنبياء لا يبلغُها غيرهم ، قال : « **بلى والذي نفسي بيده رجال آمنوا بالله**

---

(1) سورة الحجرات [٧-٨] .
(2) التوضيح والبيان لشجرة الإيمان ، ابن سعدي ، ص ١٢ .
(3) رواه أحمد ، ج٣ ، ص ٨٣ ، وأبو داود ، كتاب الأدب ، حديث رقم ٤١٢٩ والترمذي ، كتاب الزهد ، حديث رقم ٢٣١٨ ، وابن حبان والحاكم في المستدرك ووافقه الذهبي ، وقد حسنه الألباني في صحيح الجامع ، حديث رقم ٧٣٤١ .
(4) مختصر شعب الإيمان ، للبيهقي ، اختصره القزويني ، ص ١٠١ ، مؤسسة الكتب الثقافية ، الطبعة الثانية ، وانظر فيض القدير ، ج ٦ ، ص ٤٠٤ - ٤٠٥ .

وصدقوا المرسلين)) [١] .

وقال ابن سعدي - رحمه الله تعالى - : ((وإيمانهم بالله وتصديقهم للمرسلين في ظاهرهم وباطنهم في عقائدهم وأخلاقهم وأعمالهم ، وفي كمال طاعتهم لله ولرسوله فقيامهم بهذه الأمور ، به يتحقق إيمانهم بالله وتصديقهم للمرسلين)) [٢] .

٣ - ثمرات الإيمان [٣] :

قال الله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ ، تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللهُ الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾[٤] ، لقد شبّه القرآن الكريم الإيمان في قلب المؤمن بالشجرة الطيبة ، الخيرة النافعة ، المثمرة ، المباركة .

قال السعدي - رحمه الله - : ((كم للإيمان الصحيح من الفوائد والثمرات العاجلة والآجلة في القلب والبدن والراحة ، والحياة الطيبة ، والدنيا والآخرة ، وكم لهذه الشجرة الإيمانية من الثمار اليانعة ، والجني اللذيذ ، والأكل الدائم والخير المستمر ، أمور لا تحصى ، وفوائد لا تستقصى ، ومجملها أن خيرات الدنيا والآخرة ، ودفع الشرور كلها من ثمرات هذه الشجرة ، وذلك أن هذه الشجرة إذا ثبتت وقويت أصولها ، وتفرعت فروعها وزهت أغصانها ، وأينعت أفنانها عادت على صاحبها وعلى غيره ، بكل خير عاجل وآجل)) .

وإليك ما ذكره - رحمه الله - من ثمرات هذه الشجرة المباركة (ملخصًا) [مع ملاحظة أن بعضها قد ذكرناه في منزلة المؤمن] .

٣ - ١ : فمن أعظم ثمارها : الاغتباط بولاية الله الخاصة :

قال الله تعالى : ﴿ أَلاَ إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللهِ لاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾[٥] ثم وصفهم بقوله : ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴾ [٦].

---

(١) رواه البخاري ، في كتاب بدء الخلق ، حديث رقم ٣٢٥٦ ، ومسلم في كتاب الجنة ، حديث رقم ٢٨٣١ ، من حديث أبي سعيد الخدري .
(٢) التوضيح والبيان لشجرة الإيمان ، عبد الرحمن السعدي ، ص ٩ ، مكتبة دار الأقصى .
(٣) للتوسع في ثمرات الإيمان : انظر مجموع فتاوى ، المجلد السابع ورسائل فضيلة الشيخ محمد العثيمين ، المجلد السادس ، فتاوى العقيدة ، جمع وترتيب فهد السليمان ، ص٨٦ ، ٨٩ ، ٩١ ، ١٠٢ ، ١١٣ ، الإيمان والحياة ، ليوسف القرضاوي (معظم فصول الكتاب) .
(٤) سورة الرعد [٢٤-٢٥] .
(٥) سورة يونس [٦٢] .
(٦) سورة يونس [٦٣] .

وقال : ﴿ اللهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ﴾(١) .

- أي يخرجهم من ظلمات الكفر إلى نور الإيمان .
- ومن ظلمات الجهل إلى نور العلم .
- ومن ظلمات المعاصي إلى نور الطاعة .
- ومن ظلمات الغفلة إلى نور اليقظة والذكر .

٣ - ٢ : الفوز برضاء الله ودار كرامته :

قال الله تعالى : ﴿ وَعَدَ اللهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ (٢).

٣ - ٣ : الوقاية من النار :

إن الإيمان الكامل يمنع دخول النار ، والإيمان - ولو كان قليلاً - يمنع من الخلود في النار ، كما تواترت بذلك الأحاديث الصحيحة عن النبي ﷺ .

٣ - ٤ : إن الله يدفع عن المؤمنين جميع المكاره ، وينجيهم من الشدائد :

كما قال تعالى : ﴿ إِنَّ اللهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ (٣) . أي يدفع عنهم كل مكروه ، يدفع عنهم شر شياطين الإنس وشياطين الجن ، ويدفع عنهم المكاره قبل نزولها ، ويرفعها أو يخففها بعد نزولها .

لما ذكر -تعالى- ما وقع فيه يونس -عليه السلام- وأنه ناداه - سبحانه : ﴿ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَن لاَّ إِلَـهَ إِلاَّ أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ (٤) قال تعالى : ﴿ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (٥) . إذا وقعوا في الشدائد ننجيهم كما أنجينا يونس .

٣ - ٥ : الحياة الطيبة في الدارين :

---

(١) سورة البقرة [٢٧٥] .
(٢) سورة التوبة [٧٢] .
(٣) سورة الحج [٣٨] .
(٤) سورة الأنبياء [٨٧] .
(٥) سورة الأنبياء [٨٨] .

قال تعالى : ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (١).. والحياة الطيبة تعني طمأنينة القلب وراحته وقناعته بما رزقه الله ، وعدم تعلقه بغيره .

٣ - ٦ : محبة الله للمؤمن ومحبة المؤمنين له :

كما قال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا ﴾(٢) أي يحبهم الله ويجعل لهم المحبة في قلوب المؤمنين ، ومن أحبه الله وأحبه المؤمنون من عباده حصلت له السعادة والفلاح والفوائد الكثيرة في الثناء والدعاء له حيًّا وميتًا ، والاقتداء به .

٣ - ٧ : الرفعة والإمامة في الدين :

قال تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴾(٣) فبالصبر واليقين - اللذين هما رأس الإيمان وكماله - نالوا الإمامة في الدين .

ومنها قوله تعالى : ﴿ يَرْفَعِ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ ﴾(٤) فأهل الإيمان والعلم يرفعهم الله في الدنيا والآخرة ، فهم أعلى الخلق درجه عند الله ، وعند عباده في الدنيا والآخرة .

٣ - ٨ : حصول البشارة بكرامة الله ، والأمن التام من جميع الوجوه :

كما قال تعالى : ﴿ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾(٥) ، فأطلقها إليهم الخير العاجل والآجل ، وقيَّدها في مثل قوله : ﴿ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ ﴾ (٦).

ولهم الأمن المقيد مثل قوله تعالى : ﴿ فَمَنْ آمَنَ وَأَصْلَحَ فَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾(٧) ، فنفى عنهم الخوف لما يستقبلونه ، والحزن مما مضى عليهم ، وبذلك يتم لهم الأمن ، فالمؤمن له الأمن التام في الدنيا والآخرة ، أَمنَ مِنْ سخط الله وعقابه

---

(١) سورة النحل [٩٧] .
(٢) سورة مريم [٩٦] .
(٣) سورة السجدة [٢٤] .
(٤) سورة المجادلة [١١] .
(٥) سورة الصف [١٣] .
(٦) سورة البقرة [٢٥] .
(٧) سورة البقرة [٣٨] .

، وأَمِنَ مِنْ جميع المكاره والشرور ، وله البشارة الكاملة بكل خير ، كما قال تعالى : ﴿ لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ ﴾(١) .

٣ ـ ٩ : الانتفاع بالمواعظ :

كما قال تعالى : ﴿ وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾(٢) ؛ لأن الإيمان يحمل صاحبه على التزام الحق واتباعه .

٣ ـ ١٠: الإيمان يحمل صاحبه على الشكر في حالة السراء ، والصبر في حالة الضراء وكسب الخير في كل أوقاته .

كما ثبت ذلك في الصحيح ، عن النبي ﷺ أنه قال : ((**عجبًا لأمر المؤمن ! إن أمره كله خير وليس ذاك لأحد إلا للمؤمن ، إن أصابته سراء شكر ، فكان خيرًا له ، وإن أصابته ضراء صبر ، فكان خيرًا له**)) (٣) .

٣ ـ ١١ : قطع الشكوك التي تضر بالدين :

فالإيمان يقطع الشكوك التي تعرض لكثير من الناس فتضر بدينهم ، قال الله تعالى : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا ﴾(٤) .. أي دفع الإيمان الصحيح الذي معهم الريب والشك الموجود وأزاله بالكلية .

ولهذا قال النبي ﷺ : ((**لا يزال الناس يتساءلون حتى يقال هذا : خَلقَ اللهُ الخلق ، فمن خَلقَ الله ؟ فمن وجد ذلك ، فليقل آمنت بالله ولينتهِ ، وليتعوّذ بالله من الشيطان**)) (٥).

٣ ـ ١٢ : الطمأنينة عند الخوف والقوة والشجاعة والثبات :

فالمؤمنون يلجأون إلى إيمانهم عند الخوف فيطمئنون إليه ، ويزيدهم إيمانًا وثباتًا ، وقوة وشجاعة ويضمحل الخوف الذي أصابهم ، كما قال تعالى عن خيار الخلق : ﴿ الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللهُ

(١) سورة يونس [٦٤] .
(٢) سورة الذاريات [٥٥] .
(٣) رواه مسلم في كتاب الزهد ، باب المؤمن أمره كله خير ، حديث رقم ٢٩٩٩ .
(٤) سورة الحجرات [١٥] .
(٥) رواه البخاري ، ج٦ ، ص ٣٣٦ ، ورواه مسلم واللفظ له ، ج١ ، ص١١٩ ـ ١٢١ ، حديث رقم ١٣٤ .

وَنِعْمَ الْوَكِيلُ * فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللهِ وَفَضْلٍ ﴾(١) .

٣ ـ ١٣ : الإيمان الصحيح يمنع العبد من الوقوع في الموبقات المهلكة :

كما قال ﷺ : ((**لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن ، ولا يشرب الخمر حين يشرب وهو مؤمن**)) (٢) .

فمن وقعت منه فإنه لضعف إيمانه وذهاب نوره ، وزوال الحياء ممن يراه حيث نهاه .
(انتهى ملخصًا ومختصرًا بتصرف) (٣) .

٤ ـ آثار الإيمان :

ذكرنا فيما سبق أن جمهور أهل السنة يرون أن الإيمان اعتقاد وقول وعمل(وهو القول الصحيح) ، فالمؤمن الذي رسخ الإيمان في قلبه لابد أن تتأثر بذلك جوارحه ، ويسري فيها مسرى الدم في العروق ، وتظهر آثار هذا الإيمان في أقواله وأفعاله ، وفي سلوكه وتصرفاته ، وفي أفكاره وتصوراته ، وإليك - أخي الحبيب - بعض آثار الإيمان .

٤ ـ ١ : الانقياد للشرع :

إن من أعظم آثار الإيمان وآياته الجليلة التي تظهر على المؤمن التزامه بشرع الله ومحافظته عليه واتباعه له فتراه قائمًا عند حدوده ، ممتثلاً لأوامره مجتنبًا لنواهيه ... كما قال تعالى في وصف المؤمنين : ﴿ **إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ * وَمَن يُطِعِ اللهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللهَ وَيَتَّقْهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ** ﴾(٤) بل قد نفى الإيمان عن أولئك الذين يتململون من أحكام الشريعة حتى ولو في بواطنهم فقال - عز وجل : ﴿ **فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا** ﴾(٥) ، قال الإمام ابن كثير - رحمه الله - : ((يقسم تعالى بنفسه الكريمة المقدسة ، أنه لا يؤمن أحد حتى يُحكِّمَ الرسولَ ﷺ في جميع الأمور ، فما حَكَمَ به فهو الحق الذي يجب الانقياد له باطنًا وظاهرًا ، ولهذا قال : ﴿ **ثُمَّ لاَ يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا** ﴾

---

(١) سورة آل عمران [١٧٣] .
(٢) رواه البخاري ، ج٥ ، ص ١١٩ ، ومسلم ، ج١ ، ص ٧٦ .
(٣) التوضيح والبيان لشجرة الإيمان ، الشيخ العلامة عبد الرحمن السعدي ، ص ٣٩ ـ ٥٤ .
(٤) سورة النور [٥١-٥٢] .
(٥) سورة النساء [٦٥] .

أي إذا حكموك يطيعونك في بواطنهم ، فلا يجدون في أنفسهم حرجًا مما حكمت به ، وينقادون له في الظاهر والباطن فيسلمون لذلك تسليمًا كليًّا من غير ممانعة ولا مدافعة ولا منازعة(١).

وقد ضرب الصحابة ﷺ أروع الأمثلة في التزامهم أمر الله - عز وجل - وسنة رسوله ﷺ حتى قال قائلهم : ((لو أمرنا الله بقتل أنفسنا لفعلنا والحمد الله الذي عافانا)) (٢) .

وحسبنا أن نعرض موقفهم من تحريم الخمر التي كانت في الجاهلية شرابهم صباحًا ومساءً جرى حبها في دمائهم حتى قال قائلهم :

إذا متُّ فادفني على جنب كُرمةٍ تروّي عظامي بعد موتي عروقها

فلما نزل تحريم الخمر (مصدّرًا بصفة الإيمان) قال تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأنصَابُ وَالأَزْلاَمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ، إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ اللهِ وَعَنِ الصَّلاَةِ فَهَلْ أَنْتُم مُّنتَهُونَ** ﴾(٣) ، عندما سمع المؤمنون هذا النداء الرباني ، حطموا كؤوسهم ، وأراقوا خمرهم حتى سالت طرقات المدينة بما كان عند الناس منها ، بل ربما كان بعضهم شربته في يده ، شرب بعضا وبقي بعض في الإناء ، فما رفعها إلى شفتيه ، عن أبي سعيد قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : ((**يا أيها الناس إن الله يبغض الخمر ، ولعل الله سينزل فيها أمرًا فمن كان عنده شيء فيبعه ولينتفع به**)) (وذلك قبل التحريم النهائي) ، قال أبو سعيد . فما لبثنا إلا يسيرًا ، حتى قال ﷺ : ((**إن الله حرّم الخمر ، فمن أدركته هذه الآية – يعني آية المائدة السابقة – وعنده منها شيء فلا يشرب ولا يبيع**)) ، قال أبو سعيد : فاستقبل الناس بما كان عندهم منها طرق المدينة فسفكوها - أي صبوها وأسالوها - (٤) .

وعن أنس قال : ((كنت أسقي أبا عبيدة وأبي بن كعب فجاءهم آت فقال : إن

(١) مختصر تفسير ابن كثير ، الصابوني ، دار القرآن الكريم ، ج١ ، ص ٤١٠ .
(٢) المرجع السابق ، ج١ ، ص ٤١١ .
(٣) سورة النساء [٩٠-٩١] .
(٤) رواه مسلم كتاب المساقاة ، حديث رقم ٢٩٥٦ .

الخمر حُرمت ... فقال أبو طلحة : قم يا أنس فأهرقها ... فأهرقتها »[١][٢] .

هكذا تبدو آثار الإيمان جلية في واقع حياتهم ، سرعة في الاستجابة ، وانقياد لا تردد معه .. ولم يكن الأمر وقفًا على الرجال ، بل كانت النساء المؤمنات شقائق الرجال في طاعة الله ورسوله ، وفي هذا تحدِّث عائشة - رضي الله عنها - : « إن لنساء قريش فضلاً وإني والله ما رأيت أفضل من نساء الأنصار ، وأشد تصديقًا لكتاب الله ولا إيمانًا بالتنزيل لما نزلت سورة النور ﴿ **وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ** ﴾[٣] انقلب رجالهن إليهن يتلون عليهم ما أنزل الله إليهم منها ، يتلو الرجل على امرأته وابنته وأخته وعلى كل ذي قرابته ، فما فيهن امرأة إلا قامت إلى مرطها فاعتجزت به تصديقًا وإيمانًا بما أنزل الله من كتاب ، فأصبحن وراء رسول الله ﷺ كأن على رؤوسهن الغربان »[٤] .

٤ - ٢ : اجتناب لوثات الشرك الجلي والخفي :

إن من آمن أن الله - عز وجل - هو الخالق الرازق ، الخافض الرافع ، الضار النافع علم يقينًا أن الخلق كلهم فقراء إليه ، ضعفاء من دونه ، لا يملكون لأنفسهم نفعًا ولا ضرا ، ولا موتًا ولا حياة ولا نشورًا ؛ ولهذا فإنه إذا سأل سأل الله ، وإذا استعاذ استعاذ بالله ، وإذا توجه توجه لله ، وإذا توكل توكل على الله ، وإذا حاكم حاكم إلى الله ، وعلم يقينًا أن الأمة لو اجتمعوا على أن ينفعوه بشيء لم ينفعوه إلا بشيء قد كتبه الله له ، ولو اجتمعوا على أن يضروه بشيء لم يضروه إلا بشيء قد كتبه الله عليه ، كما قال تعالى : ﴿ **أَلَيْسَ اللهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ** ﴾[٥] ، وقال : ﴿ **وَإِن يَمْسَسْكَ اللهُ بِضُرٍّ فَلاَ كَاشِفَ لَهُ إِلاَّ هُوَ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ * وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ** ﴾[٦] .

ومن آثار الإيمان ألا يحلف المرء إلا بالله لأن « **من حلف بغير الله فقد أشرك** » ، وألا يتطير « **الطيرة شرك** » ، وألا يرائي « **أخوف من أخاف عليكم الشرك الأصغر** » ،

---

(١) متفق عليه ورواه البخاري ، كتاب الأشربة ، حديث رقم ٥١٥٤ ، ومسلم ، كتاب الأشربة ، حديث رقم ٣٦٦٢ ، ٣٦٦٣ ، ٣٦٦٤ .

(٢) انظر للتوسع ، الإيمان والحياة للقرضاوي .

(٣) سورة النور [٣١] .

(٤) تفسير ابن كثير ، ج٦ ، ص ٤٨ - ٤٩ ، وفي سنده ضعف لكن له شواهد عند البخاري وأبي داود يتقوّى بها ، انظر تخريج أحاديث وآثار كتاب في ظلال القرآن للسقاف ، ص ٢٢٤ - ٢٢٥ ، ط ١ .

(٥) سورة الزمر [٣٦] .

(٦) سورة الأنعام [١٧] .

(الرياء) ، وبالجملة فعمل المؤمن ظاهرًا وباطنًا قائم على التوحيد الخالص .

٤ ـ ٣ : الحب في الله :

من أجل آثار الإيمان ، حب المؤمن لإخوانه في العقيدة وارتباطه بهم برباط الأخوة في الله الذي قال الله تعالى فيه : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾[1] ، فيحب لهم ما يحب لنفسه ((لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه)) [2] ، ويسعى في حاجاتهم ، ويشعر بمصابهم ويحزن لآلامهم حتى يكون وإياهم كالجسد الواحد ((**مثل المؤمنين في تراحمهم وتوادهم وتعاطفهم كمثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى**)) [3]، و ((**المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضًا**)) [4] ، ولقد سطر المؤمنون الأوائل صورًا رائعة تجسدت خلالها معاني الأخوة الإيمانية وفي تلك الصور الخالدة ما رواه الإمام البخاري ((آخى رسول الله ﷺ بين عبد الرحمن بن عوف وسعد بن الربيع ، فقال سعد لعبد الرحمن : إني أكثر الأنصار مالاً ، فاقسم مالي نصفين! ولي امرأتان انظر إلى أعجبهما إليك فسمها لي أطلقها ، فإذا انقضت عدتها فتزوجها !! قال عبد الرحمن : بارك الله لك في أهلك ومالك ، أين سوقكم؟ فدلوه على سوق بني قينقاع فما انقلب إلا ومعه فضل من أقط وسمن ، ثم تابع الغدو حتى جاء يومًا وبه أثر صفرة ، فقال النبي ﷺ : ((**مهيم؟**)) : قال : تزوجت . قال : ((**كم سقت لها ؟**)) . قال نواة من ذهب)) [5] . ((وأن إعجاب المرء بسماحة سعد لا يعدله إلا إعجابه بنبل عبد الرحمن الذي زاحم اليهود في سوقهم وبزّهم في ميدانهم ، واستطاع بعد أيام أن يكسب ما يعف به نفسه ويحصن به فرجه ؛ ذلك أن علو الهمة من خلائق الإيمان)) [6] .

٤ ـ ٤ : الجهاد في سبيل الله :

قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ

---

(1) سورة الحجرات [١٠] .
(2) سبق تخريجه في موضوع الأخوة ، هو رواية الإمام البخاري في صحيحه .
(3) رواه البخاري ، الفتح ، ج١٠ ، ص ٤٣٨ ، كتاب الأدب ، صحيح مسلم ، ج٤ ، ص ١٩٩ ، كتاب البر .
(4) صحيح البخاري ، الفتح ، ج١٠ ، ص ٤٥٠ ، كتاب الأدب ، صحيح مسلم ، ج٤ ، ص ١٩٩ ، كتاب البر .
(5) رواه البخاري ، الفتح ، ج٧ ، ص ١١٢ ، كتاب مناقب الأنصار .
(6) فقه السيرة ، ص ١٩٣ ، محمد الغزالي ، وانظر أيضاً للتوسع كتاب : الإيمان والحق وأثره في بناء شخصية المسلم لزكريا عابدين ، ص ٨٤ .

وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴾ [1] ، فجعل من أبرز آثار الإيمان وعلاماته الجهاد في سبيل الله بالأموال والأنفس . إن الصدق في الإيمان يدفع المؤمن إلى نصرة دينه بكل ما يملك راضية بذلك نفسه ، قريرة بهذا البذل عينه ؛ ذلك لأنه آمن أن ما قدمه من جهد في سبيل دينه ودعوته مهما كان قليلاً فإن الله سيضاعفه له أضعافًا كثيرة ، وما أنفقه من مال فالله يخلفه ، وما أصابه من أذىً في نفسه أو بدنه فالله معوضه عنه ، بل حتى مجرد الإحساس بالجوع أو العطش فإنه مكتوب له ، محسوب في ميزان حسناته ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لاَ يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلاَ نَصَبٌ وَلاَ مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللهِ وَلاَ يَطَؤُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلاَ يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلاً إِلاَّ كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللهَ لاَ يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ، وَلاَ يُنْفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلاَ كَبِيرَةً وَلاَ يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلاَّ كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ اللهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾[2]، ولهذا فإن المؤمنين إذا سمعوا آيات الله تدعوهم للجهاد والبذل ازدادوا إيمانًا وإقدامًا فقدموا النفس والنفيس في نصرة دينهم وإعلاء كلمة ربهم .

أ - « قرأ أبو طلحة الأنصاري رضي الله عنه سورة « براءة » حتى بلغ هذه الآية : ﴿انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالاً وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ﴾[3] ؛ فقال : خفافًا وثقالاً : شبانًا وكهولاً ، ما سمع الله عذر أحد ، وقال لبنيه : أي بَنِيَّ جهزوني .. جهزوني .. جهزوني (يعني للجهاد) فقال بنوه : يرحمك الله قد غزوت مع النبي ﷺ حتى مات ، ومع أبي بكر حتى مات ، ومع عمر حتى مات ، فنحن نغزو عنك ! قال : لا جهزوني .. فجهزوه بجهاز الحرب فغزا في البحر ، فمات في البحر ، فلم يجدوا له جزيرة يدفنونه فيها إلا بعد سبعة أيام فدفنوه فيها رضي الله عنه » [4] .

ب - وخرج سعيد بن المسيب إلى الغزو ، وقد ذهبت إحدى عينيه ، فقيل له : إنَّك عليل ! فقال : استنفر الله الخفيف والثقيل ، فإن لم يمكنِّي الحرب كثَّرت السواد وحفظت المتاع .

ج - ورأى بعضهم في غزوات الشام رجلاً قد سقط حاجباه على عينيه من الكبر

---

(1) سورة الحجرات [١٥] .
(2) سورة التوبة [١٢٠] .
(3) سورة التوبة [٤١] .
(4) صحيح ، رواه أبو يعلى في مسنده ، ج٦ ، ص ١٣٨ ، وابن سعد في طبقاته ، ج٣ ، ص ٥٠٧ ، وابن حبان ، والحاكم .

فقال له : يا عم! إنَّ الله قد عذرك ! فقال : يا ابن أخي قد أمرنا بالنفير خفافًا وثقالاً [١] .

د - ولقد روي في بعض الغزوات أنَّ الابن وأباه كانا يتسابقان إلى الجهاد ، فيقرعان بينهما فتخرج القرعة للابن ، فيقول الأب : آثرني يا بني ، أنا أبوك ! فيقول الابن ، إنَّها الجنة يا أبت ، ولو كان شيء غيرها لآثرتك والله [٢] .

٤ - ٥ : الولاء والبراء :

ومن أعظم مقتضيات الإيمان وآثاره التي يجب أن تظهر جلية في المؤمن ولاؤه لله - عز وجل - ورسوله ﷺ وللمؤمنين ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا ﴾[٣] ، فالولاء لله : محبة الله ونصرة دينه ، ومحبة أوليائه ونصرتهم ، والبراء : هو بغض أعداء الله ومجاهدتهم[٤] .

والدليل على أنه من مقتضيات الإيمان ، وآثاره أن الله - عز وجل - قال : ﴿ لاَ تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ ﴾[٥] وقال تعالى : ﴿ لاَ يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللهِ فِي شَيْءٍ إِلاَّ أَن تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً ﴾[٦] إلى آخر الآيات التي تدل على وجوب معاداة أهل الكفر وترك مجالسهم وكذلك جميع أهل الظلم والعدوان [٧] ، إلا لدعوتهم والإنكار عليهم ، والله أعلم .

قال الإمام ابن كثير - رحمه الله - في تفسير آية ﴿ لاَ تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللهَ وَرَسُولَهُ ﴾ : « وقال سعيد بن عبد العزيز : أنزلت هذه الآية إلى آخرها في أبي عبيدة عامر بن عبد الله بن الجراح حين قتل أباه يوم بدر ؛ ولهذا قال عمر : لو كان أبو عبيدة حيًّا لاستخلفته - قلت - ومن هذا القبيل حين استشار رسول الله ﷺ المسلمين في أسارى بدر فأشار الصديق بأن يفادوا ، فيكون ما يؤخذ منهم قوة للمسلمين وهم بنو العم والعشيرة ، ولعل الله أن يهديهم ، وقال عمر : لا أرى ما رأى ، يا رسول الله هل تمكنني من فلان - قريب لعمر - فأقتله ، وتمكن عليًّا

---

(١) القرطبي في الجامع لأحكام القرآن في تفسير قوله تعالى : ﴿ انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالاً ﴾ ، انظر للتوسع : الإيمان والحياة ، يوسف القرضاوي ، ص ٢٢٢ - ٢٢٣ .

(٢) سيأتي - إن شاء الله - تخريجها في مبحث التنافس .

(٣) سورة المائدة [٥٥] .

(٤) الإيمان الحق وأثره في بناء شخصية المسلم ، زكريا عابدين ، ص ٧٥ ، دار عالم الكتب للنشر والتوزيع .

(٥) سورة المجادلة [٢٢] .

(٦) سورة آل عمران [٢٨] .

(٧) انظر قول الإمام مالك وكذا سفيان الثوري في ترك مجالسة أهل البدع ومن مصاحبة أهل الظلم ، في الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ، ج١٧ ، ص ٣٢٨ .

من عقيل ، وتمكن فلانًا من فلان ليعلم الله أنه ليست في قلوبنا موادة للمشركين ›› .. (القصة بكاملها) ، وقوله تعالى : ﴿ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِّنْهُ ﴾ (١)، أي من اتصف بأنه لا يوادّ من حادّ الله ورسوله ولو كان أباه أو أخاه فهذا ممن كتب في قلبه الإيمان وزينه في بصيرته ›› (٢).

٦-٤ : الخلق الحسن :

الإيمان قوة عاصمة عن الدنايا ، دافعة إلى المكرمات ، ومن ثم فإن الله عندما يدعو عباده إلى خير أو ينفرهم من شر ، يجعل ذلك مقتضى الإيمان المستقر في قلوبهم ، وما أكثر ما يقول في كتابه : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا** ﴾ ثم يذكر - بَعْدُ - ما يُكَلِّفُهُمْ به : ﴿ **اتَّقُوا اللهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ** ﴾ (٣) .

وقد وضح صاحب الرسالة ﷺ أن الإيمان القوي يلد الخلق القوي حتمًا ، وأن انهيار الأخلاق مرده إلى ضعف الإيمان ، أو فقدانه ، بحسب تفاقم الشر أو تفاهته .

فالرجل الصفيق الوجه ، المعوج السلوك ، الذي يقترف الرذائل غير آبه لأحد .. يقول رسول الإسلام ﷺ في وصف حاله : ‹‹ **الحياء والإيمان قرناء جميعا ، فإذا رفع أحدهما رفع الآخر!** ›› (٤) .

والرجل الذي ينكب جيرانه ويرميهم بالسوء ، يقول فيه الرسول ﷺ : ‹‹ **والله لا يؤمن ، والله لايؤمن والله لايؤمن** ›› ، قيل : من يا رسول الله ؟ قال : ‹‹ **الذي لا يأمن جاره بوائقه !!** ›› (٥) .

وتجد الرسول ﷺ - عندما يعلِّم أتباعه الإعراض عن اللغو ، ومجانبة الثرثرة والهذر - يقول ﷺ : ‹‹ **من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرًا أو ليصمت** ››(٦)، وهكذا يمضي في غرس الفضائل وتعهدها حتى تؤتي ثمارها ، معتمدًا

---

(١) سورة المجادلة [٢٢] .
(٢) مختصر تفسير ابن كثير ، الرفاعي ، ج٤ ، ص ٣٢٨ .
(٣) سورة التوبة [١١٩] .
(٤) صحيح ، صحيح الجامع الصغير ، للألباني ، حديث رقم ٣٢٠٠ ، والمشكاة ، حديث رقم ٥٠٩٤ .
(٥) رواه البخاري ، كتاب الأدب ، حديث رقم ٥٥٥٧ .
(٦) رواه البخاري ، كتاب الأدب ، حديث رقم ٥٥٥٩ ، ومسلم ، كتاب الإيمان ، حديث رقم ٦٧ .

على صدق الإيمان وكماله ..(١).

٥ - تعاهد الإيمان والسبيل إلى قوته :

لما كان الإيمان - عند أهل السنة - يزيد بالطاعات وينقص بالمعاصي(٢) . كما أنه يبلى
كما يبلى الثوب فيحتاج إلى تجديد ؛ لذا كان السلف يتعاهدونه بالرعاية والمراقبة قال أبو الدرداء ﷺ : ((من فقه العبد أن يتعاهد إيمانه وما نقص منه ، ومن فقه العبد أن يعلم أيزداد هو أم ينقص)) (٣) .

وإليك بعض أسباب قوة الإيمان وزيادته :

٥ - ١ : الالتزام بالفرائض ، والقيام بالواجبات :

إن من أعظم أسباب قوة الإيمان وزيادته محافظة العبد على ما أوجبه الله عليه ، وهي أحب شيء إلي الله - عز وجل - كما جاء ذلك في الحديث القدسي : ((**وما تقرَّب إليَّ عبدي بشيء أحبُّ إليَّ مما افترضته عليه**)) (٤) ؛ ولذلك سئل شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - عن الأسباب التي يقوى بها الإيمان إلي أن يكمل ، هل يبدأ بالزهد أو بالعلم أو بالعبادة أم يجمع بين ذلك على حسب طاقته ؟ فقال - رحمه الله - : ((ولابد من الإيمان الواجب والعبادة الواجبة والزهد الواجب ، ثم الناس يتفاضلون في الإيمان ، كتفاضلهم في شعبه ، وكل إنسان يطلب ما يمكنه طلبه ، ويُقدِّم ما يقدر على تقديمه من الفاضل)) (٥) فالعبادة الواجبة تعني ما أوجبه الله - عز وجل - على عبده من الفرائض والواجبات ، والزهد هو ترك ما حَرم الله - عز وجل - عليه من المحرمات .

٥ - ٢ : الذكر :

أخبر الحق - عز وجل - أن استماع القرآن مما يزيد المؤمنين إيمانًا فقال - عز

---

(١) خلق المسلم ، للغزالي ، ص ١٤ - ١٥ .
(٢) الأدلة على زيادة الإيمان ونقصانه من الكتاب والسنة والآثار السلفية كثيرة ليس هذا موضع بسطها ، فلتراجع لمن أراد التوسع في شرح العقيدة الطحاوية ، ص ٣٤٢ - ٣٤٧ ، وفتح الباري ، لابن حجر ، ص٧٢ ، ج١ ، ص١٠٣ ، والإيمان لشيخ الإسلام ابن تيمية ، المجلد السابع من الفتاوى .
(٣) شرح الطحاوية ، لابن أبي العز ، بتحقيق الألباني ، ص ٣٤٣ ، المكتب الإسلامي .
(٤) رواه البخاري ، كتاب الرقاق ، باب المتواضع ، حديث رقم ٦٥١٢ .
(٥) الفتاوى ، ج٧ ، ص ٦٥١ ، وبعده تفصيل معه فيما يصلح لكل إنسان من أعمال البر وشعب الإيمان فليراجع .

وجل - : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا ﴾[١] ، ولهذا أمر ﷺ ابن مسعود أن يقرأ عليه شيئًا من القرآن فقال : أقرأ عليك ، وعليك أنزل ، فقال ﷺ : « **أحب أن أسمعه من غيري** » [٢] الحديث . وقد بَينَّ لأمته ﷺ أثر الذكر في إحياء القلوب وزكاته ، وقوة الإيمان فيها وشفائها من أسقامها كما جاء في الأثر «**جددوا إيمانكم** » .. قيل يا رسول الله وكيف نجدد إيماننا ؟ قال : **أكثروا من لا إله إلا الله** »[٣]. وقال ﷺ : « **مثل الذي يذكر ربه ، والذي لا يذكر ، مثل الحي والميت** » [٤] .

ولهذا قال ابن القيم في معنى الحديث : « وهو - أي الذكر - قوة قلوب القوم الذي متى فارقها صارت الأجساد لها قبورًا ، وعمارة ديارهم التي إذا تعطلت عنه صارت بورًا .. وهو جلاء القلوب وصقالها ، ودواؤها إذا غشيها اعتلالها » [٥] .

كما قال القائل :

فنسيان ذكر الله موت قلوبهم ... وأجسامهم قبل القبور قبور

وأرواحهم في وحشة من جسومهم ... وليس لهم حتى النشور نشور

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : « الذكر للقلب مثل الماء للسمك ، فكيف يكون حال السمك إذا فارق الماء ؟ ! فطوبى لمن بذكر الله أحيا قلبه وعَمَّرَهُ ويا حسرة على من بالغفلة أَخْرَبَهُ وغَمَرَهُ » .

٥ - ٣ : الصحبة الصالحة :

صحبة الدعاة العاملين ، وعباد الله الصالحين المصلحين ، تزيد القلب إيمانًا

---

(١) سورة الأنفال [٢] .

(٢) رواه البخاري في التفسير ، باب « فكيف إذا جئنا ... » ، ج٨ ، ص ١٨٨ - ١٨٩ ، ورواه مسلم في فضائل القرآن ، باب فضل استماع القرآن ، رقم الحديث ٨٠٠ .

(٣) رواه أحمد ، ج٢ ، ص٣٥٩ ، قال الهيثمي ، في مجمع الزوائد ، ج١ ص٥٢ ، إسناده جيد ، وفي موضع ج١٠ ، ص٨٢ قال : « رواه أحمد والطبراني ورجال أحمد ثقات » ، وأخرجه المنذري ، في الترغيب ، ج٢ ، ص ٢٣٩ ، وقال : « رواه أحمد والطبراني ، وإسناد أحمد حسن» .. لكن الشيخ الألباني أورده في الضعيفة ، بسبب صدقة وشتير ، انظر الضعيفة . حديث رقم ٨٩٦ ، انظر أيضًا الحلية لابن نعيم ، ج٢ ، ص ٣٥٧ .

(٤) متفق عليه ، رواه البخاري واللفظ له في الدعوات ، باب فضل ذكر الله - عز وجل - حديث رقم ٦٤٠٧ ، ورواه مسلم في صلاة المسافرين ، باب استحباب صلاة النافلة في بيته ، حديث رقم ٧٧٩ .

(٥) تهذيب مدارج السالكين ، ص ٤٦٣ ، ط مكتبة السوادي ، دار الخازن .

ونورًا ؛ ذلك لأن رؤيتهم تربطك بالله واليوم الآخر ؛ ولهذا أمر الله نبيه أن يجالس أهل الذكر فقال - عز وجل - : ﴿ **وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلاَ تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ**﴾(١) قال شيخ الإسلام موضحًا أهمية الصحبة في زيادة الإيمان : ((وسبب الإيمان وشعبه يكون تارة من العبد ، وتارة من غيره ، مثل مَنْ يُقيَّض له من يدعوه إلى الإيمان ، ومن يأمره بالخير ، ينهاه عن الشر ، ويبين له علامات الدين ، وحججه وبراهينه ، وما يعتبره وينزل به ويتعظ به ، وغير ذلك من الأسباب))(٢) .

٥ - ٤ : تذكر الموت :

وذلك يكون بكثرة الحديث عنه والاستعداد له بالتوبة النصوح والعمل الصالح قال ﷺ : ((**أكثروا من ذكر هاذم اللذات – الموت – ، فإنه لم يذكره أحد في ضيق من العيش إلا وسَّعه عليه ، ولا ذكره في سعة إلا ضيقها عليه**)) (٣) ، وذلك حتى يظل القلب عامرًا بذكر المعاد ، لئلا يستمر على الركون إلى الدنيا ، ويشتغل عما يجب عليه من الفرار إلى دار القرار (هاذم : قاطع ، وفي بعض النسخ هادم ((بالدال المهملة)) أي كاسر) (٤) ، وكلما كان العبد ذاكرًا للموت عاملاً لما بعده شرف في الدنيا والآخرة ، كما أخبر بذلك الصادق المصدوق ﷺ حين سئل : مَنْ أكيس الناس وأحزم الناس؟ فقال ﷺ : ((**أكثرهم ذكرًا للموت واستعدادًا للموت ، أولئك الأكياس ذهبوا بشرف الدنيا وكرامة الآخرة**))(٥). هذا ، ولابد من أن يكون مع التذكير النظري تفكر عملي وذلك باتباع الجنائز وزيارة المقابر ؛ ولهذا قال ﷺ : ((**كنت نهيتكم عن زيارة القبور ألا فزوروها فإنها ترق القلب ، وتدمع العين ، وتذكر الآخرة ولا تقولوا هجرًا**)) (٦) .

٥ - ٥ : معرفة أسماء الله الحسنى الواردة في كتاب الله والسنة :

ذكره ابن سعدي - رحمه الله - قال : ((والحرص على فهم معانيها والتعبد لله فيها فقد ثبت في الصحيحين عنه ﷺ أنه قال : ((**إن لله تسعة وتسعين اسمًا – مائة إلا واحدًا – من**

(١) سورة الكهف [٢٨] .
(٢) الفتاوى ، ج ٧ ، ص ٦٥٠ .
(٣) صحيح ، صحيح الجامع ، حديث رقم ١٢١١ ، والمشكاة ، حديث رقم ١٦٠٧ .
(٤) المرقاة ، ج ٤ ، ص ٧٣ .
(٥) قال الهيثمي - رحمه الله - في مجمع الزوائد ، ج ١٠ ، ص ٣٠٩ : رواه ابن ماجة باختصار ، ورواه الطبراني في الصغير بإسناد حسن .
(٦) صحيح الجامع ، حديث رقم ٤٥٨٤ .

أحصاها دخل الجنة))[1]، أي من حفظها وفهم معانيها واعتقدها وتعبد لله بها دخل الجنة ، والجنة لا يدخلها إلا المؤمنون فعلم أن ذلك أعظم ينبوع ومادة لحصول الإيمان وقوته وثباته))[2].

قلت : وتعلم العلم الشرعي والتفقه في الدين عمومًا مما يزيد من إيمان العبد ويزيد من خشيته لربه ﴿ **إِنَّمَا يَخْشَى اللهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ** ﴾[3] .

٥ ـ ٦ : اللقاءات الإيمانية بين الإخوان (المحاضن التربوية والأجواء الإيمانية) :

إن من أسباب زيادة الإيمان وثباته لقاءَ المؤمن مع إخوانه في مجلس ذكر يتواصون فيها بالحق ويتواصون بالصبر ؛ ولهذا فقد حث إليها الشارع وجعل لها من الأجور ، ما أخبرنا به المصطفى ﷺ حين قال : ((**لا يقعد قوم يذكرون الله إلا حفتهم الملائكة ، وغشيتهم الرحمة ونزلت عليهم السكينة ، وذكرهم الله فيمن عنده**))[4]، وذكر الله ليس بالضرورة أن يكون تلاوة القرآن الكريم - وإن كان له فضل كبير - فمدارسة الفقه ذكر ، وشرح حديث من أحاديث الرسول ﷺ ذكر ، ومعرفة مسائل الاعتقاد وأصول التوحيد ذكر ، بل مدارسة أحوال المجتمع وكيفية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والدعوة إلى الخير من الذكر . قال ابن حجر - رحمه الله تعالى - : ((ويطلق ذكر الله أيضًا ويُراد به المواظبة على العمل بما أوجبه أو ندب إليه كتلاوة القرآن وقراءة الحديث ومدارسة العلم والتنفل بالصلاة))[5] ، وبعدُ .. فما أجمل أن يدعو الأخ أخاه إلى تلك المجالس التي يزداد فيها الإيمان ويحيا بها الجنان ، والتي كان السلف يدعو أحدهم الآخر إليها ، قال الإمام البخاري : ((قال معاذ : اجلس بنا نؤمن ساعة)) [6] .

٥ ـ ٧ : التفكر :

أ - التفكر في آيات الكون وما خلق الله في السموات والأرض كما قال تعالى : ﴿ **إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لأُولِي الأَلْبَابِ * الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا**

---

(1) البخاري ، ج ٥ ، ص ٣٥٤ ، ومسلم ، ج٤ ، ص ٢٠٦٣ .
(2) التوضيح والبيان لشجرة الإيمان ، عبد الرحمن السعدي ، ص ٢٥ ـ ٢٦ .
(3) سورة فاطر [٢٨] .
(4) رواه مسلم ، حديث رقم ٢٧٠٠ ، باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر .
(5) فتح الباري ، ج١١ ، ص ٢٠٩ .
(6) رواه البخاري في صحيحه معلقًا ، قال ابن حجر : وصله أحمد وأبو بكر أيضًا بسند صحيح إلى الأسود ابن هلال قال : ((قال لي معاذ بن جبل : ((اجلس بنا نؤمن ساعة)) ، فيجلسان فيذكران الله تعالى ويحمدانه)) ، فتح الباري ، ج١ ، ص ٤٨ .

بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾ [1] وغيرها من الآيات التي تدعو للتفكر والتأمل في بديع خلق الله وتدبيره ؛ لأن ذلك من أعظم أسباب زيادة الإيمان .

ب - التفكر في نعم الله وآلائه العامة والخاصة ، والتي لا يخلو منها مخلوق طرفة عين[2] ، قال الله تعالى : ﴿ **وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللهِ لاَ تُحْصُوهَا** ﴾[3] وقال : ﴿ **وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللهِ** ﴾[4] .

٥ - ٨ : قراءة معجزات الرسول ﷺ : وهناك نوعان من المعجزات :

أ - معجزات مادية حسية ، كانشقاق القمر ، وتسبيح الحصى ، ونبع الماء من أصابعه ﷺ ، وتسليم الحجر وانقياد الشجر ، وتكثير الطعام وشفاء الأسقام بإذن الله .

ب - ومعجزات معنوية : ومنها خُلُقه ﷺ والذي هو من أعظم آيات نبوته ﷺ ، وإخباره عن المغيبات ووقوعها كما أخبر به ﷺ .

وأكبر معجزاته القرآن الكريم ، تلك المعجزة الخالدة التي تكفّل الله - عز وجل - بحفظه ، وأودعه في كل كلمة عظيم حكمته ببلاغة وفصاحة تحدى به الثقلين ﴿ **قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لاَ يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا** ﴾ [5] ، إن تدبر هذه المعجزات مما يزيد القلب إيمانًا ويقينًا [6].

٥ - ٩ : الاجتهاد في الأعمال الصالحة :

إن الإكثار من الأعمال الصالحة مما يزيد الإيمان وينميه ويثبته ويقويه ؛ ولهذا قال ﷺ : ((**الإيمان بضع وسبعون شعبة أعلاها لا إله إلا الله ، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق**))[7]، وما بين الأعلى والأدنى شعب كثيرة كل شعبة رافد من روافد زيادة الإيمان في القلب .. وقد بيَّن الحق - عز وجل - بعض الأعمال التي تزيد من الإيمان فقال - عز وجل

(1) سورة آل عمران [١٩٠-١٩١].
(2) التوضيح والبيان للسعدي ، ص ٣٢ .
(3) سورة النحل [١٨] .
(4) سورة النحل [٥٣] .
(5) سورة الإسراء [٨٨] .
(6) للتوسع : راجع الكتب التي ذكرت معجزاته بتوسع منها : دلائل النبوة لأبي نعيم الأصبهاني ، ودلائل النبوة للبيهقي .
(7) رواه البخاري ، ومسلم واللفظ له ، قال ابن حجر ، الفتح ، ج١ ، ص ٥٣ ، وفي هذا إشارة إلى أن مراتبها (أي الشعب) متفاوتة .

: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾[1] الآيات الأول في سورة [المؤمنون] وقال : ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ ﴾[2] الآية .

٥ ـ ١٠ : الدعاء :

ما أعظم أن يضع العبد جبهته على الأرض في ذُلٍّ وخضوع واستكانة وخشوع ، ثم يسأل ربه أن يحبب إليه الإيمان ويرزقه الثبات عليه ، ويكرِّه إليه الكفر والفسوق والعصيان ويجنبه إياه ، ولأثر الدعاء في زيادة الإيمان وقوته قال ﷺ : ((**إن الإيمان لَيَخْلق في جوف أحدكم كما يخلق الثوب ، فسلوا الله تعالى أن يجدد الإيمان في قلوبكم**))[3] ، وكان ﷺ يقول : ((**اللهم زيّنا بزينة الإيمان واجعلنا هداة مهتدين**))[4] ، ومن دعاء ابن مسعود ﷺ : ((اللهم زدنا إيمانًا ويقينًا وفقهًا))[5].

٥ ـ ١١ : الدعوة إلى الله ـ تعالى ـ وتوطين النفس على تحمل تكاليفها :

يقول الشيخ عبد الرحمن السعدي ـ رحمه الله ـ : ((ومن دواعي الإيمان وأسبابه : الدعوة إلى الله وإلى دينه ، والتواصي بالحق والتواصي بالصبر ، والدعوة إلى أصل الدين ، والدعوة إلى التزام شرائعه بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر)) .

وبذلك يكمل العبد بنفسه ، ويكمل غيره ، كما أقسم تعالى بالعصر ، إن جنس الإنسان لفي خسر ، إلا من اتصف بصفات أربع : الإيمان والعمل الصالح اللذين بهما تكميل النفس ، والتواصي بالحق ، الذي هو العلم النافع والعمل الصالح والدين الحق ، وبالصبر على ذلك كله ، وبهما يكمل غيره .

وذلك أن نفس الدعوة إلى الله والنصيحة لعباده من أكبر مقويات الإيمان ، وصاحب الدعوة لابد أن يسعى بنصر هذه الدعوة ، ويقيم الأدلة والبراهين على تحقيقها ، ويأتي الأمور من أبوابها ، ويتوسل إلى الأمور من طرقها ، وهذه الأمور من طريق الإيمان وأبوابه .

وأيضًا ، فإن الجزاء من جنس العمل ، فكما سعى إلى تكميل العباد ونصحهم وتوصيتهم بالحق ، وصبر على ذلك لابد أن يجازيه الله من جنس عمله ، ويؤيده

---

(1) سورة المؤمنون [١] .
(2) سورة البقرة [١٧٧] .
(3) قال الهيثمي في مجمع الزوائد ، ج١ ، ص ٥٢ : رواه الطبراني في الكبير ، وإسناده حسن .
(4) رواه أحمد ، ج٤ ، ص ٢٦٤ ، والنسائي ، ج٣ ، ص ٥٤ ، والحاكم ، ج١ ، ص ٥٢٤ وصححه ووافقه الذهبي .
(5) رواه أحمد في الإيمان من طريق عبد الله بن عكيم ، قال ابن حجر في الفتح ، ج١ ، ص ٤٨ : إسناده صحيح .

بنور منه ، وروح وقوة إيمان ، وقوة التوكل ، فإن الإيمان وقوة التوكل على الله يحصل به النصر على الأعداء من شياطين الإنس ، وشياطين الجن ، كما قال تعالى : ﴿ إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾(1).

وأيضًا ، فإنه متصد لنصر الحق ومن تصدى لشيء فلابد أن يفتح عليه فيه من الفتوحات العلمية والإيمانية بمقدار صدقه وإخلاصه(2) .

٦ - أسباب ضعف الإيمان :

٦ - ١ : استصغار الذنوب :

إن الاستهانة بالذنوب والتساهل مع النفس في مواقعتها يؤدي إلى إدمانها وهذا بدوره يؤدي إلى ضعف الإيمان في القلب وقسوته وانتكاسته وتقاعسه عن الطاعات وميله إلى الشهوات ... وغير ذلك من عقوبات المعاصي والسيئات ؛ ولهذا حذَّرنا النبي ﷺ من محقرات الذنوب فقال ﷺ : « **إياكم ومحقرات الذنوب ، فإنما مثل محقرات الذنوب كمثل قوم نزلوا بطن وادٍ فجاء ذا بعود وجاء ذا بعود حتى حملوا ما أنضجوا به خبزهم ، وإن محقرات الذنوب متى يؤخذ بها صاحبها تهلكه** »(3) ، بل ينبغي للمؤمن أن يحتاط لإيمانه حتى من الشبهات ليكون في مأمن من الوقوع في الحِمَى التي حذرنا من الوقوع فيه النبي ﷺ فقال : « **ومَنْ وقع في الشبهات وقع في الحرام ، كالراعي يرعى حول الحمى يوشك أن يرتع فيه ، ألا وإن لكل ملك حِمى ، ألا وإنَّ حمى الله محارمه** »(4) ، وفي رواية للبخاري : « **ومن اجترأ على ما يشك فيه من الإثم ، أوشك أن يواقع ما استبان** » . قال سفيان بن عيينة : « لا يصيب عبدٌ حقيقة الإيمان حتى [يجعل] بينه وبين الحرام حاجزًا من الحلال ، وحتى يدع الإثم وما تشابه منه »(5) ، ومن الذنوب التي قد يستصغرها بعض الناس : إطلاق البصر في وجوه النساء والمردان ، والكذب والغيبة والنميمة ، وعدم المبالاة في طيب الطعام .

٦ - ٢ : تنافس الدنيا :

---

(1) سورة النحل [٩٩] .
(2) التوضيح والبيان لشجرة الإيمان ، لابن سعدي ، ص ٣٦ - ٣٧ .
(3) قال الهيثمي في مجمع الزوائد ، ج١٠ ، ص ١٩٠ : رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح ، ورواه الطبراني في الثلاثة من طريقين ورجال أحدهما رجال الصحيح غير عبد الوهاب بن عبد الحكم وهو ثقة ، والحديث في السلسلة الصحيحة للألباني ، حديث رقم ٣٨٩ .
(4) متفق عليه ، رواه البخاري ، في كتاب البيوع ، حديث رقم ٢٠٥١ ، ومسلم في كتاب المساقاة ، حديث رقم ١٥٩٩ ، عن النعمان بن بشير رضي الله عنه .
(5) الحلية لأبي نعيم ، ج٧ ، ص ٢٨٨ ، ط ٣ ، دار الكتاب العربي .

كما حذَّر النبي ﷺ من إهلاك الذنوب للإيمان متى ما تمادى صاحبه في اقترافها ، فكذلك حذّر من إهلاك الدنيا لإيمان مَنْ تنافسها واشتغل بها شغلاً غمره في لجتها وخدعه بزهرتها فأنساه حقيقتها . قال ﷺ : ((**فوالله ما الفقر أخشى عليكم ، ولكني أخشى أن تبسط عليكم الدنيا كما بسطت على من قبلكم ، فتنافسوها كما تنافسوها ، وتهلككم كما أهلكتهم**))[1]، ويقسم مرة ثانية فيقول ﷺ : ((**وإني والله ما أخاف عليكم أن تشركوا بعدي ، ولكن أخاف عليكم أن تنافسوا فيها**)) يعني : الدنيا .

ولقد أدرك السلف خطورة هذه التحذيرات فألجموا نفوسهم بالقناعة والزهد فهانت عليهم الدنيا هوان التراب الذي يمشون عليه ، قال الحسن : ((من نافسك في دينك فنافسه ، ومن نافسك في دنياك فألقها في نحره)) [2] ، وقال : ((والله لقد أدركت أقوامًا كانت الدنيا أهون عليهم من التراب الذي تمشون عليه ما يبالون أشرقت الدنيا أم غربت ، ذهبت إلى ذا ، أو ذهبت إلى ذا))[3] ومن صور الانشغال بالدنيا : الانشغال بالزوجة والأولاد انشغالاً مفرطًا على حساب الجانب الإيماني .

٦ - ٣ : الغفلة عن ذكر الله :

ذكرنا - فيما سبق - أن ذكر الله من أسباب قوة الإيمان ، ونعود لنؤكد على أن التقصير فيه من أكبر أسباب ضعفه ، ونرى أن الكثير من الدعاة بسبب تزاحم الواجبات وكثرة الشواغل والمسؤوليات ربما غفلوا عن أهمية الذكر في زيادة الإيمان ونقصانه ، فقصَّروا في أورادهم فقست القلوب وفقدت لذة العبادة ، ودب إلى بعضهم التقاعس والقعود وحب الدعة والركود ، وقد قال الله لنبيه : ﴿ **يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ * قُمْ فَأَنْذِر * وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ** ﴾[4]، وقال : ﴿ **يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ * قُمِ اللَّيْلَ إِلاَّ قَلِيلاً** ﴾[5] الآيات . قال عمر بن حبيب الحطمي وغيره من الصحابة : ((الإيمان يزيد وينقص ، فقيل له : وما زيادته ونقصانه؟ فقال : إذا ذكرنا الله وحمدناه ، وسبحناه ، فتلك زيادته ، وإذا غفلنا ونسينا وضيعنا ، فذلك نقصانه))[6]، ومن الغفلة : هجر قيام الليل ، والتأخر في الصلوات ، وإهمال

---

(1) صحيح البخاري مع الفتح ، ج٨ ، ص ١١٢ ، كتاب الرقاق ، باب ما يحذر من زهرة الدنيا والتنافس فيها ، ورواه مسلم كتاب الزهد والرقائق ، حديث رقم ٢٩٦١ .
(2) الإحياء للغزالي ، ج ٣ ، ص ٢٠٧ .
(3) المرجع السابق ، ج ٣ ، ص ٢٠٩ .
(4) سورة المدثر [١-٣] .
(5) سورة المزمل [١-٢] .
(6) الإيمان ، لشيخ الإسلام ابن تيمية ، ص ٥٠٥ .

السنن المستحبات .

٦ - ٤ الإغراق في المباحات :

الإكثار من المباحات كالطعام والشراب والنوم واللعب قسوة للقلب ، وإضاعة للوقت وصدق من قال : ((لا تأكلوا كثيرًا ، فتشربوا كثيرًا ، فترقدوا كثيرًا ، فتخسروا عند الموت كثيرًا))[١]، فبقدر الإفراط في المباحات يكون التفريط في الواجبات والمسؤوليات قالت عائشة - رضي الله عنها- : ((أول بلاء حدث في هذه الأمة بعد نبيها ، الشبع ، فإن القوم لما شبعت بطونهم سمنت أبدانهم ، فضعفت قلوبهم وجمحت شهواتهم)) .

٦ - ٥ : الآفات القلبية :

من أسباب ضعف الإيمان فساد المحل بدسيسة باطنة وآفة كامنة في القلب تتربص ساعة غفلة فتتحرك لتهوي بصاحبها ؛ ولهذا قال ﷺ : ((**إن الرجل ليعمل عمل أهل الجنة فيما يبدو للناس ويصبح من أهل النار**))[٢]. قال ابن رجب - رحمه الله - : ((وإن خاتمة السوء تكون بسبب دسيسة باطنة للعبد لا يطلع عليها الناس ، إما من جهة عمل سيئ ونحو ذلك ، فتلك الخصلة الخفية توجب سوء الخاتمة عند الموت))[٣] ؛ ولهذا كان النبي ﷺ يكثر أن يقول في دعائه : ((**يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك**))[٤] ، ألا ترى إلى ذلك الرجل الذي أُعجب الصحابة بقوته وجسارته في المعركة كيف أنزلته دسيسة التخليط وآفة الرياء من منزلة المجاهدين إلى درك المنتحرين .. اللهم سلِّم ... اللهم سلِّم .

والخلاصة أن التثاقل إلى الأرض وخلطة أهل الزيغ من أكبر أسباب مرض القلب واعتلاله وهبوط الإيمان ونقصانه . قال الإمام ابن القيم - رحمه الله - : ((مثل القلب مثل الطائر ، كلما علا : بَعُدَ عن الآفات ، وكلما نزل احتوسته الآفات)) [٥]، ومن الآفات القلبية التي يجب الحذر منها ومجاهدة النفس للتخلص منها : الرياء - الغرور - العجب - الغضب - الشح - الإعجاب بالرأي .

٦ - ٦ : مخالطة أصحاب الأهواء وكثرة مجالستهم دون الإنكار عليهم .

---

(١) الإحياء ، ج١ ، ص ٣٥٦ .
(٢) رواه البخاري ، حديث رقم ٢٨٩٨ ، ومسلم ، حديث رقم ١١٢ .
(٣) جامع العلوم والحكم ، ج١ ، ص ١٧٢ .
(٤) أحمد ، ج٣ ، ص ١١٢ ، والترمذي ، حديث رقم ٢١٤٠ ، وحسنه .
(٥) الجواب الكافي ، ص ٧٠ .

٦ - ٧ : كثرة الضحك والمزاح (كثرة الضحك تميت القلب)[1] .

٦ - ٨ : الانقطاع عن حلق التذكير والوعظ (يمكن الاستشهاد بحديث حنظلة في صحيح الإمام مسلم)[2] .

٦ - ٩ : عدم المحافظة على الصلوات في المسجد « **لا يزال قوم يتأخرون عن الصف الأول حتى يؤخرهم الله في النار** »[3] .

٦ - ١٠ : إهمال محاسبة النفس وعدم مؤاخذتها في تقصيرها في جنب الله ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ** ﴾[4] .

٧ - مظاهر ضعف الإيمان :

إن من دقق النظر في أسباب ضعف الإيمان وجد أنها مظاهر تدل على ضعفه أيضًا ، وقد ربط الرسول ﷺ بين صور من المعصية وبين ضعف الإيمان فقال : « **لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن** »[5] .

٨ - مقارنة بين المؤمن والكافر :

لما كان للإيمان آثار في واقع صاحبه ، فإنه يتميز به عن غيره من الناس ممن لم يعتنقوا عقيدته ، وإليك هذه المقارنة بين المؤمن والكافر يبدو فيها أثر الإيمان في حياة المؤمن .

(١) قال العجلوني في كشف الخفاء (ج٢ ، ص ١٣٧ - ١٣٨) : رواه القضاعي والعسكري ، وابن ماجة ، والديلمي .. وقد أورد - رحمه الله - أحاديث كل منهم ، ثم ذكر أقوالًا للسلف في التنفير من كثرة الضحك ، فليراجع للتوسع ... والحديث في السلسلة الصحيحة للألباني ، حديث رقم ٥٠٦ .

(٢) مسلم ، كتاب التوبة ، (١٢ ، ١٣) .

(٣) مسلم ، كتاب الصلاة ، (١٣٠) .

(٤) سورة الحشر [١٨] .

(٥) متفق عليه ، البخاري ، ج٣ ، ص ١٧٨ ، ومسلم ، في كتاب الإيمان ، (١٠٠) .

مقارنة بين الفرد المسلم والفرد الجاهلي

وفيه يبدو أثر الإيمان الواضح في عقيدة المسلم وسلوكه(١) .

عنصر المقارنة	الفرد المسلم	الفرد الجاهلي
تعريف	هو الذي يؤمن بالإسلام عقيدة ورسالة وشريعة ونظام حياة .	هو الذي يؤمن بأي مبدأ أو عقيدة غير الإسلام وقد لا يكون له مبدأ مثل الهيبز.
الجوانب الإيمانية والعقيدية	يؤمن بقضايا الإيمان وأركانه فيعتقد بالله ربا وبمحمد نبيا وبالقرآن كتابًا والآخرة معادا والملائكة جندًا ، وبالقدر خيره وشره ، ويتخذ إيمانه منطلقًا في حياته .	لا يلتزم بشيء من قضايا الإيمان قد يؤمن بوجود الله ثم ينكر اليوم الآخر وقد يؤمن بدين ((ما)) ، لكنه يتخذ أهواءه ورغباته منهجًا له في الحياة .
الجوانب الأخلاقية	يؤمن بالقيم العليا من صدق وأمانة وإخلاص وحب وإيثار ، ويسير حسب قواعد الأخلاق ولو كان في ذلك تلفه إذا ما كان المجتمع محاربًا له في عقيدته .	لا يؤمن بشيء من القيم العليا . المصلحة عنده هي كل شيء . قد يصدق أو يخلص في عمله بعض الأحيان بغرض المصلحة فقط .
الجانب الاقتصادي	الربح عنده وسيلة للكسب النظيف والعيش الحلال . - المال عنده عارية مستردة وابتلاء ، يؤتي العمال حقوقهم ، لا يحتكر ، لايغش ، يسعى لفائدة المجتمع أولا .	الربح عنده غاية يسعى إليها بأية وسيلة ولو كانت المخدرات مثلاً أو الاحتكار . - المال عنده غاية وهدف وكنز وكل شيء ، والمكرم من يملك مالاً أكثر ينهب قدر استطاعته ، ويسعى لفائدة نفسه أولا وآخرًا .
الجانب الاجتماعي	لا يعتدي على الآخرين . يرعى حرمات الناس والجوار . يحرص على فائدة المجتمع ، يصلح بين الناس ، يقاوم الفساد الاجتماعي .	ربما يعتدي على الآخرين ، يتلصص ويتجسس على عوراتهم لا تهمه سلامة المجتمع أو فائدته ، ربما ينشر الفتن بين الناس وينشر الرذيلة بينهم .
الجانب الأسري	يطيع والديه في غير معصية ، يتعاون مع إخوانه ويرعاهم ،	لا تهمه طاعة الأبوين أو رعاية الأخوة ربما يتخذ خليلة أو عشيقة دون

(١) أهمية الإيمان وآثاره في بناء الفرد والمجتمع ، ص ٢١١ - ٢١٣ ، محمد رفعت أحمد ، دار الثقة للنشر .

عنصر المقارنة	الفرد المسلم	الفرد الجاهلي
	ويعطي زوجته حقها ، يعدل بين أولاده ، والتفاهم والتعاون أساس الأسرة .	علم زوجته ، والعلاقة الأسرية مضطربة في أغلب الأحوال .
الجانب السياسي	يدفعه إيمانه إلى طاعة أولي الأمر من المؤمنين وإلى التصدي للطغاة والمعتدين والمستعمرين إذا اعتدوا على حرمة الدين والبلاد .	ينافق لأية فئة سياسية تحكم المجتمع ، وقد ينخرط في صفوف فئات حاقدة على أمته فيهلك نفسه ومجتمعه .
الجانب العلمي	يتخذ العلم وسيلة لبلوغه الجنة ، ويعمل على تطوير نفسه ومجتمعه ، ويبذل قصارى جهده في سبيل ذلك .	العلم هدف مادي بحت للشهرة أو للسيطرة على الآخرين ، وهو يعمل لمصلحته الذاتية فقط ونادرًا ما يعمل لتطوير مجتمعه بدافع مخلص .
السعادة	الإيمان سبب سعادته ، يصبر على البلاء ويشكر في الرخاء ، ويصبر عند مواطن اللقاء ويرجو الأخوة .	السعادة هي الغرق في الشهوات المادية والإباحية السالفة ، فإذا حجز عن شهواته صارت الحياة عنده عبثًا .
الجانب النفسي	المؤمن يرتاح نفسيًّا رغم البلاء الذي يصيبه على أيدي أعداء العقيدة ، والمصاعب التي قد تواجهه في الحياة .	قلق وأرق ومريض رغم توافر كل المتع الحسية له ؛ ذلك بسبب فقده للإيمان .
الرياضة	وسيلة لبناء الجسم القوي ليستطيع أن يقاتل في سبيل الله .	وسيلة للرشاقة والخفة وعرض القوة أمام الآخرين .
الهدف	هدف المؤمن إقامة منهج الله في الأرض ، ويبذل نفسه من أجل دينه .	أهدافه متنوعة ، وكلها تنحصر في دائرة الماديات والملذات .
الدهر	كل ما يصيب المؤمن هو قدر فلا يسب الدهر أبدًا .	الدهر ند للإنسان وكثيرًا ما يشتمه وينعته بالظلم والجبروت .
الحب	الحب يشمل جميع الكائنات ومن بينها المرأة ، لكنه لا يتصل بها اتصالاً غير مشروع . وقد يصبر على ألم الحب ولا يقترف معصية .	الحب هنا هو الجنس ولو بصورة محرمة ، ولا يصبر عليه بل يسعى لممارسته بأية طريقة كانت وبأقصى سرعة .
النتيجة	الفرد المسلم نظيف القلب والروح والجوارح .	قد يكون نظيف الجوارح لكنه سيئ القلب والروح .

عنصر المقارنة	الفرد المسلم	الفرد الجاهلي
	المـؤمن : نفـس ملكيـة فـي صـورة آدمية .	الجاهلي : نفس بهيمية في صورة آدمية .

٩ ـ أحكام ومسائل في الإيمان :

٩ ـ ١ : الإيمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية :

((وهو المأثور عن الصحابة وأئمة التابعين وجمهور السلف ، وهو مذهب أهل الحديث ، وهو المنسوب إلى أهل السنة ، أن الإيمان قول وعمل ، يزيد وينقص ، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية ، وأنه لا يجوز الاستثناء فيه)) (١) .

٩ ـ ٢ : ماذا يفعل المؤمن إذا خطر على قلبه خواطر شيطانية؟

يقول الرسول ﷺ : ((**يأتي الشيطان أحدكم فيقول** : **من خلق السماء؟ من خلق الأرض؟ فيقول الله** ، **فيقول** : **من خلق الله ؟! فمن وجد من ذلك شيئًا فليقل** : **آمنت بالله ورسله**)) (٢) ، وفي البخاري : ((**فإذا بلغ ذلك** : **فليستعذ بالله ولينته**)) (٣) .

٩ ـ ٣ : ماذا يُقصد بنفي الإيمان في بعض أقواله ﷺ ؟

قال ابن رجب ـ رحمه الله تعالى ـ في شرح حديث ((**لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه**)) : ((وأن المراد بنفي الإيمان نفيُ بلوغ حقيقته ونهايته ، فإن الإيمان كثيرًا ما يُنفى لانتفاء بعض أركانه وواجباته))(٤) ، وهو الذي ذكره ابن تيمية ـ رحمه الله ـ حين قال : ((إن نفي الإيمان عند عدمها دلّ على أنها واجبة)) (٥)، وهذا يعني أن من الواجب أن يحب المرء لأخيه المؤمن ما يحب لنفسه ، وفي قوله ﷺ : ((**لا إيمان لمن لا أمانة له**)) (٦)، ما يدل على وجوب أداء الأمانة وهكذا بقية الأحاديث التي جاء فيها نفي الإيمان يدل على وجوب ما دلت عليه من الفعل أو الترك .

خامسا : بعض التطبيقات العملية المقترحة لتأكيد معاني الدرس :

موضوع الإيمان تطبيقاته العملية كثيرة ، منها :

١- حفظ أذكار الصباح والمساء .

٢- المحافظة على الورد اليومي من القرآن .

---

(١) الإيمان ، لابن تيمية ، ص ٥٠٥ .
(٢) البخاري ، كتاب بدء الخلق ، حديث رقم ٣٠٣٤ ، ومسلم ، كتاب الإيمان ، حديث رقم ١٩٠ .
(٣) البخاري ، كتاب بدء الخلق ، حديث رقم ٣٠٣٤ ، راجع موضوع التفكر للإجابة عن هذا السؤال بتوسع.
(٤) جامع العلوم والحكم ، ج١ ، ص ٣٠٢ .
(٥) الإيمان ، لابن تيمية ، ١٤٠ .
(٦) رواه أحمد ، ج٣ ، ص ١٣٥ ، قال الألباني في تحقيق المشكاة : وهو حديث جيد أحد إسناديه حسن وله شواهد ، المشكاة ، حديث رقم ٣٥ .

٣- زيارة المقابر واتباع الجنائز وزيارة المرضى للاعتبار ، ومعرفة نعمة الله على عبده في العافية والصحة .
٤- التصدق بشيء من المال على المساكين واليتامى والأرامل ، والمحتاجين ، سرًّا وعلانية .
٥- الحرص على قيام الليل والتعاون مع الإخوان في ذلك .
٦- المشاركة في حِلَقِ الذكر والمحافظة على حضورها وعدم التغيب عنها إلا لعذر قاهر .
٧- المشاركة في الرحلات الإيمانية والزيارات الأخوية كرحلة العمرة ، وزيارة الأخ لأخيه مع الحرص على طرح الموضوعات النافعة .
٨- الالتزام بالواجبات الدعوية والحرص على أداء المسؤوليات على أفضل وجه .
٩- الحرص على الخلوة بالنفس ومحاسبتها والتعرف على تقصيرها وآفاتها ومجاهدتها في الوصول إلى كمالها .
١٠-سماع مواعظ إيمانية بشكل دوري مع قراءة كتب الرقائق والزهد ، والموازنة بين دراسة الأحكام الشرعية والمواعظ الروحية .

سادسا : المراجع :

١- فتح الباري ، ابن حجر ، ط دار المعرفة ، بتعليق سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز .
٢- صحيح الإمام مسلم ، بترتيب محمد فؤاد عبد الباقي .
٣- المرقاة شرح المشكاة ، ملا علي قاري .
٤- كتاب الإيمان ، الحافظ أبو بكر بن أبي شيبة ، المكتب الإسلامي ، ط٢ .
٥- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ، الهيثمي ، ط دار الكتاب العربي .
٦- مختصر شعب الإيمان ، البيهقي ، مؤسسة الكتب الثقافية ، ط٢ .
٧- سلسلة الأحاديث الصحيحة ، الألباني ، المكتب الإسلامي .
٨- جامع العلوم والحكم ، ابن رجب ، مؤسسة الرسالة ، بتحقيق الأرناؤوط .
٩- شرح العقيدة الطحاوية ، ابن أبي العز ، المكتب الإسلامي ، ط ٨ .
١٠- الإيمان ، ابن تيمية ، مكتبة ابن تيمية .
١١- التوضيح والبيان لشجرة الإيمان ، عبد الرحمن السعدي ، مكتبة دار الأقصى ، الكويت ، ط ١ .
١٢- مجموع فتاوى ورسائل الشيخ ابن عثيمين ، الشيخ محمد بن عثيمين ، دار الثريا

للنشر ، المجلد السادس .
١٣- الإيمان أركانه ، حقيقته ، نواقضه ، محمد نعيم ياسين ، ط ٢ .
١٤- الإيمان والحياة ، القرضاوي ، دار الذخائر ، ط ١٨ .
١٥- الإحياء ، الغزالي ، دار المعرفة .
١٦- الإيمان خصائصه علاماته ثمراته ، أحمد عز الدين البيانوني ، دار السلام ، ط ٢ .
١٧- الجامع لأحكام القرآن ، القرطبي ، دار إحياء التراث العربي .
١٨- في ظلال الإيمان ، صلاح الخالدي ، مكتبة المنار ، ط١ .
١٩- مشكلات وحلول في حقل الدعوة ، عبد الحميد البلالي ، دار الدعوة ، ط ١ .
٢٠- لسان العرب ، ابن منظور ، دار المعارف .
٢١- تيسير العلي القدير لاختصار تفسير ابن كثير ، الرفاعي ، مكتبة المعارف .
٢٢- الحوافز الإيمانية بين المبادرة والالتزام ، عدنان النحوي ، دار النحوي ، ط ٢ .
٢٣-آفات على الطريق ، السيد محمد نوح ، دار الوفاء ، ط ١ .
٢٤- الرقائق ، محمد أحمد الراشد ، مؤسسة الرسالة ، ط ٣ .
٢٥- ركائز الإيمان ، محمد الغزالي ، دار القلم .
٢٦- إذا صح الإيمان ، عبد الله بن فهد السلوم ، دار المسلم .
٢٧- الإيمان الحق وأثره في بناء شخصية المسلم ، زكريا عابدين ، دار عالم الكتب .
٢٨- أهمية الإيمان وآثاره في بناء الفرد والمجتمع ، محمد رفعت أحمد ، دار الثقة للنشر والتوزيع .
٢٩- حقيقة الإيمان عند أهل السنة والجماعة ، محمد عبد الهادي المصري ، دار الفرقان ، ط ١.
٣٠- تذكير الإخوان بوسائل تقوية الإيمان من القرآن وصحيح السنة ، دار ابن المبارك ، ط١.
٣١- ظاهرة ضعف الإيمان ، محمد المنجد ، دار الوطن .
٣٢- العقيدة وأثرها في بناء الجيل ، عبد الله عزام ، مكتبة الرسالة الحديثة .
٣٣- أثر الإيمان في تحرير الإنسان ، عمر الأشقر ، مكتبة الفلاح ، ط ١ .
٣٤- عقيدة المسلم ، محمد الغزالي ، دار القلم ، ط ١٨ .
٣٥- مقومات الداعية الناجح ، على بادحدح ، دار الأندلس الخضراء ، ط ١ .
٣٦- موسوعة أطراف الحديث النبوي ، محمد السعيد زغلول ، دار الفكر .
٣٧-تهذيب مدارج السالكين ، ابن القيم ، تهذيب عبد المنعم العربي ، دار السوادي .

٣٨- معجم المناهي اللفظية ، بكر أبو زيد ، دار ابن الجوزي ، ط ٢ .
٣٩- كشف الخفاء ، للعجلوني ، مؤسسة الرسالة ، تحقيق القلاَّش .
٤٠-الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي ، لابن القيم .

تعاون

التعاون

أولا : دلالة المصطلح :

أ - لغة :

العَوْنُ : الظهير على الأمر[١] . وأعانَهُ على الشيء : ساَعَدهُ . تعاون القومُ : عاوَنَ بعضهم بعضًا ، واستعان فلانٌ فلانًا ، وبه : طلب منه العون [٢] .

ب - اصطلاحًا :

والتعاون الذي نريد هو المساعدة على الحق ابتغاء الأجر من الله - عز وجل - . وذلك يكون بتسخير المؤمن لطاقاته وإمكاناته وما آتاه الله من النعم في خدمة دينه وإخوانه المؤمنين .

ثانياً : الأهداف - نهدف من هذا الدرس :

١- غرس الروح الجماعية في النفوس وتقديم المصلحة العامة على الخاصة مع التحذير والتنفير من الأنانية والأثرة ((**لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه**)) [٣] .

٢- الترغيب في خُلُق التعاون بين المؤمنين من خلال ذكر فضائله وبيان عاقبته الحسنة على الفرد في الدنيا والآخرة ((**والله في عون العبد ما دام العبد في عون أخيه**))[٤].

٣- بيان سبل تقوية خلق التعاون في النفوس .

٤- بيان الأحكام الشرعية والآداب المرعية للتعاون بين المؤمنين .

---

(١) لسان العرب ، لابن منظور ، ج ٣ ، ص ٣١٧٩ .
(٢) المعجم الوجيز ، ص ٤٤٢ ، باختصار .
(٣) رواه البخاري ، حديث رقم ١٣ ، ورواه مسلم ، حديث رقم ٤٥ عن أنس .
(٤) رواه مسلم ، حديث رقم ٢٦٩٩ .

ثالثا : عناصر الموضوع :

دلالة المصطلح (في مقدمة البحث) .

١- أهمية التعاون في واقعنا المعاصر .

٢- مشروعية التعاون على الحق .

٣- فضل التعاون .

٤- من صور التعاون .

٥- سبل تقوية التعاون بين المؤمنين .

٦- ضوابط المعونة والمناصرة .

٧- مواقف من تعاون السلف .

٨- أحاديث ومسائل في التعاون .

رابعا : العرض :

١ - أهمية التعاون في واقعنا المعاصر (أسباب عرض الموضوع) :

١ - ١ : إن العون مبدأ من مبادئ الإسلام وفضيلة من فضائله التي حث عليها ودعا إليها وأمر بها ﴿ **وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى** ﴾(١) .

١ - ٢ : إن التعاون يشيع روح الألفة والمحبة بين المؤمنين ، ويجعلهم كالجسد الواحد ((**مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد ، إذا اشتكى منه عضو تداعله سائر الجسد بالسهر والحمى**)) (٢).

١ - ٣ : إن التعاون علاج لمشكلة الملكات المهدرة والطاقات المعطلة التى حال حب الذات والانعزالية دون استثمارها في مصلحة الفرد والمجتمع .

١ - ٤ : من طبيعة الفرد النقص ومحدودية الإنتاج والطاقة ، وذلك فهو بحاجة إلى معونة إخوانه لكي يكمل نقصَه ويسد خلله ، والمرء ضعيف بنفسه قوي بإخوانه . ((عن أنس بن مالك ، أن فتىً من أسلم قال : يا رسول الله ، إني أريد الغزو وليس

---

(١) سورة المائدة [٢] .

(٢) رواه البخاري ، كتاب الأدب ، باب رحمة الناس والبهائم ، ج ١٠ ، ص ٣٦٧ ، مسلم ، في البر والصلة ، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم ، حديث رقم ٢٥٨٦ .

معي ما أتجهز به ، قال ﷺ : ((**ائت فلانًا فإنه قد تجهَّز فمرض**)) ، فأتاه فقال : إن رسول الله ﷺ يقرئك السلام ويقول : أعطني الذي تجهَّزت به ، فقال : يا فلانة أعطيه الذي تجهَّزْتُ به ولا تحبسي منه شيئًا ، فو الله لا تحبسي منه شيئًا فيبارك الله فيه))[1] .

فانظر كيف كمَّل أحدهما نقص الآخر بتعاونهما للوصول إلى الهدف المراد وهو نصرة دين الله .

١ - ٥ : حاجة الدعوة اليوم إلى تعاون أبنائها لمواجهة تيارات الكفر التي تحاول جاهدة ضرب الإسلام عن قوس واحدة . وقد قال الله تعالى : ﴿ **وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلاَّ تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ** ﴾[2] .

١ - ٦ : إن في التعاون بعدًا عن الخطأ وسلامة - بإذن الله - من الانحراف والشطط وثباتًا على الحق ، وقد وصف الله - عز وجل - المؤمنين في تعاونهم وتكاتفهم فقال : ﴿ **وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ** ﴾[3] ، ولا أحسب مسلمًا إلا بحاجة إلى وصية أخيه ونصحه ومواساته ونصرته .

١ - ٧ : إن التعاون يكسب المرء قوة في مواجهة عقبات الطريق ومثبطات النفس الأمارة بالسوء ، فموسى - عليه السلام - عندما خشي من عقبة القتل وعائق اللسان سأل الحق - عز وجل - أن يعينه بأخيه هارون - عليه السلام - ليشدَّ من أزره في مواجهة تلك العقبات وليقوّي عضده في سائر تكاليف الدعوة إلى الله .

٢ - مشروعية التعاون :

٢ - ١ : يقول ابن كثير - رحمه الله تعالى - مبينًا مشروعية التعاون على الخير : وقوله تعالى : ﴿ **وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبرِّ وَالتَّقْوَى وَلاَ تَعَاوَنُوا عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ** ﴾[4] ، يأمر تعالى عباده المؤمنين بالمعاونة على فعل الخيرات وهو البر ، وترك المنكرات وهو التقوى ، وينهاهم عن التناصر على الباطل والتعاون على المآثم والمحارم ، قال ابن جرير : الإثم ترك ما أمر الله بفعله ، والعدوان مجاوزة ما حد الله في دينكم ومجاوزة ما فرض الله عليكم في أنفسكم وفي غيركم[5].

---

(1) رواه مسلم ، كتاب الإمارة ، باب فضل إعانة الغازي في سبيل الله بمركوب وغيره وخلافته في أهله بخير ، حديث رقم ١٨٩٤ .
(2) سورة المائدة [٥١] .
(3) سورة العصر [٣] .
(4) سورة المائدة [٢] .
(5) مختصر تفسير ابن كثير ، للصابوني ، ج ١ ، ص ٤٧٨ ، دار القرآن الكريم .

٢ - ٢ : ويقول القرطبي - رحمه الله تعالى - في تفسير : ﴿ **وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى**﴾ .. الآية : وهو أمر لجميع الخلق بالتعاون على البر والتقوى ، أي ليُعِنْ بعضكم بعضا ، وتحاثوا على ما أمر الله تعالى واعملوا به ، وانتهوا عما نهى الله عنه وامتنعوا منه ، وهذا موافق لما روي عن النبي ﷺ أنه قال : ((**من دل على فعل خير فله مثل أجر فاعله**))[1] ، وقد قيل : الدال على الشر كصانعه .

وقال الماوردي : ((ندب الله - سبحانه - إلى التعاون بالبر وقرنه بالتقوى له ؛ لأن في التقوى رضا الله تعالى ، وفي البر رضا الناس ، ومن جمع بين رضا الله - تعالى - ورضا الناس فقد تمت سعادته وعمت نعمته))[2] .

٢ - ٣ : في صحيح الإمام البخاري ، كتاب المظالم ((باب نصرة المظلوم)) ، حيث أورد الإمام البخاري حديث البراء بن عازب - رضي الله عنهما - قال : ((أمرنا النبي ﷺ بسبع .. وذكر منها : نصرة المظلوم)) .. قال ابن حجر - رحمه الله تعالى - : قوله : ((باب نصرة المظلوم)) هو فرض كفاية ، وهو عام في المظلومين ، وكذلك في الناصرين بناءً على أن فرض الكفاية مخاطب به الجميع وهو الراجح ، ويتعين أحيانًا على من له القدرة عليه وحده إذا لم يترتب على إنكاره مفسدة أشد من مفسدة المنكر ، فلو علم أو غلب على ظنه أنه لا يغير سقط الوجوب وبقي أصل الاستحباب بالشرط المذكور ، فلو تساوت المفسدتان تخير ، شرط الناصر أن يكون عالمًا بكون الفعل ظلمًا[3] .

تنبيه : النُصرة صورة من صور التعاون ؛ لذلك قال الإمام البخاري : باب أعن أخاك ظالما أو مظلومًا . أورد حديث : انصر أخاك ظالما أو مظلومًا فترجم بلفظ الإعانة وأورد الحديث بلفظ النصر إشارةً إلى ما ورد في بعض طرق الحديث حيث روى : ((**أعن أخاك ظالمًا أو مظلومًا**)) ذكر ذلك ابن حجر ثم قال : قال ابن بطال : النصر عند العرب الإعانة[4].

٣ - فضل التعاون علىالخير :

---

[1] رواه مسلم في كتاب الإمارة ، باب فضل إعانة الغازي في سبيل الله ، حديث رقم ١٨٩٣ ، وقد ورد بلفظ آخر هو ((الدال على الخير كفاعله)) وهو حديث صحيح ، انظر السلسلة الصحيحة للألباني ، حديث رقم ١٦٦٠ .

[2] الجامع لأحكام القرآن ، ج٦ ، ص ٤٦ - ٤٧ ، القرطبي ، دار إحياء التراث العربي .

[3] فتح الباري ، ابن حجر ، ج ٥ ، ص ٩٩ .

[4] المرجع السابق : ج٥ ، ص ٩٨ .

حرص الإسلام على تمجيد التعاون والحث عليه ، والترغيب فيه ، وبيان فضله ومنزلته ، وانبرى أهل العلم يرغبون فيه ويدعون إليه ، وإليك طرفًا مما جاء في فضله :

٣ - ١ : المستعان :

صفة من صفات الحق - عز وجل - وهو الذي يستعين به عباده [١] ويطلبون منه المعونة (ولا يطلبها سبحانه من أحد) وقد تضمنت فاتحة الكتاب معناه فقال عز وجل :

﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾[٢] .

وقد ورد ذكر الصفة ذاتها مرتين في كتاب الله ، قال الله تعالى : ﴿ **فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ** ﴾[٣] ، وقال : ﴿ **قَالَ رَبِّ احْكُم بِالْحَقِّ وَرَبُّنَا الرَّحْمَنُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ** ﴾[٤] .

- وكيف ينالُ العبد الإعانة من خالق الأرض والسموات ومدبر البريات ؟

قال الإمام ابن القيم – رحمه الله تعالى - : « فإذا التزمت عبوديته ، ودخلت تحت رقِّها أعانك عليها ، فكان التزامها والدخول تحت رقها سببًا لنيل الإعانة ، وكلما كان العبد أتمَّ عبودية كانت الإعانة من الله له أعظم »[٥] .

وإن من آثار الإيمان بهذه الصفة لله - تبارك وتعالى - أن يعين العبد إخوانه المسلمين، ويسعى في حاجاتهم وتنفيس كربهم لينال الإعانة من الله - عز وجل - التي وعدها إياه حين قال الرسول ﷺ : « **والله في عون العبد ما دام العبد في عون أخيه** »[٦].

٣ - ٢ : محبة الله - عز وجل - للمتعاونين فيه :

مما تمليه الأخوة في الله على المتآخين التواصل فيما بينهم والتباذل والتكاتف ، وكل هذه صور من صور التعاون التي أخبر الحق - عز وجل - عن محبته لأصحابها متى أخلصوا النية فيها ، وقد روى معاذ بن جبل عن النبي ﷺ يرفعه إلى

---

(١) راجع المنهج الأسمى في شرح أسماء الله الحسنى ، ج٢ ، ص ٣٣٢ ، محمد الحمود النجدي ، مكتبة الإمام الذهبي ، ط٢ ، وانظر أيضًا صفات الله - عز وجل - الواردة في الكتاب والسنة ، ص ٢٣١ - ٢٣٢ ، لعلوي الشقاف ، دار الهجرة ، ط١ .

(٢) سورة الفاتحة [٥] .

(٣) سورة يوسف [١٨] .

(٤) سورة الأنبياء [١١٢] .

(٥) تهذيب مدارج السالكين ، ص ٦٤ ، ابن القيم ، مكتبة السوادي للتوزيع .

(٦) رواه مسلم ، حديث رقم ٢٦٩٩ .

ربه - عز وجل - : ((**حقت محبتي للمتحابين فيَّ ، وحقت محبتي للمتواصلين فيَّ ، وحقت محبتي للمتباذلين فيَّ ، وحقت محبتي للمتزاورين فيَّ**)) [1] .

٣ - ٣ : التعاون صفة من صفاته ﷺ :

كان ﷺ يحب إعانة المسلمين ويسعى في قضاء حاجاتهم ؛ ولهذا عندما وصفته خديجة - رضي الله عنها - مادحةً له ﷺ مبينة بعض أخلاقه . قالت تخاطبه ﷺ بعد نزول الوحي عليه فأحسَّ بالفزع ، وقال : زملوني : ((كلا والله ما يخزيك الله أبدًا ، إنك لتصل الرحم ، وتحمل الكلَّ ، وتَكْسِبُ المعدوم ، وتقرِي الضيف ، وتعين على نوائب الحق))[2] ، فكان ﷺ يعين على نوائب الحق وهي من أشرف الخصال وأجلّ الخلال .

٣ - ٤ : مغفرة الذنوب :

إن من التعاون أن يسعى المؤمن في خدمة إخوانه سواء يفعل ما فيه نفعهم وسعادتهم ، أو بإزالة ما يؤذيهم ويضيق عليهم ؛ ولذا فإن إماطة المسلم للأذى عن طريق إخوانه تعاون يحبه الله ويشكر لصاحبه صنيعه ، كما أخبر بذلك ﷺ حين قال : ((**بينما رجل يمشي بطريق وَجَدَ غُصْنَ شوك على الطريق ، فأخّرَهُ ، فشكر الله له فغفر له**))[3]، ولما كان أصل التعاون هو إحساس المرء بالآخرين وشعوره بآلامهم وأفراحهم ومشاركته لهم فيها ، فإن هذا الإحساس مثاب عليه ولو كان بالبهائم ، فإعانته لها في مأكلها ومشربها له فيها أجر قال ﷺ : ((**بينما رجل يمشي بطريق اشتد عليه العطش ، فوجد بئرًا فنزل فيه فشرب ، ثم خَرَجَ . فإذا كلبٌ يلهث** (أخرج لسانه من شدة العطش والحر) **يأكل الثرى** (التراب الندي حول البئر) **من العطش ، فقال الرجل : لقد بلغ هذا الكلبَ من العطش مثلُ الذي كان بلغ مني ، فنزل البئر فملأ خُفَّهُ ماءً ، ثم أمسكه بفيه حتى رَقيَ ، فسقى الكلب ، فشكر اللهُ له ، فغفر له**)) قالوا : يا رسول الله : وَإن لنا في هذه البهائم لأجرًا ؟ فقال : ((**في كل**

(1) صححه الحاكم وقال : على شرح الشيخين ووافقه الذهبي ، الفتح الرباني ، ج١٩ ، ص ١٥٨ ، قال ابن حجر – رحمه الله تعالى – في الفتح ، ج ١٠ ، ص ٥٠٠ : رواه مالك وصححه ابن حبان ، وانظر المجمع للهيثمي ، ج١٠ ، ص٢٧٨ .
(2) رواه البخاري ، كتاب بدء الوحي ، ج ١ ، ص ٢٣ ، حديث رقم ٣ .
(3) رواه البخاري ، كتاب الآذان ، باب فضل التهجير إلى الظهر ، حديث رقم ٦٥٢ ، الفتح ، ج٢ ، ص ١٣٩ (للتوسع في شرح الحديث) .

كبدٍ رطْبةٍ أجر)) (١) ، وكذلك حديث البغي من بغايا بني إسرائيل ... (٢) .

٣ - ٥ : النجاة من كرب يوم القيامة :

مهما تعاظمت كروب الدنيا على الإنسان فإنها لن تبلغ معشار كربة من كرب يوم القيامة الذي يُحشر فيه الناس حفاة عُراةً غُرْلاً قالت عائشة : ((يا رسول الله ، الرجال والنساء ينظر بعضهم إلى بعض؟)) قال : ((**الأمرُ أشدُّ من أن يُهمَّهم ذلك**)) (٣) والشمس تدنو من رؤوس العباد(٤) . قال ﷺ : ((**يقوم أحدهم في الرشح (العرق) إلى أنصاف أذنيه**))(٥) حتى ((**إن العرق ليذهب في الأرض سبعين باعًا**)) (٦). قال الله في وصف هذا اليوم : ﴿ **وَكَانَ يَوْمًا عَلَى الْكَافِرِينَ عَسِيرًا** ﴾(٧) .. وقد جعل الله - عز وجل - جزاء من أعان أخاه على كربة من كرب الدنيا فنفّسها أو فرجها عنه أن ينفس عنه كربة من كرب يوم القيامة عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال : ((**من نفّس عن مؤمن كُربةً من كرب الدنيا نفّس الله عنه كُربة من كرب يوم القيامة ، ومن يسَّر على معسر ، يسَّر الله عليه في الدنيا والآخرة ، ومن ستر مسلمًا ، ستره الله في الدنيا والآخرة**)) (٨) . فتأمل عظيم ثواب الله - عز وجل - على التعاون ما يجعله من أجل الطاعات وأعظم القربات التي ينبغي أن نحرص عليها ونتسابق إليها .

٣ - ٦ : الإعانة للمسلمين من أفضل الأعمال :

قال ﷺ : ((**أفضل الأعمال أن تُدخل على أخيك المؤمن سرورًا ، أو تقضي له**

---

(١) رواه مسلم ، كتاب السلام ، باب فضل – ساقي البهائم المحترمة وإطعامها ، حديث رقم ٢٢٤٤ .
(٢) رواه مسلم ، كتاب السلام ، باب فضل – ساقي البهائم المحترمة وإطعامها ، حديث رقم ٢٢٤٥ .
(٣) رواه البخاري ، حديث رقم ٦٥٢٧ ، ومسلم ، حديث رقم ٢٨٥٩ .
(٤) حديث دنو الشمس من العباد يوم القيامة عند مسلم ، حديث رقم ٢٨٦٤ .
(٥) رواه البخاري ، حديث رقم ٦٥٣١ ، ومسلم ، حديث رقم ٢٨٦٢ .
(٦) رواه البخاري ، حديث رقم ٦٥٣٢ ، ومسلم ، حديث رقم ٢٨٦٣ .
(٧) سورة الفرقان [٢٦] .
(٨) رواه مسلم ، حديث رقم ٢٦٩٩ .

دينًا ، أو تطعمه خبزًا)) (١) ، وهذا الصحابي الجليل أبو ذر الغفاري يسأل النبي ﷺ ، فيقول ﷺ : يا رسول الله ، أيُّ الأعمال أفضل؟ قال : ((**الإيمان والجهاد في سبيله**)) قلت : فأيُّ الرقاب أفضل ؟ قال : ((**أنفسُها عند أهلها وأكثرها ثمنا**)) ، فإن لم أفعل ؟ قال : ((**تعين صانعًا وتصنع الأخرق**)) . قلت : يا رسول الله ، أرأيت إن ضَعُفْتُ عن بعض العمل؟ قال : ((**تكف شرَّك عن الناس ، فإنها صدقة**)) (٢) .

٣ - ٧ : معونة الله للمتعاونين :

((**والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه**)) (٣) ، وفي حديث ابن عمر : ((**ومن كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته**)) ..

٣ - ٨ : دخول الجنة :

قال ﷺ : ((**لقد رأيت رجلاً يتقلب في الجنة في شجرة قطعها من ظهر الطريق كانت تؤذي المسلمين**)) .. وفي رواية : ((**مَرَّ رجل بغصن شجرة على ظهر طريق فقال : (والله لأنحّينَّ هذا عن المسلمين لا يؤذيهم) فأُدْخِلَ الجنة**)) (٤) . هذا أُدخل الجنة بغصن كان يمكن أن يؤذي المسلمين ، فماذا لو تعاون مع إخوانه على إزالة تيارات الفساد والإفساد التي تؤذي المسلمين في الليل والنهار والتي أرْدت الكثير من أبناء المسلمين صرعى الشهوات والشبهات؟ . قال الشيخ ابن عثيمين : ((وفي هذا الحديث دليل على أن من أزال عن المسلمين الأذى فله هذا الثواب العظيم في أمر حسي ، فكيف بالأمر المعنوي ؟ هناك بعض الناس - والعياذ بالله - أهل شر وبلاء ، وأفكار خبيثة ، وأخلاق سيئة ، يصدُّون الناس عن دين الله ، فإزالة هؤلاء عن طريق المسلمين أفضل بكثير وأعظم أجرًا عند الله ، فإذا أزيل أذى هؤلاء ، إذا كانوا أصحاب أفكار خبيثة سيئة إلحادية ، يُردّ عليها ، وتُبطل أفكارهم)) (٥).

٣ - ٩ : دوام نعمة الله على عبده :

(١) رواه ابن أبي الدنيا في قضاء الحاجة ، حديث ١١٢ ، قال الأرناؤوط في تحقيقه لجامع العلوم والحكم ، ج٢ ، ص ٢٩٤ : ((فهذا سند حسن)) .
(٢) رواه البخاري ، حديث رقم ٢٥١٨ ، ومسلم ، حديث رقم ٨٤ .
(٣) رواه الإمام مسلم ، حديث رقم ٢٦٩٩ .
(٤) رواه الإمام مسلم ، حديث رقم ١٩١٤ .
(٥) شرح رياض الصالحين ، لابن عثيمين ، ج٣ ، ص ٢١٠ - ٢١١ ، دار الوطن ، ط١ .

إن الملكات والطاقات المادية والمعنوية نعم يهبها اللهُ من يشاء من عباده ، وهذه النعم ما لم يبذلها المرء في عون إخوانه المسلمين فإن الله - عز وجل - ينزعها منه قال ﷺ :

((**إن لله أقوامًا يختصُّهم بالنعم لمنافع العباد ، ويُقرُّهم فيها ما بذلوها ، فإذا منعوها نزعها منهم ، فحوّلها إلى غيرهم**)) (1) .

٣ - ١١ ،١٠: التعاون أفضل من نافلة الاعتكاف ، كما أن الله يثبت قدم الباذل للمعونة يوم تزول الأقدام :

قال ﷺ : ((**أحب الناس إلى الله تعالى أنفعهم للناس ، وأحب الأعمال إلى الله – عز وجل – سرور تدخله على مسلم ، أو تكشف عنه كربة ، أو تقضي عنه دينًا ، أو تطرد عنه جوعًا ، ولأن أمشي مع أخي في حاجة أحب إليَّ من أن أعتكف في هذا المسجد ، (يعني مسجد المدينة) شهرًا ، ومن كفَّ غضبه ستر الله عورته ، ومن كظم غيظه ، ولو شاء أن يمضيه أمضاه ملأ الله قلبه رجاء يوم القيامة ، ومن مشى مع أخيه في حاجة حتى تتهيأ له أثبت الله قدمه يوم تزول الأقدام**)) (2) .

ولهذا كان سلفنا الصالح - رحمهم الله تعالى - يتسابقون في إعانة إخوانهم وقضاء حاجاتهم ، ويقدمون ذلك على نوافلهم المطلقة . بعث الحسن البصري قومًا من أصحابه في قضاء حاجة لرجل وقال لهم : مروا بثابت البناني ، فخذوه معكم ، فأتوا ثابتًا ، فقال أنا معتكف ، فرجعوا إلى الحسن فأخبروه ، فقال : قولوا له : يا أعمش أما تعلم أن مشيك في حاجة أخيك المسلم خير لك من حجة بعد حجة ؟ فرجعوا إلى ثابت فترك اعتكافه وذهب معهم(3) .

٤ - من صور التعاون على البر والتقوى :

٤ - ١ : التناصح :

التعاون لا يقتصر على الحدود المادية بل يتجاوزها إلى التعاون في مجال القيم والخُلق ، وذلك عن طريق التناصح الذي يكون بين المؤمن وأخيه ، وقد قال سيد البشر ﷺ مجلّيا لهذه الصورة من التعاون : ((**المؤمن مرآة المؤمن**)) (4) ، فما أعظمه من تعاون يوم يأخذ الأخ بيد أخيه ليرتقي به في مدارج الكمال مبينًا له برفق وحكمة ما

(1) السلسلة الصحيحة ، الألباني ، حديث رقم ١٦٩٢ .
(2) السلسلة الصحيحة ، الألباني ، حديث رقم ٩٠٦ .
(3) جامع العلوم والحكم ، لابن رجب ، ج٢ ، ص ٢٩٤ ، تحقيق ، الأرناؤوط .
(4) الأدب المفرد للبخاري ، حديث رقم ٢٣٩ ، السلسلة الصحيحة ، للألباني ، حديث رقم ٩٢٦ .

يراه فيه من نواقص ، وما يعتريه من معايب ، وقد أحاط نصحه بستر لا ينكشف[١] ((انظر التناصح بين سلمان الفارسي وأبي الدرداء في صحيح الإمام البخاري)) [٢] .

٤ - ٢ : طلب العلم والتفقه في الدين :

لقد أورد الإمام البخاري في صحيحه في باب التناوب في العلم حديث عمر ، وكيف كان يتعاون مع أخٍ له في الله على التناوب على مجالس رسول الله ﷺ كل يوم حتى لا يفوتهم شيء من الوحي قال عمر رضي الله عنه : ((كنت أنا وجارٌ لي من الأنصار في بني أمية بن زيد - وهي من عَوالي المدينة – وكنا نتناوب على رسول الله ﷺ ، ينزل يومًا وأنزل يومًا ، فإذا نزلت جئته بخبر ذلك اليوم من الوحي وغيره ، وإذا نزل فعل مثل ذلك))[٣] .

فانظر كيف تعاون الاثنان على أمور دينهم ودنياهم والحديث عن تعاون الصحابة في التفقه في الدين أوسع من أن نحيط ببعضها في هذه العجالة فضلاً عن أن نأتي بها كلّها .

٤ - ٣ : التعاون في الدعوة إلى الله :

من السذاجة أن يعتقد المرء أنه يستطيع أن يقوم بجميع تكاليف الدعوة ومستلزماتها ويؤدي جميع واجباتها ومسؤولياتها بمعزلٍ عن إخوانه مستقلا عنهم ومستغنيًا عن معونتهم ، وهو بهذا الاعتقاد إما مغرور أو جاهل .. مغرور لأنه يعتقد أنه أقوى من الرسل شكيمة وأكبر منهم عزيمة ؛ ولهذا فهو لا يحتاج لإخوانه كما احتاجوا لإخوانهم ، فقال قائلهم - عليه صلاة الله وسلامه - : ﴿ **وَاجْعَل لِّي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي * هَارُونَ أَخِي * اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي * وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي** ﴾[٤] ، فإن لم يكن ثمة غرور فهو جهل بسير الأنبياء التي طفحت بتعاونهم مع أتباعهم في حمل لواء الدعوة ونشر بساطها ﴿ **وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ** ﴾[٥] ، وقد قال ﷺ : ((**ما من نبي بعثه الله في أُمّةٍ قبلي إلا كان له من أُمته حواريون وأصحاب يأخذون بسنته ويقتدون بأمره**)) [٦] والحواريون أي

---

(١) راجع موضوع الأخوة ؛ فقد تناولنا موضوع التناصح وسيأتي بحث النصيحة وشروطها وآدابها - إن شاء الله

(٢) صحيح البخاري ، كتاب الصوم ، باب من أقسم على أخيه ليفطر في التطوع ... ، حديث رقم ١٩٦٨ .

(٣) رواه البخاري كتاب العلم ، باب التناوب في العلم ، حديث رقم ٨٩ .

(٤) سورة طه [٢٩-٣٢] .

(٥) سورة آل عمران [١٤٦] .

(٦) رواه مسلم كتاب الإيمان ، باب : بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان ، وأن الإيمان يزيد وينقص . وأن الأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر واجبان ، حديث رقم ٨٠ .

الناصرون لسنته والمقتفون لهديه[1] ، وقوله ﷺ : ((**بلغوا عني ولو آية**)) [2]، وكان ﷺ يقول : ((**من ينصرني حتى أبلَّغ رسالات ربي**)) [3]، وأخذ البيعة مرات عديدة على نصرته ونشر ملته فبايعه الأنصار على نصرته وبذلوا نفوسهم وأموالهم في نشر دعوته .. وصور التعاون بينه ﷺ وبين أصحابه ﭫ أكثر من أن تحصر ، ولهذا امتنَّ الله - عز وجل - على رسوله بهذه النعمة فقال : ﴿ **هُوَ الَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ * وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلَّفَتْ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ** ﴾[4] الآية ، وستأتي بعض المواقف في المبحث السابع - إن شاء الله .

٤ - ٤ : التعاون في الثبات على الحق والتواصي به :

يتعاون المؤمنون في تثبيت بعضهم بعضًا بمواقفهم الإيمانية وبكلماتهم النورانية [5] ومحاضنهم التربوية[6] . فيعيش المؤمن في تعاونه وارتباطه بإخوانه الصالحين في حصانة وحفظ ، حتى إذا ما تلوث بشيء من الأدران نتيجة بُعده عنهم لعارض من العوارض ، أو لشهوة جامحة ، أو لشبهة خاطرة ، فإنهم فور ما يعود إليهم يعالجون هذا الحدث بما يستحقه ، ويغسلون الدرن عن صاحبهم ، ويقاومون أسبابه ؛ لأن مقتضى الصداقة والخلة أن يبادروا إلى ذلك وفاءً لصديقهم ، ورعاية لصداقته .

وهذا الهدف من أهم أهداف الصداقة السامية ؛ لأن انفراد الإنسان عن مصاحبة الصالحين يغري به الشيطان ، ويجعله ضعيفًا قابلاً للانحراف ، وإنما يأخذ الذئب من الغنم القاصية ، بل إن بعد المؤمن عن صحبة الصالحين بداية للتحول نحو سواها ؛ ولذلك جعل المولى - سبحانه - الانصراف عن المؤمنين الصادقين ، وعن الاندماج فيهم إيثارًا لغيرهم من أهل الدنيا ودنياهم ، فحذر من ذلك رسوله محمدًا ﷺ في قوله في سورة الكهف :

---

(1) قال صاحب المرقاة ، ج١ ، ص٣٩٢ - ٣٩٣ : قال الطيبي : حواري الرجل صفوته وخالصته الذي أخلص ونقي من كل عيب ، وقيل : الحواري القصار بلغة النبط ، وكان أصحاب عيسى قصارين ؛ لأنهم يحُوِّرون الثياب ، أي يبيضونها فغلب عليهم الاسم ، ثم استعير لكل من ينصر نبيًّا وتبع هداه حق اتباعه تشبيهًا بأولئك . أ . هـ باختصار يسير .

(2) رواه البخاري ، كتاب أحاديث الأنبياء ، باب ما ذكر عن بني إسرائيل ، حديث رقم ٣٤٦١ .

(3) رواه أحمد في مسنده ، ج٣ ، ص ٣٣٩ ، ج ٣ ، ص ٣٢٢ ، من حديث جابر عن أبي الزبير ، حديث رقم ١٤٦٩٤ .

(4) سورة الأنفال [٦٢-٦٣] .

(5) النورانية من النور ، انظر المعجم الوجيز ، ص ٦٣٩ .

(6) كم احتضنت مكتبات المساجد وحلق تحفيظ القرآن والمراكز والمؤسسات الخيرية من أبناء المسلمين فحفظتهم - بإذن الله - من تيارات الفساد والإفساد ؟! .

﴿ وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلاَ تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلاَ تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا ﴾(١)(٢).

ويقول سيد - رحمه الله - في تفسير قوله تعالى : ﴿ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴾(٣) ، « التواصي بالحق ضرورة ، فالنهوض بالحق عسير ، والمعوقات عن الحق كثيرة : هوى النفس ، ومنطق المصلحة ، وتصورات البيئة ، وطغيان الطغاة ، وظلم الظلمة ، وجور الجائرين .. والتواصي تذكير وتشجيع وإشعار بالقربى في الهدف والغاية ، والأخوة في العبء والأمانة ، فهو مضاعفة لمجموع الاتجاهات الفردية ، إذ تتفاعل معًا فتتضاعف . تتضاعف بإحساس كل حارس للحق أن معه غيره يوصيه ويشجعه ويقف معه ويحبه ولا يخذله .. وهذا الدين - وهو الحق - لا يقوم إلا في حراسة جماعة متعاونة متواصية متكافلة متضامنة على هذا المثال .

والتواصي بالصبر كذلك ضرورة ، فالقيام على الإيمان والعمل الصالح ، وحراسة الحق والعدل ، من أعسر ما يواجه الفرد والجماعة ، ولابد من الصبر ، لابد من الصبر على جهاد النفس ، وجهاد الغير ، والصبر على الأذى والمشقة ، والصبر على تبجح الباطل وتنفج الشر ، والصبر على طول الطريق وبطء المراحل ، وانطماس المعالم ، وبعد النهاية ! .

والتواصي بالصبر يضاعف المقدرة ، بما يبعثه من إحساس بوحدة الهدف ، ووحدة المتجه ، وتساند الجميع وتزودهم بالحب والعزم والإصرار .. إلى آخر ما يثيره من معاني الجماعة التي لا تعيش حقيقة الإسلام إلا في جوها ، ولا تبرز إلا من خلالها .. وإلا فهو الخسران والضياع »(٤) .

٤ - ٥ : التعاون في الدلالة على الحق :

الوصول إلى الحق مطلب كل مؤمن والحكمة ضالته التي يجتهد في البحث عنها ، وفي كثير من الأحيان تختلط الأمور وتتشابك فيحتاج المرء لمعرفة الحق فيها إلى إخوانه المؤمنين وأصفيائه الناصحين يبينون له الحق ويعينوه عليه ، ويكشفون له

---

(١) الصداقة في الإطار الشرعي ، ص ٤٤ - ٤٥ ، د . عبد الرحمن الزنيدي ، مكتبة الوَّراق ، ط١ .
(٢) سورة الكهف [٢٨] .
(٣) سورة العصر [٣] .
(٤) في ظلال القرآن ، ج٦ ، حديث رقم ٣٩٦٨ ، سيد قطب ، دار الشروق ، ط٧ .

زيف الباطل ويحذرونه منه ؛ ولهذا وصف الرسول ﷺ هذا التعاون فقال : « **المؤمن مرآة المؤمن ، والمؤمن أخو المؤمن ، يكف عليه ضيعته ، ويحوطه من ورائه** » (١) ، قال الجيلاني : « يكف عليه ضيعته » ، أي يمنع ضياعه وهلاكه ، فيجمع عليه معيشته ويضمها إليه « ويحوطه من ورائه » ويذب عنه ويوفر عليه مصالحه(٢) .

والتعاون في الدلالة على الحق يمكن أن يكون :

أ - بالنصيحة لأخٍ لك على أمر غفل عنه ، وقد سبق الحديث عن هذه الصورة .

ب - الاستشارة : وفيها يعين الأخ أخاه على الاجتهاد في الوصول إلى أصوب الآراء في قضية « ما » ، فيشير عليه بما يغلب على ظنه أنه الحق ، فهو تعاون في مجال الخبرة العملية والفكرية وتمحيص الأمور لمعرفة أقربها إلى الحق .

ج - الدلالة على أمر اطلع عليه طرف وجهله الآخر (٣) .

قال أبو مسعود الأنصاري : « جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال : إني أُبدع بي (أي هلكت دابتي) فاحملني ، فقال : « **ما عندي** » ، فقال رجل : يا رسول الله أنا أدُلُّهُ على من يَحْمِلـه ، فقال رسول الله ﷺ : « **من دّلَّ على خير فله مثلُ أجر فاعله** » (٤)، إن الدلالة على الخير لا يستغني عنها حتى الأنبياء ، ولهذا فقد دلَّ الهدهد سليمان - عليه السلام - على قوم بلقيس فكان في هذه الدلالة دخول أمة إلى الإسلام .

٤ - ٦ : التعاون في النصرة على الحق :

والأصل في هذا التعاون ما أمر به ﷺ قال : « **انصر أخاك ظالمًا أو مظلومًا** » ، فقال رجل : يا رسول الله أنصره إذا كان مظلومًا ، أفرأيت إذا كان ظالمًا كيف أنصره ؟ قال : « **تحجزه – أو تمنعه – من الظلم فإن ذلك نصره** » (٥) وجعل هذا التعاون على درء الظلم حقا من حقوق المسلم على إخوانه . قال البراء بن عازب - رضي الله عنهما - : «

(١) رواه أبو داود والبخاري في الأدب المفرد عن أبي هريرة ، وهو في السلسلة الصحيحة ، للألباني ، حديث رقم ٩٢٦ .
(٢) فضل الله الصمد في توضيح الأدب المفرد ، ج١ ، ص ٣٣٤ ، فضل الله الجيلاني ، المكتبة السلفية ، ط٣ .
(٣) انظر الأخلاق الإسلامية وأسسها ، لعبد الرحمن الميداني ، ج٢ ، ص ٢٠٦ ، دار الفكر ، ط٤
(٤) رواه مسلم ، كتاب الإمارة ، باب فضل إعانة الغازي في سبيل الله بمركوب وغيره وخلافته في أهله بخير ، حديث رقم ١٨٩٣ .
(٥) رواه البخاري ، كتاب الإكراه ، باب يمين الرجل لصاحبه... ، حديث رقم ٦٩٥٢ .

أمرنا رسول الله ﷺ بسبع ونهانا عن سبع فذكر منها ((**نصرة المظلوم**)) [١] . قال ابن حجر - رحمه الله - : هو فرض كفاية [٢] .

ولهذا جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال له : الرجل يأتيني فيريد مالي؟ - يعني ماذا أفعل معه؟ - قال : ((**ذكّره بالله**)) ، ولأن الرجل يعلم أن بعض النفوس لا يكفيها مجرد التذكير بالله قال : فإن لم يذكر ؟ قال : ((**استعن بالله من حولك من المسلمين**)) ، قال : فإن لم يكن حولي أحد من المسلمين ؟ قال : ((**فاستعن عليه بالسلطان**)) . قال : فإن نأى السلطان عني؟ قال : ((**قاتل دون مالك حتى تكون من شهداء الآخرة ، أو تمنع مالك**)) [٣] . وتتأكد النصرة عندما يقع الظلم على مسلم بسبب دينه وعقيدته وقد قال الله عز وجل : ﴿ **وَإِنِ اسْتَنصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ إِلاَّ عَلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ** ﴾[٤] .

٤ - ٧ : التعاون في تفريج الكربات وسعد الحاجات :

تلمس حاجات الضعيف وإعانته على قضائها ، والإحساس بمصائب المسلمين والسعي إلى تخفيفها من أعظم صور التعاون على البر والتقوى . وقد قال ﷺ : ((**من نفّس عن مؤمن كُربة من كرب الدنيا ، نفّس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة ، ومن يسَّر على معسر ، يسَّر الله عليه في الدنيا والآخرة ، ومن ستر مسلمًا ، ستره الله في الدنيا والآخرة ، واللهُ في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه**)) [٥] ، ويقول - عليه أفضل الصلاة والسلام - : ((**المسلم أخو المسلم ، لا يظلمُه ، ولا يُسلمه ، ومن كان في حاجة أخيه ، كان الله في حاجته ، ومن فرّج عن مسلم فرّج الله عنه كُربة من كرب يوم القيامة ، ومن ستر مسلمًا ستره الله يوم**

---

(١) رواه البخاري ، كتاب المظالم ، باب نصر المظلوم ، حديث رقم ٢٤٤٥ ، فتح الباري ، ج٥ ، ص ٩٩ .
(٢) فتح الباري ، ج٥ ، ص٩٩ .
(٣) صحيح سنن النسائي ، كتاب تحريم الدم ، باب ٢١ ، حديث رقم ٣٨٠٣ ، حسن صحيح نقلاً عن ((هذه أخلاقنا حين نكون مؤمنين حقًا)) ، محمود محمد الخازندار ، ص ٢١٥ ، ط١ ، دار طيبة .
(٤) سورة الأنفال [٧٢] .
(٥) رواه مسلم ، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار ، باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر ، حديث رقم ٢٦٩٩ .

القيامة)) [١] ، وقال ابن حجر - رحمه الله - : وقوله ((**ولا يسلمه**)) ، أي لا يتركه مع من يؤذيه ولا فيما يؤذيه ، بل ينصره ويدفع عنه ، وهذا أخص من ترك الظلم [٢] .

٥ - سبل تقوية التعاون بين المؤمنين :

٥ - ١ : التعارف :

لما كان أصل التعاون الحب في الله والإحساس بالجسد الواحد فإن تعارف القلوب مما يزيد في ترابطها وتوادِّها وألفتها ولهذا قال ﷺ : ((**الأرواح جنود مجندة ، فما تعارف منها ائتلف ، وما تناكر منها اختلف**)) [٣] .

واطلاع المرء على أحوال إخوانه المسلمين من خلال وسائل الإعلام ((الموثوقة)) وعلمه بمصابهم مما يزيد من حماسه في معونتهم ؛ ولهذا قيل : ((**من لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم**)) .

٥ - ٢ : معرفة المسلم لحقوق المسلم عليه :

ما أكثر النصوص التي أثبتت حق المسلم على إخوانه في معونته ومساعدته ، واحترامه ورعاية ذمته ، حتى أصبحت من المعلومات من الدين بالضرورة . إن التذكير بها والتحذير من التقصير فيها ، مما يقوِّي عزيمة المسلم على التعاون مع إخوانه ، والتعاضد معهم على البر والتقوى .

قال الحق - عز وجل : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ ، وقال ﷺ : ((**مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثلُ الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعىله سائر الجسد بالسهر والحمى**))[٤].

وقال - عليه أفضل الصلاة والسلام : ((**المؤمنون تتكافأ دماؤهم ، ويسعى بذمتهم أدناهم ، وهم يد على من سواهم**)) [٥] . والأحاديث في هذا المعنى كثيرة ، فالواجب على المسلمين التعاون فيما بينهم وأن يكونوا جسدًا واحدًا في السراء والضراء .

٥ - ٣ : احتساب الأجر :

---

(١) رواه البخاري ، كتاب المظالم ، باب لا يظلمُ المسلمُ المسلمَ ولا يسلمهُ ، حديث رقم ٢٤٤٢ .
(٢) فتح الباري ، ج٥ ، ص ٩٧ .
(٣) رواه البخاري في كتاب الأنبياء ، باب الأرواح جنود مجندة ، حديث رقم ٣٣٣٦ ، ورواه مسلم ، في كتاب البر والصلة والآداب ، باب الأرواح جنود مجندة ، حديث رقم ٢٦٣٨ .
(٤) رواه مسلم ، في كتاب البر والصلة ، باب نصر الأخ ظالمًا أو مظلومًا ، حديث رقم ٢٥٨٥ .
(٥) رواه النسائي وأحمد في مسنده ، ج١ ، ص ١١٩ ، وقد صحَّح إسناده أحمد شاكر - رحمه الله - حديث رقم ٩٥٩ ، وانظر فتح الباري ، ج٤ ، ص ٨٥ ، ومجمع الزوائد ، ج٦ ، ص٢٩٢ .

لقد ذكرنا ما للتعاون من فضل عند الله - عز وجل - ، ورأينا كيف فضَّل السلف قضاء حاجات إخوانهم على اعتكافهم في مسجد رسول الله ﷺ .. ولهذا فإن الكثير من الناس يزهد عن معونة إخوانه المسلمين ويتثاقل عنها ، لجهله بالأجور التي جعلها الله جزاء المعاونين لإخوانهم والمتسابقين في قضاء حاجاتهم وتنفيس كرباتهم .

٥ - ٤ : تنمية الروح الجماعية :

وذلك بتذكير المرء بحاجته لإخوانه ومعونتهم له وأنه ضعيف بنفسه قوي بإخوانه كما قيل : ((**إنما يأكل الذئب القاصية**)) [١] ، ويقول ﷺ : ((**المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضًا**)) [٢] .

٥ - ٥ : فقه الواقع :

لابد أن يدرك المسلم مخططات أعدائه للكيد له والسيطرة عليه والمكر به ، وأن هذه المخططات تحتاج تكاتف المسلمين وتعاونهم وتآزرهم وترابطهم ليدحضوا تيارات الكفر والفساد ويخضدوا شوكتها .

٥ - ٦ : تطهير القلب من الأمراض :

التعاون من صفات القلب السليم ؛ لأن القلب السقيم بالحسد والحقد والأنانية لا يمكن أن يتعاون مع الآخرين إلا إذا كان هذا التعاون يحقق له بعض شهواته .

٦ - ضوابط المعونة والمناصرة :

لقد ذكرنا فيما سبق أن المناصرة والمعونة للمسلم فرض على الكفاية ، وقد يتعين على من له القدرة عليها وحده ، وهذا التعاون له ضوابط لابد من التنبه لها ، ومنها :

٦ - ١ : أن يكون التعاون على الحق :

وذلك لأن الله - عز وجل - أمرنا بالتعاون على حق ونهانا عن التعاون بالباطل فقال : ﴿**وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبرِّ وَالتَّقْوَى وَلاَ تَعَاوَنُوا عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ**﴾[٣] ، وضرب الرسول ﷺ مثلا للذي يناصر قومه في الباطل فقال : ((**من نصر قومه على غير الحق فهو كالبعير الذي رُدي (أي سقط في بئر) ، فهو يُنْزَعُ بذنبه**)) [٤]. قال الحافظ المنذري :

---

(١) الترغيب والترهيب للمنذري ، ج١ ، ص ٢٧٣ ، البيهقي في السنن الكبرى ، ج٣ ، ص ٥٤ ، والهيثمي في موارد الظمآن ٤٢٥ ، تهذيب تاريخ دمشق لابن عساكر ، ج٦ ، ص ٦١ ، الدر المنثور للسيوطي ، ج٦ ، ص ١٨٦ .

(٢) رواه البخاري ، كتاب المظالم ، باب نصر المظلوم ، حديث رقم ٢٤٤٦ ، ورواه مسلم في كتاب البر والصلة ، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم ، حديث رقم ٢٥٨٥ .

(٣) سورة المائدة [٢] .

(٤) رواه أبو داود ، بإسناد صحيح ، انظر المشكاة ، حديث رقم ٤٩٠٤ ، تحقيق الألباني .

((ومعنى الحديث أنه قد وقع في الإثم وهلك كالبعير إذا تردّى في بئر فصار يُنَزع (أي يجرُّ بذنبه) ولا يقدر على الخلاص)) [1] .

٦ - ٢ : العلم :

يشترط في الناصر أو المعين العلم ، قال ابن حجر - رحمه الله - : ((وشرط الناصر أن يكون عالمًا بكون الفعل ظلمًا))[2] ، وكذلك مَنْ أراد أن يعين أحدًا على حاجة يشترط أن يعلم مشروعية هذه الحاجة .

٦ - ٣ : **ألا يترتب على النصرة أو المعونة مفسدة أكبر من مفسدة ترك النصرة أو المعونة نفسها** : إذا علم الناصر أو غلب على ظنه أن نصرته للمظلوم لا تفيد في تغيير الظلم سقط الوجوب وبقي أصل الاستحباب بالشرط المذكور قبل قليل[3] .

٦ - ٤ : ألا يترتب على التعاون محذور شرعي :

فالشفاعة صورة من صور التعاون التي أمر بها رسول الله ﷺ فقال : ((**اشفعوا تؤجروا ويقضي الله على لسان نبيه ما شاء**)) [4] ، ولكن إذا كانت في حد قد بلغ الإمام فإن الشفاعة عندئذ تحرم ولهذا غضب ﷺ على أسامة بن زيد حينما شفع عنده في امرأة سرقت ووجب عليها حد السرقة فقال له : ((**أتشفع في حد من حدود الله ، وايْم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها**)) [5] .

٧ - مواقف من تعاون السلف الصالح :

٧ - ١ : تعاون آل أبي بكر مع رسول الله ﷺ في هجرته :

أ - أبو بكر رضي الله عنه يخاطر بحياته ويهاجر مع رسول الله ﷺ ، فإن تذكر الطلب مشى خلفه وإذا ذكر الراصد مشى أمامه[6] ، وجهز راحلتين كانت عنده استعدادًا

---

(1) الترغيب والترهيب ، ج٣ ، ص ١٩٨ ، نقلاً عن التعاون على البر والتقوى لأسعد محمد الصاغرجي ، ص ١٨ ، انظر أيضا شرح الحديث في مرقاة المفاتيح ، ج٨ ، ص ٦٤٣ .

(2) فتح الباري ، ج٥ ، ص ٩٩ ، أي يشترط في الناصر للمظلوم أن يكون عالما بكون الفعل الواقع على مَنْ أراد نصرته ظلمًا .

(3) انظر للتوسع ، الفتح ، ج٥ ، ص ٩٩ .

(4) رواه البخاري ، كتاب الزكاة ، باب التحريض على الصدقة والشفاعة فيها ، حديث رقم ١٤٣٢ .

(5) رواه البخاري ، كتاب الأنبياء باب ٥٤ ، حديث رقم ٣٤٧٥ ، ورواه مسلم ، كتاب الحدود ، باب قطع يد السارق الشريف وغيره .. حديث رقم ١٦٨٨ ، للتوسع ، انظر الأخلاق الإسلامية وأسسها للحبنكة الميداني ، ج٢ ، ص٢٠٧ - ٢٠٩ .

(6) انظر الفتح ، ج٧ ، ص ٢٣٧ ، قال ابن حجر : ((وفي دلائل النبوة للبيهقي ، من مرسل محمد بن سيرين ، ثم ذكر قصة مشي أبي بكر)) .

للهجرة قام بتجهيزها أهل بيته[١] .

ب - إعداد جهاز السفر (قطعت أسماء بنت أبي بكر قطعة من نطاقها فربطت به على فم الجراب ؛ فبذلك سميت ذات النطاق)[٢] .

ج - عبد الله بنُ أبي بكر يأتي لهما بأخبار قريش .

د - عامر بن فهيرة يُريح الغنمَ عليهما وهما في الغار فيشربان من اللبن .

٧ - ٢ : تعاون الصحابة في بناء مسجده ﷺ (قال البخاري في صحيحه في كتاب الصلاة باب ٦٣ : باب التعاون في بناء المسجد) ، ومن صور التعاون في البناء مما رواه البخاري وغيره :

أ - أمر الرسول ﷺ بقبور المشركين (التي كانت في مكان المسجد) فنبشت ، وبالخرب فسوِّيت ، وبالنخل فقطع .

ب - راح الصحابة ينقلون الصخر ، وطفق ﷺ ينقل معهم اللَّبنَ لبنيانه ، ويقول وهو ينقل اللبن :

اللهم إن الأجر أجر الآخرة فارحم الأنصار والمهاجرة[٣]

ج - عن سهل قال : ((بعث رسول الله ﷺ إلى امرأةٍ أنْ **مُري غلامَك النجار يعمل لي أعوادًا أجلس عليهن**))[٤] .

٧ - ٣ : تعاون الأنصار مع المهاجرين في إيوائهم ومقاسمتهم أموالهم وبيوتهم :

استضاف أبو أيوب الأنصاري رسول الله ﷺ وجعل له أعلى البيت[٥] ، قال أبو هريرة ﷺ : ((قالت الأنصار للرسول ﷺ : اقسم بيننا وبينهم النخل ، قال : ((**لا**))

.

قال : ((**يكفوننا المؤونة ويشركوننا في الثمر**)) قالوا : سمعنا وأطعنا))[٦] .

---

(١) انظر صحيح الإمام البخاري ، حديث رقم ٣٩٠٥ من حديث عائشة تصف هجرة النبي ﷺ إلى المدينة .
(٢) حديث عائشة - رضي الله عنها - السابق .
(٣) رواه البخاري ، كتاب مناقب الأنصار ، باب هجرة النبي ﷺ إلى المدينة ، حديث رقم ٣٩٠٦ ، وانظر أيضًا السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية ، مهدي رزق الله أحمد ، ط١ ، ص ٢٩٤ .
(٤) رواه البخاري ، كتاب الصلاة ، باب الاستعانة بالنجار والصُنّاع في أعواد المنبر والمسجد ، حديث رقم ٤٤٨ .
(٥) انظر قصة سكناه ﷺ في بيت أبي أيوب وتضحية أبي أيوب وامرأته في السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية ((دراسة وتحليل)) د . مهدي رزق الله أحمد ، ص ٢٨٧ .
(٦) رواه البخاري ، كتاب مناقب الأنصار ، باب إخاء النبي ﷺ بين المهاجرين والأنصار ، حديث رقم ٣٧٨٢ .

٧ - ٤ : تعاونه ﷺ مع أصحابه في حفر الخندق :

قال البراء بن عازب : كان رسول الله ﷺ يوم الأحزاب ينقل معنا التراب ، ولقد وارى التراب بياض بطنه[1] ، وشارك جميع المسلمين في الحفر ، لا فرق بين غني وفقير ومولى وأمير ، وأسوتهم في ذلك الرسول ﷺ الذي حمل التراب حتى اغبر بطنه ووارى التراب جلده ، وكان الصحابة يستعينون به في تفتيت الصخرة التي تعترضهم ويعجزون عنها ، فيفتتها لهم[2] .

٧ - ٥ : تعاون ذي القرنين مع أصحاب السد (فأعينوني بقوة) :

لقد مكَّن الله - عز وجل - لذي القرنين في الأرض ، وآتاه من كل شيء سببًا ، فتوافرت القدرة والسلطة ، وتهيأت أمامه أسبابُ القوة والنفوذ التي لم تتوافر لكثير غيره .. ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَن ذِي الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا * إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِن كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا ﴾[3] ، ومع ذلك لم يستغن ذو القرنين عن معونة الآخرين حينما أراد أن يقوم بعمل كبير ، وإنجاز عظيم﴿ حَتَّى إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْمًا لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا * قَالُوا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَى أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴾[4] ، فصارحهم ذو القرنين بأن مثل هذا العمل الضخم يحتاج إلى التعاون ولا يتم دونه فقال : ﴿ قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴾[5] .. الآيات ، فماذا كانت نتيجة هذا التعاون العظيم ؟ كانت نتيجته إتمام عمل عظيم ، سد منيع ، لا يستطيع مهاجموه أن يعلوا ظهره ، ولا أن يحدثوا فيه خرقًا .. والدرس الذي نخرج به أن التعاون إذا أخلص له أهلوه ، وبذلوا فيه بصدق ما استطاعوا حقق لهم من النتائج ما يكفي ويشفي[6] .

٧ - ٦ : موسى - عليه السلام - يسأل الله أن يجعل أخاه معينًا له على دعوته :

انظر تفسير قوله تعالى : ﴿ قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي * وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي * وَاحْلُلْ

---

(1) رواه البخاري ، حديث رقم ٤١٠٤ ، ورواه مسلم ، حديث رقم ١٨٠٣ واللفظ له .
(2) السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية ، للدكتور مهدي رزق الله ، ص ٤٤٧ .
(3) سورة الكهف [٨٣-٨٤] .
(4) سورة الكهف [٩٣-٩٤] .
(5) سورة الكهف [٩٥] .
(6) للتوسع في دروس قصة ذي القرنين انظر (مع قصص السابقين في القرآن) ، للدكتور صلاح الخالدي ، دار القلم ، ج٢ ، ص٢٣٧ - ٣٥٥ ، وانظر ما يتعلق بالتعاون من ص ٣٤١ - ٣٤٣ ، تفسير قوله تعالى : ﴿ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ ﴾ ، وانظر أيضًا الأخلاق الإسلامية لعبد الرحمن الحبنكة الميداني ، ج٢ ، ص ٢٠٤ - ٢٠٥.

عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي * يَفْقَهُوا قَوْلِي * وَاجْعَل لِّي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي * هَارُونَ أَخِي * اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي ﴾[1] . [آيات سورة طه ، انظر أيضاً إلى الحديث في المبحث (٨ - ٥ تعاون إبراهيم مع إسماعيل - عليهما السلام -)] .

٧ - ٧ : معاذ بن جبل يتعاون مع شباب بني سلَمة للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والدعوة إلى الخير :

أورد ابن هشام[2] قصة صنم عمرو بن الجموح ، وكان عمرو بن الجموح سيدًا من سادات بني سلمة ، وشريفًا من أشرافهم ، وكان قد اتخذ في داره صنمًا من خشب ، يقال له (مناة) كما كانت الأشراف يصنعون ، فلما أسلم فتيان بني سلمة : معاذ بن جبل ، ومعاذ ابن عمرو ، في فتيان ممن أسلم وشهد العقبة ، كانوا يدلجون بالليل على صنم عمرو ذلك ، فيحملونه فيطرحونه في بعض حُفَر بني سلمة ، وفيها عِذَر الناس ، منكسًا على رأسه ، فإذا أصبح عمرو قال : ويلكم من عَدا على آلهتنا هذه الليلة ؟ ثم يغدو يلتمسه ، حتى إذا وجده غسله وطهره وطيبه ، ثم قال : أما - والله - لو أعلم من فعل هذا بك لأخزينّه ، فإذا أمسى ونام عمرو ، عَدَوا عليه ففعلوا به مثل ذلك .

فلما أكثروا عليه واستخرجه من حيث ألقوه يومًا ، فغسله وطهره وطيبه ، ثم جاء بسيفه فعلقه عليه ، قال : إني - والله - ما أعلم من يصنع بك ما ترى ، فإن كان فيك خير فامتنع ، فهذا السيف معك ، فلما أمسى ونام عمرو ، عَدَوا عليه فأخذوا السيف من عنقه ، ثم أخذوا كلبًا ميتًا فقرنوه في حبل ، ثم ألقوه في بئر من آبار بني سلمة ، فيها عِذَرٌ من عِذر الناس ، ثم غدا عمرو فلم يجده في مكانه الذي كان به ، فخرج يتبعه حتى وجده في تلك البئر منكّسًا مقرونًا بكلب ميت ، فلما رآه وأبصر شأنه وكلّمه مَنْ أسلم من رجال قومه ؛ أسلم ﷺ ، وحسُن إسلامه ، فقال حين أسلم ، يذكر صنمه ، ويشكر الله تعالى الذي أنقذه مما كان فيه من العمى والضلالة :

والله لـو كنـت إلهًـا لم تكـنْ	أنت وكلبٌ وسْط بئر في قرنْ
الحمـد لله العلـيِّ ذي المِـنَن	الواهـب الـرَّزّاق ديَّان الـدِّيَنْ
هوالـذي أنقـذني مـن قبـل أن	أكـون في ظلمـة قـبر مُـرْتَهَنْ

ونقل ابن هشام عن أبي إسحاق قوله : والذين كسروا آلهة بني سلمة : معاذ بن جبل ، وعبد الله بن أنيس ، وثعلبة بن عنمة .

---

(1) سورة طه [٢٥-٣١] .
(2) سيرة ابن هشام ، ج١ ، ص ٤٥٢ ، ج١ ، ص ٦٩٩ ، وانظر أيضا الطبقات ، ج٣ ، ص٥٨٣ ، نقلا عن كتاب معاذ بن جبل ، لعبد الحميد طهماز ، سلسلة أعلام المسلمين ٢٥ ، دار القلم ، ص ١٨ - ٢١ .

٧ - ٨ : تعاون النساء في الدعوة وخدمة المسلمين :

لم يكن أمر التعاون مقصورًا على الرجال فيما بينهم ، فالنساء كنَّ يتعاونَّ في الدعوة إلى الخير ، ومن الأمثلة على تعاون النساء :

- نساء من بني غفار أردن الخروج مع رسول الله ﷺ إلى خيبر فقلن له : يا رسول الله قد أردنا أن نخرج معك على وجهك هذا ، فنداوي الجرحى ، ونعين المسلمين بما استطعنا ، فقال : ((**على بركة الله**)) (1) .

- وكانت أم طلحة وعائشة يحملن قِرب الماء على متونهن لسقيا المجاهدين ويداوين الجرحى .

٨ - أحاديث ومسائل في التعاون :

٨ - ١ قال ﷺ : ((ثلاثة حق على الله عونهم :

المجاهد في سبيل الله ، والمكاتب يريد الأداء ، والناكح الذي يريد العفاف)) (2).

٨ - ٢ : قال ﷺ : ((على كلُ مسلم صدقة : فقالوا :

يا نبي الله فمَنْ لم يجد؟ قال : يعمل بيده فينفع نفسَه ويتصدق ، قالوا : فإن لم يجد ؟ قال : يعينُ ذا الحاجة الملهوف ، قال : فإن لم يجد ؟ قال : فليعمل بالمعروف ، وليُمسك عن الشر ، فإنها له صدقة))(3).

قال ابن حجر - رحمه الله - (4) : ((وقوله : ((**على كل مسلم صدقة**)) ، أي على سبيل الاستحباب المتأكد أو على ما هو أعم من ذلك ، والعبارة صالحة للإيجاب والاستحباب كقوله ﷺ : ((**على المسلم ست خصال**)) فذكر منها ما هو مستحب اتفاقًا)) .

٨ - ٣ : جزاء التعاون على الباطل :

قال ﷺ : ((**من أعان على خصومة بظلم ، أو يعين على ظلم ، لم يزل في سخط الله حتى**

(1) رواه أحمد في مسنده ، ج٦ ، ص ٣٨٠ ، نقلا عن هذه أخلاقنا حين نكون مؤمنين حقًّا ، للخازندار ، ص ٢١٧ .
(2) صحيح سنن الترمذي للألباني ، حديث رقم ١٣٥٢ ، وقد حسنّه الألباني ، وهو أيضًا في سنن ابن ماجة ، حديث رقم ٢٥١٨ .
(3) رواه البخاري ، حديث رقم ١٤٤٥ .
(4) الفتح : ج ٣ ، ص ٣٠٨ .

ينزِع »[1] .

٨ ـ ٤ : تعاون الزوجين على أمور الآخرة :

في حديث ثوبان : قال عمر بن الخطاب ﷺ : يا رسول الله ! أيُّ المال نتخذ ؟ فقال : ليتخذ أحدُكم قلبًا شاكرًا ، ولسانًا ذاكرًا ، وزوجة مؤمنة ، تعين أحدكم على أمر الآخرة »[2] .

٨ ـ ٥ : سؤال إبراهيم ـ عليه السلام ـ إسماعيل معاونته على بناء البيت :

قال ﷺ : « قال : (أبي إبراهيم) : **يا إسماعيل ، إن الله أمرني بأمر ، قال : فاصنع ما أمرك ربُك ، قال : وتُعينني؟ قال : وأُعينك ، قال : فإن الله أمرني أن أبني ها هنا بيتًا – وأشار إلى أكمة مرتفعة على ما حولها – قال : فعند ذلك رفعا القواعد من البيت ، فجعل إسماعيل يأتي بالحجارة وإبراهيم يبني ، حتى إذا ارتفع البناء جاء بهذا الحجر فوضعه لهُ ، فقامَ عليه وهو يبني وإسماعيل يناوله الحجارة ، وهما يقولان : ﴿ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾**[3] ، **قال : فجعلا يبنيان حتى يدورا حول البيت وهما يقولان : ﴿ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾** »[4].

٨ ـ ٦ : ولا تعينوا الشيطان :

عن أبي هريرة ﷺ قال : « أتى النبيُ ﷺ برجل قد شَرِبَ ، قال : « **اضربوه** » قال أبو هريرة ﷺ : فمن الضارب بنعله والضارب بثوبه ، فلما انصرف قال بعض القوم : أخزاك الله ، قال ﷺ : « **لا تقولوا هكذا ، لا تعينوا عليه الشيطان** » »[5] .

وفي هذا الحديث إشارة إلى أن من التعاون على الإثم الكلمة الجارحة الخشنة التي تفرّق القلوب وتفتح الباب للشيطان ليلج منه ؛ ولهذا قال الله تعالى : ﴿ **وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلإِنْسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا**

---

(1) رواه ابن ماجة ، ج٢ ، ص ٥٢ ، وهو في السلسلة الصحيحة ، للألباني ، حديث رقم ١٠٢١ .
(2) حديث صحيح ، صحيح ابن ماجة ، للألباني ، حديث رقم ١٥٠٥ / ١٨٥٦ .
(3) سورة البقرة [١٢٧] .
(4) رواه البخاري في صحيحه ، حديث رقم ٣٣٦٥ ، وانظر الفتح ، ج ٦ ، ص ٣٩٨ ـ ٤٠٧ ، دار المعرفة .
(5) رواه البخاري في صحيحه ، كتاب الحدود ، باب الضرب بالجريد والنعال ، حديث رقم ٦٧٧٧ .

﴾(١) ؛ لهذا ففي رواية أبي داود زاد في آخر الحديث « **ولكن قولوا اللهم اغفر له ، اللهم ارحمه** » .

٨ - ٧ : سؤال الله المعونة على الأعداء :

قال رسول الله ﷺ في دعائه على كفار قريش : « **اللهمَّ أعني عليهم بسبع كسبع يوسف ، فأخذتهم سَنة حتى هلكوا فيها وأكلوا الميتة والعظام** » (٢).

- عن ابن عباس أن النبي ﷺ كان يقول في دعائه : « **رب أعني ولا تعن عليَّ وانصرني ولا تنصر عليَّ ، وامكر لي ولا تمكر عليّ ، واهدني ويسر الهدى لي ، وانصرني على من بغى عليَّ . رب! اجعلني لك شكّارًا ، لك ذكّارًا ، لك رهّابًا ، لك مطيعًا ، إليك مخبتًا ، إليك أوّاهًا منيبًا ، رب ! تقبل توبتي ، واغسل حوبتي وأجب دعوتي ، واهدِ قلبي ، وسدِدْ لساني ، وثبتْ حُجتي ، واسْلُلْ سخيمةَ قلبي** » (٣) .

(**رب أعني**) أي على الأعداء ، (**ولا تعن عليّ**) أي لا تعن الأعداء علي ، (**وامكر لي**) مكر الله إيقاع بلائه بأعدائه دون أوليائه ، وقيل : هو استدراج العبد بالطاعات فيتوهم أنها مقبولة ، وهي مردودة ، (**لك رهابًا**) أي خوافًا خاشعًا ، (**مخبتًا**) من الإخبات وهو الخشوع والتواضع (**أواهًا**) أي متضرعًا ، وقيل : بكاء (**منيبًا**) من الإنابة وهو الرجوع إلى الله بالتوبة ، (**حوبتي**) أي إثمي ، (**واسلل**) أي انزع ، (**السخيمة**) الحقد .

خامسا : بعض التطبيقات العملية المقترحة لتأكيد معاني الدرس :

١ - تكليف الطالب بأن يتعاون مع بعض إخوانه للقيام برحلة أو كتابة مسابقة ثقافية نافعة لإخوانه أو تحضير موضوع (التعاون العلمي) .

٢ - التعاون في الاستيقاظ لصلاة الفجر أو لقيام الليل ونحوهما : والدليل على الأول حديث أبي قتادة قال : « سرنا مع رسول الله ﷺ ونحن في سفر ذات ليلة ، فقلنا : يا رسول الله لو عرَست بنا ، فقال : « **إني أخاف أن تناموا عن**

---

(١) سورة الإسراء [٥٣] .
(٢) رواه الإمام البخاري ، في صحيحه ، كتاب التفسير ، باب ٣ تفسير سورة ٣٠ ، حديث رقم ٤٧٧٤ .
(٣) صحيح ، صحيح سنن ابن ماجة ، للألباني ، حديث رقم ٣٣٣٠/٣٠٨٨ .

الصلاة ، فمَنْ يوقظنا للصلاة » ، فقال بلال : أنا يا رسول الله »[1] الحديث .
(التعاون في الأمور التعبدية المحضة) .

والدليل على الثاني (التعاون على قيام الليل) : ما رواه جابر بن عبد الله ﷺ من قصة عباد بن بشر وصاحبه قال جابر : « قال الأنصاري للمهاجري : أيُّ الليل أحب إليك أن أكفيك أوَّله أو آخره؟ ، قال : اكفني أوّله ، فاضطجع المهاجري فنام وقام الأنصاري يصلي ... » الحديث[2] ، وأوضح منه دلالة حديث سلمان وأبي الدرداء في صحيح الإمام البخاري كتاب الأدب وغيره[3] .

٣ - التعاون في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

- توزيع شريط مؤثر ، توزيع كتاب نافع ، (التعاون الدعوي) .
- التعرف على بعض الناس ومحاولة ربطهم بصحبة صالحة .
- التعاون مع جماعة المسجد (حلقة قرآن - زيارة غافل) .

٤ - التعاون في جمع الصدقات والزكوات ، وإيصالها لمستحقيها .

- مساعدة الأرامل والأيتام وأصحاب الحاجات (التعاون المالي) .

٥ - التعاون مع بعض المؤسسات الخيرية الإغاثية مثل : الندوة العالمية للشباب الإسلامي ، وهيئة الإغاثة ونحوها .

سادسا : المراجع :

١- مسند الإمام أحمد ، مؤسسة قرطبة .
٢- صحيح سنن الترمذي ، الألباني ، مكتبة التربية .
٣- صحيح ابن ماجة ، الألباني ، مكتبة التربية .
٤- مشكاة المصابيح ، التبريزي ، ت الألباني ، المكتب الإسلامي .
٥- صحيح الإمام مسلم .
٦- فتح الباري ، ابن حجر ، دار المعرفة .
٧- صحيح الجامع الصغير وزيادته ، الألباني ، المكتب الإسلامي .
٨- جامع العلوم والحكم ، ابن رجب ، مؤسسة الرسالة ، ت الأرناؤوط .
٩- الجامع لأحكام القرآن ، القرطبي ، دار التراث العربي .

---

(١) رواه أحمد في مسنده ، ج ٥ ، ص ٣٠٧ ، حديث رقم ٢٢٦٦٤ .
(٢) رواه أحمد في مسنده ، ج٣ ، ص ٣٤٤ ، ٣٥٩
(٣) سبق تخريجه في مبحث الأخوة وغيره .

١٠- مختصر تفسير ابن كثير ، الصابوني ، دار القرآن الكريم .
١١- شرح رياض الصالحين ، ابن عثيمين ، دار الوطن .
١٢- الآداب الشرعية ، لابن مفلح ، مؤسسة قرطبة .
١٣- الأخلاق الإسلامية ، عبد الرحمن الميداني ، دار القلم ، ط٣ .
١٤- هذه أخلاقنا حين نكون مؤمنين حقًّا ، الخازندار ، دار طيبة ، ط١ .
١٥- موسوعة أخلاق القرآن ، الشرباصي ، دار الرائد العربي .
١٦- السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية ، مهدي رزق الله ، ط١ .
١٧- صفات الله - عز وجل - الواردة في الكتاب والسنة ، علوي السقاف ، دار الهجرة ، ط١ .
١٨- النهج الأسمى في شرح أسماء الله الحسنى ، محمد الحمود النجدي ، مكتبة الإمام الذهبي ، ط٢.
١٩- الصداقة في الإطار الشرعي ، د . عبد الرحمن الزنيدي ، مكتبة الوراق ، ط١ .
٢٠- التعاون على البر والتقوى ، أسعد محمد الصاغرجي ، دار القبلة للثقافة الإسلامية ، ط١ .
٢١- مع قصص السابقين في القرآن (٢) ، د . صلاح الخالدي ، دار القلم ، ط١ .
٢٢- لسان العرب ، لابن منظور .
٢٣- المعجم الوجيز ، مجمع اللغة العربية .
٢٤- السلسلة الصحيحة ، الألباني ، المكتب الإسلامي .
٢٥- غذاء الألباب شرح منظومة الآداب ، السفاريني ، دار الكتب العلمية .
٢٦- المعجم المفهرس لألفاظ الحديث ، ونسنك .
٢٧- موسوعة أطراف الحديث النبوي الشريف ، محمد السعيد زغلول ، دار الفكر ، ط١ .
٢٨- تيسير الوصول إلى مواضع الحديث في الكتب الأصول ، عبد الحميد محمد حسين ، دار الدعوة .
٢٩- معاذ بن جبل إمام العلماء ، ومعلم الناس الخير ، عبد الحميد طهماز ، دار القلم، ط١.
٣٠- تهذيب مدارج السالكين ، ابن قيم الجوزية ، دار السوادي .
٣١- فضل الله الصمد في توضيح الأدب المفرد ، فضل الله الجيلاني ، المكتبة السلفية ، ط٣.
٣٢- في ظلال القرآن ، سيد قطب ، دار الشروق ، ط٧ .

٣٣- المرقاة شرح المشكاة ، القاري ، المكتبة التجارية ، ت : العطار .
٣٤- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ، الهيثمي ، دار الكتاب العربي .
٣٥- دليل القاري إلى مواضع الحديث في صحيح البخاري ، العثيمان ، مؤسسة الرسالة ، ط ٢.

تفكر

التفكر

أولا : دلالة المصطلح :

أ - لغة :

الفِكر : إعمالُ الخاطِر في الشيء .

قال الجوهري : التفكر : التّأمُّلُ ، والاسمُ الفِكْرُ ، والمصدر الفَكْرُ ، بالفتح(١)، [وقيل الفتح فيه أفصح من الكسر] ، والفِكر : هو إعمال النظر في الشيء (٢) .

ب - اصطلاحا :

- قال ابن القيم - رحمه الله - في تعريف الفكرة في (منزلة الفِكرة) : ((تحديق القلب إلى جهة المطلوب التماسًا له))(٣) .

- وقال الشرباصي : ((التفكر بالمعنى الأخلاقي الإسلامي القرآني : هو أن ينظر الإنسان في الشيء على وجه العبرة والعظة ، لتقوية جوانب الخير والصلاح ، ومقاومة دواعي الشر والفساد))(٤) .

قال القرطبي - رحمه الله - في تفسير قوله تعالى : ﴿ **وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ** ﴾(٥) .. ((التفكر في قدرة الله تعالى ومخلوقاته والعِبر الذي بث ، ليكون ذلك أزيد في بصائرهم :

وفي كل شيءٍ له آيةٌ تدُلُّ على أنَه واحدُ))(٦) .

- قال الشيخ ابن عثيمين : ((التفكُر هو أن الإنسان يُعمل فكره في الأمر حتى يصل فيه إلى نتيجة))(٧) .

ج - المصطلحات والألفاظ المقاربة :

التدبر - التذكر - الاعتبار - النظر - التأمل - البصر .

- قال الغزالي في الإحياء : ((أما التدبر والتأمل والتفكر : فعبارات مترادفة على معنى واحد ليس تحتها معانٍ ، وأما اسم التذكر والاعتبار والنظر ، فهي مختلفة

---

(١) لسان العرب ، لابن منظور ، ج ٥ ، ص ٣٤٥١ ، دار المعارف .
(٢) موسوعة أخلاق القرآن ، ج١ ، ص ٢٢٦ .
(٣) تهذيب مدارج السالكين ، ص ١٠٥ ، ابن القيم ، دار السوادي .
(٤) موسوعة أخلاق القرآن ، للشرباصي ج ٢ ، ص ٢٢٦ .
(٥) سورة آل عمران [١٩١] .
(٦) الجامع لأحكام القرآن ، للقرطبي ، ج٤ ، ص ٣١٣ .
(٧) شرح رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين ، ج٢ ، ص ٥٣٦ .

المعاني وإن كان أصل المسمى واحد »(1) ، ومع وجود الاختلاف في معنى الاعتبار والنظر إلا أن النظر قد يطلق - أحيانًا - ويُراد به الاعتبار .

- قال الدامغاني - رحمه الله - : « [في الوجه الثالث لمعنى النظر في كتاب الله] النظر : الاعتبار ، وقوله تعالى في سورة الغاشية : ﴿ **أَفَلاَ يَنظُرُونَ إِلَى الإِبْلِ كَيْفَ خُلِقَتْ** ﴾(2) أفلا يعتبرون »(3) ، ولعل هذا هو المعنى المشترك الذي تتضمنه كل كلمة منها ، والذي أشار إليه ابن القيم(4) فذكر أن التفكر والتذكر والنظر والتأمل والاعتبار والتدبر والاستبصار معانٍ متقاربة تجتمع في شيء وتفترق في آخر .

ثانيا : الأهداف :

نهدف في عرض هذا الموضوع إلى عدة أهداف ، من أهمها :

١ - تعويد الطالب عبادة التفكر في مخلوقات الله - عز وجل - والتأمل في آيات الكون مما له الأثر في زيادة إيمانه .

٢ - تعظيم الرب - عز وجل - في قلب الطالب وذلك من خلال الوقوف على عظيم صنعه وحِكم تدبيره ، مما له الأثر في تقوية الخوف منه وخشيته : ﴿ **إِنَّمَا يَخْشَى اللهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ** ﴾ (5).

على قدر علم المرء يعظم خوفُه   وما عالم إلا من الله خـائفُ

٣ - معرفة الطالب حقيقة نفسه وضعفها وفقرها وحاجتها لخالقها - عز وجل - مما يورثه الذل والانكسار بين يدي خالقه - عز وجل .

٤ - ربط القلب بالله - عز وجل - وذلك بتعويد الطالب على تذكر الخالق - عز وجل - في كل ما يراه حوله من مخلوقات الله - عز وجل - فيتصل الذكر مع التفكر في إحياء القلب من غفلته .

ثالثا : عناصر الموضوع :

١- أهمية الموضوع وضرورته .

---

(1) الإحياء ، للغزالي ، ج ٤ ، ص ٤٢٦ ، ، للتوسع انظر الفروق التي أوردها بين معاني التذكير والاعتبار والنظر .
(2) سورة الغاشية [١٧] .
(3) قاموس القرآن أو إصلاح الوجوه والنظائر في القرآن الكريم ، الدامغاني ، ص ٤٥٩ ، دار العلم للملايين ، ط٣ .
(4) مفتاح دار السعادة ، ج١ ، ص ١٨٢ ، دار الفكر(العبارة بتصرف) وقد بيَّن معانيها فلتراجع هناك حتى لا نطيل .
(5) سورة فاطر [٢٨] .

٢- حكمه ومشروعيته .
٣- فضل التفكر ومنزلته .
٤- مجالات التفكر .
٥- أمثلة على بعض مجالات التفكر .
٦- ضوابط التفكر .
٧- مما يعين على التفكر .
٨- أحاديث لا تصح في التفكر .
٩- مسائل في التفكر .

رابعا : العرض :

١ - أهمية الموضوع وضرورته :

١ - إن موضوع التفكر من الموضوعات التي ينبغي الاهتمام بها والتوسع فيها والاستزداة منها لما له من المنزلة الجليلة والثمرات العظيمة والتي بها سعادة العبد في الدنيا والآخرة ، وعرضنا لهذا الموضوع من الأهمية بمكان لأسباب منها :

١ - ١ : ورود آيات كثيرة في كتاب الله - عز وجل - تأمر به وتحث عليه ، ومع هذا فإن بعض الصالحين قد قصّروا في هذه العبادة الشريفة ، ولم يعطوا قلوبهم حقها من التأمل في عجائب صنعه - عز وجل - وبدائع تدبيره .

١ - ٢ : إن التفكر من أكبر أسباب زيادة الإيمان في القلوب كما أنه من أسباب حصوله ابتداءً كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - عندما سُئل عن الإيمان ((هل يكون لأول حصوله سبب ؟ فقال : فلا ريب أنه يحصل بسبب مثل استماع القرآن .. ومثل النظر في آيات الله ومثل التفكر في أحوال الإنسان نفسه ..)) [١] ؛ وذلك لأن ما في هذا الكون من مخلوق من المخلوقات بل ولا حركة من الحركات ولا تسكينة من السكنات إلا وهي شاهدة على وجوده ووحدانيته كما قال القائل :

ولله في كل تسكينة وتحريكة أبدًا شاهد
وفي كل شيء له آية تدل على أنه واحد

١ - ٣ : إن التفكر يطلع الإنسان على حقيقة نفسه ، فيعرف خباياها وأسرارها زكاتها وفجورها ، إقدامها وإحجامها ، ولهذا قال الفضيل - رحمه الله - : ((الفكر

---

(١) الفتاوى ، ج ٧ ، ص ٦٥٠ .

مـرآة تريك حسناتك وسيئاتك))[1]. ((وبينما أبو شريح يمشي إذ جلس فتقنع بكسائه فجعل يبكي . فقيل له : ما يبكيك؟ قال : تفكرت في ذهاب عمري وقلة عملي واقتراب أجلي))[2].

١ - ٤ : إن التفكر يربط العبد بخالقه ، ويزيد من خوفه منه وخشيته له ، ويورثه مراقبته والاستحياء منه ، ويحول بينه وبين الانصراف عنه أو الالتفات إلى غيره ، قال حاتم : ((من العبرة يزيد العلم ، ومن الذكر يزيد الحب ، ومن التفكر يزيد الخوف))[3] .

١ - ٥ : إن التفكر يثمر لصاحبه التزامه بالطاعات والترفع عن المعاصي والسيئات ، إذ إن العبد إذا تفكر بنعمة الله عليه وآلائه انبعث لشكرها بطاعته وإذا تذكر إحاطته وعلمه ونظره استحيا أن يراه خالقه عاكفًا على معصية ، قال بشر : ((لو تفكر الناس في عظمة الله ما عصوا الله عز وجل))[4]، وقال ابن عباس - رضي الله عنهما - : ((التفكر في الخير يدعو إلى العمل به ، والندم على الشر يدعو إلى تركه)) [5] .

١ - ٦ : إن التفكر يورث العلم الذي هو قائد العمل وإمامُه ؛ ولهذا قال وهب بن منبه : ((ما طالت فكرة امرئ قط إلا علم ، وما علم امرؤ قط إلا عمل)) بل يعتبر الشافعي - رحمه الله - أن التفكر وسيلة للاستنباط ودليل على الحزم والفطنة فيقول : ((استعينوا على الكلام بالصمت وعلى الاستنباط بالفكر)) ، وقال أيضًا : ((صحة النظر في الأمور نجاة من الغرور والعزم في الرأي سلامة من التفريط والندم ، والروية والفكر يكشفان عن الحزم والفطنة ، ومشاورة الحكماء ثبات في النفس وقوّة في البصيرة ففكر قبل أن تعزم ، وتدبر قبل أن تهجم ، وشاور قبل أن تقدم))[6] .. قال ابن القيم - رحمه الله - : ((التفكر والتذكر بذار العلم ، وسقيه مطارحته ، ومذاكرته تلقيحه))[7] .

١ - ٧ : إن التفكر يحيي القلب ويوقظه ، قال أبو سليمان الداراني : ((الفكر في الآخرة يورث الحكمة ويحيي القلوب))[8] ؛ ذلك لأن بالتفكر تكون العبر التي هي غذاء القلب الذي يحيا به ، وقد كان سفيان بن عيينة كثيرًا ما يتمثل بقول القائل :

---

(١) الإحياء ، ج ٤ ، ص ٤٢٤ .
(٢) المرجع السابق ، ج ٤ ، ص ٤٢٥ ، وانظر للتوسع ، مفتاح دار السعادة ، ج١ ، ص ٢٩٠، لابن قيم الجوزية.
(٣) المرجع السابق ، ج٤ ، ص ٤٢٥ .
(٤) الترغيب والترهيب ، للأصبهاني ، ج١ ، ص ٣٩٣ - ٣٩٤ ، ت أيمن شعبان ، دار زمزم .
(٥) الإحياء ، ج ٤ ، ص ٤٢٥ .
(٦) المرجع السابق ، ص ٤٢٥ .
(٧) مفتاح دار السعادة ، ج١ ، ص ١٨٣ .
(٨) الإحياء ، ج ٤ ، ص ٤٢٥ .

إذا المرء كانت له فكرة ففي كل شيء له عبرة

وتزداد اليقظة عندما يتوالى التفكر والذكر على القلب ساعة وساعة ؛ ولهذا قرن الله
-عز وجل - التفكر والذكر في آيات سورة آل عمران : ﴿ **إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لأُولِي الألْبَابِ ، الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ** ﴾(1) فأورثهم التفكر والذكر إنابة وذلاً وخضوعًا لله - عز وجل- تمثل جليا في عبادة الدعاء - والله أعلم .

٢ - حكم التفكر ومشروعيته :

قد أمر الله - عز وجل - بالتفكر في مخلوقاته والتأمل في بديع صنعه والنظر في آياته الشاهدة على وجوده ووحدانيته . قال - عز وجل : ﴿ **أَفَلاَ يَنظُرُونَ إِلَى الإِبْلِ كَيْفَ خُلِقَتْ * وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ * وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ * وَإِلَى الأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ * فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ** ﴾(2) ، وقال : ﴿ **أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَيَنظُرُوا** ﴾(3) ، وقال : ﴿ **قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُمْ بِوَاحِدَةٍ أَن تَقُومُوا للهِ مَثْنَى وَفُرَادَى ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا** ﴾(4) ، وقال تعالى : ﴿ **أَوَ لَمْ يَتَفَكَّرُوا** ﴾(5) ، وقال تعالى : ﴿ **أَوَ لَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللهُ مِن شَيْءٍ وَأَنْ عَسَى أَن يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ** ﴾(6) قال القرطبي - رحمه الله تعالى - : ((استدل بهذه الآية - وما كان مثلها من قوله تعالى : ﴿ **قُلِ انْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ** ﴾(7) وقوله تعالى : ﴿ **أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا** ﴾(8) ، من قال بوجوب النظر في آياته والاعتبار بمخلوقاته . قالوا : وقد ذم الله - تعالى - من لم ينظر ، وسلبهم الانتفاع بحواسهم فقال : ﴿ **لَهُمْ قُلُوبٌ لاَّ يَفْقَهُونَ بِهَا** ﴾ (9) الآية))(1) .

---

(1) سورة آل عمران [١٩٠-١٩١] .
(2) سورة الغاشية [١٧-٢١] .
(3) سورة يوسف [١٠٩] .
(4) سورة سبأ [٤٦] .
(5) سورة الأعراف [١٨٤] .
(6) سورة الأعراف [١٨٥] .
(7) سورة ق [٦] .
(8) سورة يونس [١٠١] .
(9) سورة الأعراف [١٧٩] .

وسواء قيل بالوجوب أم بالاستحباب فإن الإعراض عن هذه العبادة - بلا شك - مصيبة ، إذ إنها إشارة إلى غفلة القلب وإعراضه عن ربه ، وقد جعل اللهُ - عز وجل - الإعراض عن التفكر عقوبة من العقوبات التي تلحق المتكبرين والحائدين عن طريق الحق ، قال تعالى : ﴿ سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ ﴾(٢). قال الإمام الطبري - رحمه الله - : ((سأمنع فهم الحجج والأدلة الدالة على عظمتي ، قلوب المتكبرين عن طاعتي ، عقوبة لهم على تكبرهم ، فهم عن الاعتبار والادِّكار مصروفون))(٣) ، وقال الغربائي في تأويل هذه الآية : ((قال : أمنع قلوبهم عن التفكر في أمري))(٤) ؛ ولهذا فقد دعا السلف إلى التفكر ، فقال الفضيل بن عياض - رحمه الله - : ((تفكروا واعملوا من قبل أن تندموا ولا تغتروا بالدنيا ، فإن صحيحها يسقم ونعيمها يفنى ، وشبابها يهرم)).

٣ - فضل التفكر ومنزلته :

تبدو فضيلة التفكر من خلال الآيات الكثيرة التي أمرت به وحثت عليه ودعت إليه وأثنت على أصحابه فقال - عز وجل - : ﴿ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾ (٥).

ولقد عدَّ علماء الإسلام التفكر من أفضل العبادات ، قال أبو الدرداء : ((تفكر ساعة خير من قيام ليلة)) (٦) ، وقال عمر بن عبد العزيز : ((الفكرة في نعم الله - عز وجل - من أفضل العبادة)) ، ومجالس التفكر من أشرف المجالس . قال الجنيد - رحمه الله - : ((أشرف المجالس وأعلاها الجلوس مع الفكرة في ميدان التوحيد ، والتنسم بنسيم المعرفة والشرب بكأس المحبة من بحر الوداد والنظر بحسن الظن بالله - عز وجل - ثم قال : يا لها من مجالس ما أجلها !! ، ومن شراب ما ألذه ! .. طوبى لمن رزقه))(٧).

ويكفي التفكر شرفًا أنه مفتاح العمل ؛ ولهذا قال وهب بن منبه : ((ما طالت فكرة امرئ قط إلا علم ، وما علم امرؤ قط إلا عمل)) ويزيد ابن القيم هذا القول وضوحًا

---

(١) الجامع لأحكام القرآن ، للقرطبي ، ج ٧ ، ص ٢٣١٠ - ٣٣١ .
(٢) سورة الأعراف [١٤٦] .
(٣) مختصر تفسير الطبري ، للصابوني ، ج ١ ، ص ٢٨٣ ، دار القرآن الكريم ، ط ١ .
(٤) الترغيب والترهيب ، للأصبهاني ، ج ١ ، ص ٣٩٤ .
(٥) سورة آل عمران [١٩١] .
(٦) رواه الأصبهاني ، في الترغيب والترهيب ، بإسناد حسن ، حديث رقم ٦٧٧ .
(٧) الإحياء ، ج٤ ، ص ٤٢٥ .

بذكر المراحل التي بين التفكر والعمل فيقول : فها هنا خمسة أمور :

١ - الفكر .

٢ - وثمرته العلم .

٣ - وثمرتهما الحالة التي تحدث للقلب .

٤ - الإرادة .

٥ - العمل .

فالفكر إذاً هو المبدأ والمفتاح للخيرات كلها ، وهذا يكشف لك عن فضل التفكر وشرفه ، وأنه من أفضل أعمال القلب وأنفعها له حتى قيل : تفكر ساعة خير من عبادة سنة .

فالفكر هو الذي ينقل من موت الفطنة إلى حياة اليقظة ومن المكاره إلى المحاب ، ومن الرغبة والحرص إلى الزهد والقناعة ومن سجن الدنيا إلى فضاء الآخرة ، ومن ضيق الجهل إلى سعة العلم ورحبه ، ومن مرض الشهوة والإخلاد إلى هذه الدار إلى شفاء الإنابة إلى الله والتجافي عن دار الغرور ، ومن مصيبة العمى والصمم والبكم إلى نعمة البصر والسمع والفهم عن الله والعقل عنه ، ومن أمراض الشبهات إلى برد اليقين وثلج الصدور (وبالجملة) فأصل كل طاعة إنما هي الفكر وكذلك أصل كل معصية إنما يحدث من جانب الفكر ، فإن الشيطان يصادف أرض القلب خالية فارغة فيبذر فيها حب الأفكار الرديَّة فيتولد منه الإرادات والعزوم فيتولد منها العمل ، فإذا صادف أرض القلب مشغولة ببذر الأفكار النافعة فيما خلق له وفيما أمر به وفيما هيئ له وأعد له من النعيم المقيم أو العذاب الأليم لم يجد لبذره موضعًا وهذا كما قيل :

((**أتاني هواها قبل أن أعرف الهوى فصادف قلبًا فارغًا فتمكنا**))(٢)

٤- مجالات التفكر :

ويقصد بها المتفكَّر فيه ، إذ التفكر بغير مُتَفكَّر فيه محال ، فما هي الأمور التي ينبغي للعبد أن يتفكر فيها وتكون محل فكرته ومكان نظره ؟ .. إليك مخطط يوضح بعض ما ذكره الإمامان الغزالي وابن القيم - رحمهما الله تعالى - في مجاري الفكر ذاكرًا بعض الإضافات مغفلاً بعض الاستطرادات التي أرى أنه يمكن الاستغناء عنها :

---

(٢) مفتاح دار السعادة ، ج ١ ، ص ١٨٣ .

٥ ـ أمثلة على بعض مجالات التفكر :

٥ ـ ١ : فمن أمثلة التفكر بمخلوقات الله الدالة على عظيم صنعته وعجائب قدرته :

أ - « ﴿وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلاَ تُبْصِرُونَ ﴾[1]، ﴿فَلْيَنظُرِ الإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ ﴾[2] .. فلنقف متفكرين عند « النطفة» التي أمرنا الله بالتفكر فيها في أكثر من موضع في كتابه ، فانظر إليها بعين البصيرة وهي قطرة من ماء مهين ضعيف مستقذر لو مرت بها ساعة من الزمان فسدت وأنتنت ، كيف استخرجها رب الأرباب العليم القدير من بين الصلب والترائب منقادة لقدرته مطيعة لمشيئته مذللة الانقياد على ضيق طرقها واختلاف مجاريها إلى أن ساقها إلى مستقرها ومجمعها ؟ وكيف جمع - سبحانه - بين الذكر والأنثى وألقى المحبة بينهما ؟ وكيف قادهما بسلسلة الشهوة والمحبة إلى الاجتماع الذي هو سبب تخليق الولد وتكوينه ؟ وكيف قدر اجتماع ذينك الماءين مع بعد كل منهما عن صاحبه وساقهما من أعمال العروق والأعضاء وجمعهما في موضع واحد جعل لهما قرارًا مكينًا لا يناله هواء يفسده ، ولا برد يجمّده ولا عارض يصل إليه ، ولا آفة تتسلط عليه ثم قلب تلك النطفة البيضاء المشربة علقة حمراء تضرب إلى سواد ، ثم جعلها مضغة لحم مخالفة للعلقة في لونها وحقيقتها وشكلها ، ثم جعلها عظامًا مجردة لا كسوة عليها مباينة للمضغة في شكلها وهيئتها وقدرها وملمسها ولونها ، (وانظر) كيف قسم تلك الأجزاء المتشابهة المتساوية إلى الأعصاب والعظام والعروق والأوتار واليابس واللين وبين ذلك؟ ، وكيف ربط بعضها ببعض أقوى رباط وأشده وأبعده عن الانحلال؟ وكيف كساها لحمًا ركبه عليها وجعله وعاء لها وغشاء وحافظًا وجعلها حاملة له مقيمة له ، فاللحم قائم بها وهي محفوظة به؟ وكيف صَوَّرها فأحسن صورها وشق لها السمع والبصر والفم والأنف وسائر المنافذ ومد اليدين والرجلين وبسطهما ، وقسم رؤسهما بالأصابع ثم قسم الأصابع بالأنامل وركب الأعضاء الباطنة من القلب والمعدة والكبد والطحال والرئة والرحم والمثانة والأمعاء كل واحد منها له قدر يخصه ومنفعة تخصه»[3] .

قال القرطبي - رحمه الله - : « فعلى العاقل أن ينظر إلى نفسه ويتفكر في خلقه من حين كونه ماءً دافقا إلى كونه خلقا سويا ، يُعان بالأغذية ، ويُربَّى ، ويُحفظ باللين حتى يكتسب القوى ويبلغ الأشد ، وإذا هو قد قال : أنا وأنا ، ونسي حين أتى عليه

---

(1) سورة الذاريات [٢١] .
(2) سورة عبس [٢٤] .
(3) مفتاح دار السعادة ، لابن القيم ، ج ١ ، ص ١٨٧ ـ ١٨٨ ، للتوسع ، انظر المرجع نفسه ، فقد ذكر الكثير من العبر في خلق الإنسان وتركيبه .

حين من الدهر لم يكن شيئًا مذكورًا ، وسيعود مقبورًا ، فيا ويحه إن كان محسورًا . قال الله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ مِن سُلاَلَةٍ مِّن طِينٍ ، ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴾[1] إلى قوله تعالى : ﴿ تُبْعَثُونَ ﴾[2] ، فينظر أنه عبد مربوب مكلف ، مخوّف بالعذاب إن قصّر ، مرتجيًا بالثواب إن ائتمر ، فيُقبل على عبادة مولاه فإنه وإن كان لا يراه ، يراه ، ولا يخشى الناس والله أحق أن يخشاه ، ولا يتكبر على أحد من عباد الله ، فإنه مؤلف من أقذار ، مشحون من أوضار [الأوضار : الأوساخ] ، صائر إلى جنة إن أطاع أو إلى نار ، وقال ابن العربي : وكان شيوخنا يستحبون أن ينظر المرء في الأبيات الحكيمة التي جمعت هذه الأوصاف العلمية :

كيف يَزْهُو من رجِيعه أبد الدهر ضجيعُه

فهو منه وإليه وأخوه ورضيعُه

وهو يدعوه إلى الحش بصُغْرٍ فيطيعُه

ب - التفكر في خلق السماوات والأرض والكواكب والنجوم ، فقد أمر الرسول ﷺ مَنْ قرأ آيات سورة آل عمران ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ ﴾[3] بالتفكر فيها وتدبر معانيها ، فعن عائشة - رضي الله عنها - : « وقد سُئلت عن أعجب أمر رأته من رسول الله ﷺ فقالت : كل أمره كان عجبًا أتاني في ليلتي حتى مس جلده جلدي ثم قال : « **ذريني أتعبد لربي** » ، قالت : والله إني لأحب قربك وإني لأحب أن تعبد ربَّك ، فقام إلى القربة فتوضأ ولم يكثر صب الماء ، ثم قام يصلي فبكى حتى بلَّ لحيته ، ثم سجد وبكى حتى بلَّ الأرض ثم اضطجع على جنبه فبكى إذ أتاه بلال يوقظه لصلاة الصبح ، قالت : فقال : يا رسول الله ما يبكيك وقد غفر الله لك ذنبك ما تقدم منه وما تأخر قال : « **ويحك يا بلال ، وما يمنعني أن أبكي وقد أنزل عليَّ هذه الليلة ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لأُوْلِي الأَلْبَابِ ﴾**[4] » ، ثم قال :

---

(1) سورة المؤمنون [١٢-١٣] .
(2) سورة المؤمنون [١٦] .
(3) سورة البقرة [١٦٤] .
(4) سورة آل عمران [١٩٠] .

((ويل لمن قرأها ولم يتفكر فيها))(١) .

فتأمل عجائب خلقه - سبحانه - في السماوات ، وكيف رفعها بلا عمدٍ من تحتها ولا علائق من فَوقها مع عظمها وعظم ما فيها ؟ ﴿ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا وَأَلْقَى فِي الأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ وَأَنْزَلْنا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ، هَذَا خَلْقُ اللهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِن دُونِهِ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلاَلٍ مُّبِينٍ ﴾(٢) ، ثم أَطلق لقلبك العنان ليرى بعين بصيرته ما فوق هذه السماوات ، فينظر إلى عرش الرحمن ليرى سعته وعظمته وجلاله ومجده ورفعته ، ويرى السماوات السبع والأرضين السبع بالنسبة إليه كحلقة ملقاة بأرض فلاة ويرى الملائكة حافين من حوله لهم زجل بالتسبيح والتحميد والتقديس والتكبير والأمر ينزل من فوقه بتدبير الممالك ، والجنود التي لا يعلمها إلا ربها وملكها فينزل الأمر بإحياء قوم وإماتة آخرين ، وإعزاز قوم وإذلال آخرين ، وإسعاد قوم وشقاوة آخرين ، وإنشاء ملك وسلب ملك ، وتحويل نعمة من محل إلى محل ، وقضاء الحاجات على اختلافها وتباينها وكثرتها من جبر كسر ، وإغناء فقير وشفاء مريض ، وتفريج كرب ومغفرة ذنب ، وكشف ضر ونصر مظلوم وهداية حيران وتعليم جاهل ورد آبق وأمان خائف وإجارة مستجير ، ومدد لضعيف وإغاثة لملهوف وإعانة لعاجز ، وانتقام من ظالم وكف العدوان فهي مراسيم دائرة بين العدل والفضل والحكمة والرحمة تنفذ في أقطار العوالم لا يشغله سمع شيء منها عن سمع غيره ولا تغلطه كثرة المسائل والحوائج على اختلافها وتباينها واتحاد وقتها ، ولا يتبرم بإلحاح الملحين ولا تنقص ذرة من خزائنه لا إله إلا هو العزيز الحكيم ، فحينئذ يقوم القلب بين يدي الرحمن مطرقًا لهيبته خاشعًا لعظمته عانيًا لعزته فيسجد بين يدي الملك الحق المبين سجدة لا يرفع رأسه منها إلى يوم المزيد ، فهذا سفر القلب وهو في وطنه وداره ومحل ملكه ، وهذا من أعظم آيات الله وعجائب صنعه فياله من سفر ما أبركه وأروحه وأعظم ثمرته وربحه وأجل منفعته وأحسن عاقبته سفر هو حياة الأرواح ومفتاح السعادة وغنيمة العقول والألباب لا كالسفر الذي هو قطعة من العذاب .

(فصل) وإذا نظرت إلى الأرض وكيف خلقت رأيتها من أعظم آيات فاطرها وبديعها ، خَلَقَها - سبحانه - فراشًا ومهادًا وذلَّلها لعباده ، وجعل فيها أرزاقهم وأقواتهم ومعايشهم وجعل فيها السبل لينتقلوا فيها في حوائجهم وتصرفاتهم ، وأرساها

---

(١) الترغيب والترهيب للأصبهاني ، ج١ ، ص٣٨٧ ، قال المحقق : صحيح ، صححه ابن حبان ، موارد الظمآن ٥٢٣ ، أخرجه من طريق عطاء به ، وفي تفسير الأساس في التفسير ((لسعيد حوى)) قال : رواه عبد بن حميد ، وابن أبي حاتم ، وابن حبان في صحيحه عن عطاء ، الأساس في التفسير ، ج١ ، ص ٩٦٨.
(٢) سورة لقمان [١٠-١١] .

بالجبال فجعلها أوتادًا تحفظها لئلا تميد بهم ووسع أكنافها ، ودحاها فمدها وبسطها وطحاها فوسعها من جوانبها وجعلها كفاتا للأحياء تضمهم على ظهرها ما داموا أحياء وكفاتًا للأموات تضمهم في بطنها إذا ماتوا فظهرها وطن للأحياء وبطنها وطن للأموات ، وقد أكثر - تعالى - من ذكر الأرض في كتابه ودعا عباده إلى النظر إليها والتفكر في خلقها فقال تعالى : ﴿ **وَالأَرْضَ فَرَشْنَاهَا فَنِعْمَ الْمَاهِدُونَ** ﴾(1) ، ﴿ **اللهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ قَرَارًا** ﴾(2) ، ﴿ **الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ فِرَاشًا** ﴾(3) ، ﴿ **أَفَلاَ يَنظُرُونَ إِلَى الإِبْلِ كَيْفَ خُلِقَتْ * وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ * وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ * وَإِلَى الأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ** ﴾ (4) .

« ثم هاك بعض ما ذكره علماء الفلك عن بعض ما زيَّن الله به هذه السماء من الكواكب . إن نور شمسنا يبلغ بتقدير العلماء (ثلاثة آلاف مليون مليون مليون شمعة) ولكن نور النجم المسمى (الشعرى اليمانية) أقوى من نور شمسنا بـ ٢٦ مرة ، وهناك نجومٌ نورها أقوى من نور شمسنا بـ ٥٠٠ ألف مرة ، أما أحجام النجوم الكبرى وأوزانها فهائل جدًّا فحجم أرضنا هو أكثر من مليون مليون كيلو متر مكعب والشمس في حجمها أكبر من أرضنا (بمليون و ٣٠٠ ألف مرة) ، وهناك نجم يسمى (منكب الجوزاء) أعظم من حجم الشمس بمئة مليون مرة تقريبًا .

وأقرب نجم إلينا بعد الشمس يبعد عن الأرض أربع سنوات ضوئية ، ومعنى ذلك أنه يبعد عنا ٢٣ مليون مليون ميل ، هذا شيء هائل ، ولكنه تافه بالنسبة للنسر الطائر يبعد عنا ١٤ سنة ضوئية ، والنسر الواقع الذي يبعد عنا ٣٠ سنة ضوئية ، والسماك الرامح الذي يبعد عنا ٥٠ سنة ضوئية ، أي ٢٩٤ مليون مليون ميل ، وهذا أيضًا تافه بالنسبة للنجوم التي تبعد عنا ألف سنة ضوئية .

ووراء مجرتنا هذه سدم منها سديم المرآة المسلسلة الذي يبعد عنا مليون سنة ضوئية ووراءه من السدم ما هو أبعد في تقدير العلماء ، ويكفينا ما عبر به الخلاق العظيم عن سعة السماء ﴿ **وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ** ﴾(5) .

أما عدد النجوم فإن العلماء يقدرون عدد النجوم في المجرة التي نحن من عالمها

---

(1) سورة الذاريات [٤٨] .
(2) سورة غافر [٦٤] .
(3) سورة الغاشية [١٧-٢٠] .
(4) مفتاح دار السعادة ، لابن القيم ، ج١ ، ص١٩٩ - ٢٠٠ ، انظر القرطبي في التفسير ، ج٧ ، ص٣٣٣ - ٣٣٤، الإحياء ، ج٤ ، وللتوسع رحلة القلب السليم ، لمحمد العلي .
(5) سورة الذاريات [٤٧] .

بثلاثين مليارًا في مجرتنا وحدها والتي نسميها (درب التبان) . وإن حقائق العلم الصحيح لا يمكن أن تتنافى مع حقائق الدين الإسلامي العظيم ، فالكون خلق الله والقرآن كلام الله ، وكلاهما شهادة ودليل على المبدع تبارك وتعالى))(١) .

٥ ـ ٢ : التفكر بالموت والوعد والوعيد :

((ومما ينبغي أن يشغل المرء به تفكيره الموت وسكراته ، والاحتضار وكرباته ، ثم القبر وظلمته واللحد وضغطته والصور ونفخته والحشر وكربته والحساب ودقته والصراط بكلاليبه وظلمته وحدَّته فيا ويحك إن كنت مثبورًا ، ويا ويلك إن كنت يؤمئذ محسورًا ، ويا سعادتك إن كنت فرحًا مسرورًا ، وما أعظم حبورك إن كنت فائزًا فخورًا تنادي بأعلى صوتك : ﴿ هَاؤُمُ اقْرَؤُوا كِتَابِيَهْ * إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلاَقٍ حِسَابِيَهْ ﴾(٢)(٣)، ولابد أن يفرّغ القلب من شواغله الدنيوية بقلب فارغ بل بقلب مشغول بشهوة الدنيا فلا ينجع ذكر الموت في قلبه))(٤) ، فلابد من سلامة التفكر من الآفات لكي تثمر البصيرة التي ترى مشاهد الآخرة كأنها رأي عين وهذا ما نبه إليه ابن القيم حين قال : ((فإذا صحت فكرته أوجبت له (البصيرة) فهي نور في القلب يبصر به الوعد والوعيد ، والجنة والنار ، وما أعد الله في هذه لأوليائه ، وفي هذه لأعدائه ، فأبصر الناس وقد خرجوا من قبورهم مُهطِعين لدعوة الحق ، وقد نزلت ملائكة السماوات والأرض فأحاطت بهم ، ووُضِع الكتاب ، وجيء بالنبيين والشهداء ، وقد نُصِب الميزان ، وتطايرت الصُّحف ، واجتمعت الخصوم ، وتعلَّق كل غريم بغريمه ولاح الحوض وأكوابه عن كَثَب ، وكثر العطاش وقل الوارد ، ونُصِب الجسر للعبور ، ولزّ الناس إليه ، وقسمت الأنوار دون ظلمته للعبور عليه ، والنارُ يَحْطِم بعضها بعضًا تحته ، والمتساقطون فيها أضعافُ أضعاف الناجين .

فينفتح في قلبه عين يرى بها ذلك ، ويقوم بقلبه شاهد من شواهد الآخرة يريه الآخرة ودوامها ، والدنيا وسرعة انقضائها))(٥) .

٥ ـ ٣ : التفكر في التقصير (الذنوب والمعاصي) :

ينبغي أن يتفكر في ذنوبه ومعاصيه ؛ فينظر إلى جوارحه كلها فيرى هل هي ملابسة

---

(١) رحلة القلب السليم في رحمة الله - عز وجل - ص ٣٣ ، محمد صفوك العلي ، مكتبة دار العيان ببريدة.
(٢) سورة الحاقة [١٩-٢٠] .
(٣) راجع للتوسع ، كتاب التذكرة للقرطبي ، والرقائق للراشد ، واحات الإيمان للبلالي ، الإحياء ، ج٤ ، ص ٤٥٠ ـ ٤٥٠ .
(٤) الإحياء ، ج٤ ، ص ٤٥١ .
(٥) تهذيب المدارج ، ص ١٠٦ .

لمعصية فيتركها ويعاهد الله على عدم العود إليها ، ويستعد للاحتراز منها والتباعد عنها في مستقبله .

فينظر - على سبيل المثال - في اللسان هل تعرَّض للغيبة والكذب وتزكية النفس والاستهزاء بالغير والمماراة والخوض فيما لا يعني .. إلى غير ذلك من المكاره فيتفكر في شواهد القرآن والسنة في التحذير منها وشدة العذاب فيها ، ثم يستغفر ويتوب ويدعو الله أن يقبل توبته ويغسل حوبته ويعينه على الاستقامة وصدق التوبة والإنابة ، ثم يتفكر كيف يحترز من هذه الذنوب كأن يلزم نفسه ألا يصاحب إلا صالحًا تقيًّا وأن يتصدق كلما نَبَتْ منه كلمة غيبة أو مقالة كذب .. وهكذا يمرُّ على سمعه وعلى بصره وبطنه فيتفكر في السيئات التي ارتكبها ثم يحدث توبة ثم يتفكر في السبل التي تقيه الرجوع إليها في المستقبل وتجعل من توبته توبة نصوحًا [1] .

ثم ينظر إلى نفسه بالجملة ، فيتفكر في تقصيره في دعوته وتكاسله في نشر الخير بين أهله وأقاربه ، وأهل حيِّه وعمله ، فينظر أسباب هذا القعود : أهو انشغال بالأهل والأولاد ، أم بالمال والعقار؟ ثم ليتذكر قول الحق عز وجل : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَخُونُوا اللهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ * وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلاَدُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ اللهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ** ﴾[2] ، وغيرها من الآيات الزاجرة الرادعة .. ثم ليعاهد ربه على القيام بدعوته ونشر سنّة نبيه ﷺ ، مستعينًا - بعد الله - بإخوانه الصالحين والدعاة العاملين ، يناصرهم ويناصحونه ، ويتعاون معهم ويساعدونه على أمور دينه ودنياه .

٥ - ٤ : التفكر في العبادات (الطاعات أو القربات) :

((فينظر أولا في الفرائض المكتوبة عليه كيف يؤديها ، وكيف يحرسها عن النقصان والتقصير أو كيف يجبر نقصانها بكثرة النوافل ؟))[3] ، وهكذا .. قال الشيخ ابن عثيمين : ((ينبغي للإنسان إذا قام لله بعمل أن يتفكر ماذا فعل في هذا العمل : هل قام به على الوَجْه المطلوب ، وهل قصر ، وهل زَادَ ، وماذا حصل له من هذا العمل من طهارة القلب وزكاء النَّفس وغير ذلك ، لا يكن كالذي يُؤدِّي أعماله الصالحة وكأنَّها عادات يفعلها كل يوم بل تُفكِّر ماذا حصل لك من هذه العبادة وماذا أثرت على قلبك وعلى استقامتك .

ولنضرب لهذا مثلاً بالصلاة قال الله - تبارك وتعالى - : ﴿ **وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ**

---

(١) انظر الإحياء ، ج٤ ، ص ٤٢٨ - ٤٢٩ ، وانظر أيضًا تهذيب مدارج السالكين ، ص ١٠٢ .
(٢) سورة الأنفال [٢٧-٢٨] .
(٣) المرجع السابق ، ج٤ ، ص ٤٢٦ .

وَالصَّلاَةِ ﴾[1]، ﴿ **وَأَقِمِ الصَّلاَةَ إِنَّ الصَّلاَةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ** ﴾[2]، فلنفكِّر هل نحن إذا صلَّينا زِدْنا طاقة وقوة وَنشاطًا في الأعمال الصالحة حتى تكون الصلاة مُعِينَة لنا ، لننظر !!.

الواقع أن هذا لا يكون إلا نادرًا باعتبار الإنسان نفسه ونادرًا باعتبار أفراد الناس ، يذْكر عن النبي -عليه الصلاة والسلام : ((أنه كان إذا حزبه أمر فزع إلى الصلاة)) ، أي إذا أهمّه وأغمَّه فزع إلى الصلاة .

كذلك قال تعالى : ﴿ **وَأَقِمِ الصَّلاَةَ إِنَّ الصَّلاَةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ** ﴾[3] ، فانظر في صلاتك هل أنت إذا صليت وجدت في نفسك كراهة للفحشاء والمعاصي ، أو أن الصلاة لا تفيدك في هذا ؟ إذا عرفت هذه الأمور عرفت نتائج الأعمال الصالحة وكنت متعظًا بما وعظك به النبي ﷺ)) [4] .

٦ - ضوابط وآداب التفكر :

حتى يؤتي التفكر ثمراته ، ويحقق غاياته لابد من مراعاة الضوابط والآداب التالية :

٦ - ١ : التفكر في مخلوقات الله وليس في ذات الله[5] :

قد أمر الله - عز وجل - عباده بالتفكر في مخلوقاته والنظر في آياته وآلائه ، ولكنه نهاهم على لسان نبيه ﷺ أن يتفكروا في خلقه ؛ لأن ذلك ما لا يطيقه عقل بشر ويؤدي به إلى الحيرة والاضطراب ، وقد جعل الله للعقل قدرة وحدودًا وطاقة كما قال تعالى : ﴿ **وَلاَ يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا** ﴾[6] ، فالتفكر في خلق الله ليس من قدرة عقولنا ولا في حدود طاقتنا ؛ ولهذا قال ﷺ : ((**تكفروا في خلق الله ولا تكفروا في الله**)) [7]، وكما أن العقل لا يستطيع التفكر في خلق الله فإن البصر أيضًا كليل وضعيف عن النظر إليه - عز وجل - في

---

(1) سورة البقرة [٤٥] .
(2) سورة العنكبوت [٤٥] .
(3) سورة البقرة [٤٥] .
(4) شرح رياض الصالحين لابن عثيمين ، ج٢ ، ص ٥٣٧ - ٥٣٨ .
(5) قال ابن عباس : ((**تفكروا في كل شيء ولا تفكروا في ذات الله**)) ، قال ابن حجر - رحمه الله -: ((الحديث موقوف وسنده جيد)) ، وانظر الفتح ، ج١٣، ص ٣٨٣، وقد ضعّف إسناده الألباني في الصحيحة ، ج٤ ، ص ٢٩٦ - ٢٩٧ ، وانظر ما بَوب به البخاري في الباب الرابع عشر من كتاب التوحيد وما قيل في لفظ ((ذات)).
(6) سورة طه [١١٠] .
(7) حسنَّه الألباني بمجموع طرقه في الصحيحة ، حديث رقم ١٧٨٨ ، وفي صحيح الجامع ، حديث رقم ٢٩٧٦، وفي طريق أخرى ((**تفكروا في آلاء الله ولا تفكروا في الله**)) .

الدنيا ، ولهذا عندما تجلى ربنا - تبارك وتعالى - للجبل اندك وساخ في الأرض ، قال ابن عباس : ((جعله ترابًا)) [1] ؛ لأنه على قوته وثباته لم يطق رؤية الباري - عز وجل - يكرم أولياءه ويتفضل على عباده فيهبهم القدرة والقوة على النظر إليه والتلذذ برؤية وجهه الكريم نسأل الله - عز وجل - أن لا يحرمنا فضله ، وقد يأتي الشيطان أحدنا فيقول : ((من خلق الله؟)) وقد أوصانا رسولنا ﷺ بعدة وصايا وتوجيهات لغلق باب الوسوسة في خلق الله

فقال ﷺ : ((**إن الشيطان يأتي أحدكم فيقول : من خلق الله ؟ فإذا وجد ذلك أحدكم فليقل آمنت بالله ورسله ، فإن ذلك يذهب عنه**)) [2] ، وقال - عليه أفضل الصلاة والسلام : ((**يأتي الشيطان أحدكم فيقول : من خلق كذا ؟ من خلق كذا؟ حتى يقول من خلق ربك؟ فإذا بلغه فليستعذ بالله ولينته**))[3] ، أي عن هذه الوسوسة ، فينبغي أن يجتهد ، في دفعها بالاشتغال بغيرها ، ولا فرق بين وسوسة الشيطان وبين خوض البشر في وجوب الكف عن الخوض في هذا لأن النبي ﷺ قال : ((**لا يزال الناس يتساءلون حتى يقال هذا اللهُ خَلَقَ الخلق ، فمَنْ خلق الله ؟ فمن وجد من ذلك شيئًا فليقل : آمنت بالله**))[4][5]، قال الإمام النووي - رحمه الله - : ((وأما قوله ﷺ فمن وجد ذلك فليقل آمنت بالله ، وفي الرواية الأخرى : فليستعذ بالله ولينته . فمعناه الإعراض عن هذا الخاطر الباطل والالتجاء إلى الله تعالى في إذهابه ، قال الإمام المازني - رحمه الله - : ظاهر الحديث أنه ﷺ أمرهم أن يدفعوا الخواطر بالإعراض عنها والرد لها من غير استدلال ولا نظر في إبطالها . قال : والذي يقال في هذا المعنى أن الخواطر على قسمين ، فأما التي ليست بمستقرة ولا اجتلبتها شبهة طرأت فهي التي تدفع بالإعراض عنها وعلى هذا يحمل الحديث وعلى مثله يطلق اسم الوسوسة ، فكأنه لما كان أمرا طارئا بغير أصل دفع بغير نظر في دليل ، إذ لا أصل له بنظر فيه ، وأما الخواطر المستقرة التي أوجبتها الشبهة فإنها لا تدفع إلا بالاستدلال والنظر في إبطالها والله أعلم))[6].

ومن توجيهاته ﷺ ووصاياه في قطع وسوسة الشيطان في خلق الله قوله ﷺ : ((**يوشك الناس يتساءلون بينهم حتى يقول قائلهم هذا ، اللهُ خَلَقَ الخلقَ ، فمن خلق الله عز**

---

(1) تفسير القرطبي ، ج٧ ، ص ٢٧٩ .
(2) رواه الإمام أحمد ، ج٦ ، ص ٢٥٧ ، وهو في السلسلة الصحيحة للألباني ، حديث رقم ١١٦ .
(3) رواه البخاري في صحيحه ، كتاب بدء الخلق ، باب صفة إبليس وجنوده ، حديث رقم ٣٢٧٦ .
(4) رواه مسلم في صحيحه ، كتاب الإيمان ، باب : بيان الوسوسة في الإيمان وما يقوله من وجدها ، حديث رقم ٢١٢
(5) ملخصًا من فتح الباري ، لابن حجر ، ج٦ ، ص ٣٤١ .
(6) صحيح مسلم ، بشرح النووي ، ج٢ ، ص ١٥٤ - ١٥٥ .

وجل ؟ فإذا قالوا ذلك ، فقولوا : ﴿ قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ * اللهُ الصَّمَدُ * لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴾[1]، ثم ليتفل أحدكم عن يساره ، وليستعذ من الشيطان ›› [2].

وقال الألباني بعد أن أورد الأحاديث الصحيحة على أنه يجب على من وسوس إليه الشيطان بقوله : ‹‹ من خلق الله ؟ أن ينصرف عن مجادلته إلى إجابته بما جاء في الأحاديث المذكورة ، وخلاصتها أن يقول : آمنت بالله ورسوله ، الله أحد ، الله الصمد ، لم يلد ولم يولد ، ولم يكن له كفوا أحد . ثم يتفل عن يساره ثلاثًا ، ويستعيذ بالله من الشيطان ، ثم ينتهي عن الانسياق مع الوسوسة .

وأعتقد أن من فعل ذلك طاعة لله ورسوله ، مخلصًا في ذلك أنه لابد أن تذهب الوسوسة عنه ، وينحدر شيطانه لقوله ﷺ : ‹‹ **فإن ذلك يذهب عنه** ›› . وهذا التعليم النبوي الكريم أنفع وأقطع للوسوسة من المجادلة العقلية في هذه القضية ، فإن المجادلة قلما تنفع في مثلها ، ومن المؤسف أن أكثر الناس في غفلة عن هذا التعليم النبوي الكريم ، فتنبهوا أيها المسلمون ، وتعرفوا إلى سنة نبيكم ، واعملوا بها ، فإن فيها شفاءكم وعزكم ››[3] .

٦ - ٢ : التفكر بالأمور المشروعة :

فيجب التفكر بما ليس فيه فتنة أو إثارة شهوة كالنظر إلى صور النسوان ووجوه المردان بزعم التفكر في جمال خلق الله - عز وجل - والاستدلال بالصنعة على الصانع ، وهذه النهاية في متابعة الهوى ومخادعة العقل ومخالفة العلم ذكره القرطبي في تفسيره [4] .

٧ - مما يعين على التفكر :

٧ - ١ : الإخلاص والسلامة من الهوى :

فلابد للانتفاع بالفكر من تخليص القلب من لوثات الهوى والإقبال على الله بالكلية ولهذا قال الله تعالى : ﴿ **قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُم بِوَاحِدَةٍ أَن تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَى وَفُرَادَى ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا** ﴾ [5]، قال العلماء .. : ‹‹ وهذا القيام إلى طلب الحق لا القيام الذي هو ضد القعود ، أي لوجه الله والتقرّب إليه ›› ، قاله القرطبي[6] ، وقال ابن عثيمين : ‹‹ تقوموا

(1) سورة الصمد [١-٤] .
(2) السلسلة الصحيحة ، للألباني ، حديث رقم ١١٨ .
(3) المرجع السابق ، ص ٢٥ .
(4) تفسير القرطبي ، ج ٧ ، ص ٣٣٣ .
(5) سورة سبأ [٤٦] .
(6) المرجع السابق ، ج ١٤ ، ص ٣٣١ .

لله ›› مخلصين له فتقومون بطاعة الله - عز وجل - على الوجه الذي أمرتم به مخلصين له ، ثم بعد ذلك تتفكروا فإذا فعلتم ذلك فهذا موعظة وأيُّ موعظة ››[1] . (انظر مبحث ٥ - ٢ لابد أن يفرغ القلب من شواغله ...) .

٧ - ٢ : تدبر القرآن الكريم وتأمل معانيه :

قال ابن القيم - رحمه الله - : ‹‹ فلا شيء أنفع للقلب من قراءة القرآن بالتدبر والتفكر فإنه جامع لجميع منازل السائرين وأحوال العاملين ومقامات العارفين ، وهو الذي يورث المحبة والشوق والخوف والرجاء والإنابة والتوكل والرضا والتفويض والشكر والصبر وسائر الأحوال التي بها حياة القلب وكماله ، وكذلك يزجر عن جميع الصفات والأفعال المذمومة التي بها فساد القلب وهلاكه ، فلو علم الناس ما في قراءة القرآن بالتدبر لاشتغلوا بها عن كل ما سواها ، فإذا قرأه بتفكر حتى إذا مرَّ بآية وهو محتاج إليها في شفاء قلبه كررها ولو مائة مرة ولو ليلة فقراءة آية بتفكر وتفهم خير من قراءة ختمة بغير تدبر وتفهم وأنفع للقلب وأدعى إلى حصول الإيمان وذوق حلاوة القرآن وهذه كانت عادة السلف يردد أحدهم الآية إلى الصباح ، وقد ثبت عن النبي ﷺ أنه قام بآية يرددها حتى الصباح وهى قوله: ﴿ **إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ** ﴾[2] ، فقراءة القرآن بالتفكر هي أصل صلاح القلب ؛ ولهذا قال ابن مسعود : (لا تهذوا القرآن هذَّ الشعر ولا تنثروه نثر الدقل ، وقفوا عن عجائبه وحركوا به القلوب لا يكن هم أحدكم آخر السورة)، وروى أبو أيوب عن أبي جمرة قال : قلت لابن عباس : إني سريع القراءة . إني أقرأ القرآن في ثلاث قال : لأن أقرأ سورة من القرآن في ليلة فأتدبرها وأرتلها أحب إلى من أن أقرأ القرآن كما تقرأ .

أنواع التفكر في القرآن :

(والتفكر في القرآن نوعان) تفكر فيه ليقع على مراد الرب - تعالى - منه وتفكر في معاني ما دعا عباده إلى التفكر فيه . الأول : تفكر في الدليل القرآني ، والثاني : تفكر في الدليل العياني ، الأول تفكر في آياته المسموعة ، والثاني تفكر في آياته المشهودة ، ولهذا أنزل الله القرآن ليتدبر ويتفكر فيه ويعمل به لا لمجرد تلاوته مع الإعراض عنه ، قال الحسن البصري : ‹‹ أنزل القرآن ليعمل به فاتخذوا تلاوته عملاً ›› [3] .

---

(1) شرح رياض الصالحين ، لابن عثيمين ، ج ٢ ، ص ٥٣٧ .
(2) سورة المائدة [١١٨] .
(3) مفتاح دار السعادة ، ج١ ، ص ١٨٧ ، وانظر أيضًا للتوسع ، الإحياء ، ج٤ ، ص ٤٣١ ، وموسوعة أخلاق القرآن للشرباصي ٢٣٢ ، الجزء الأول ، وشرح رياض الصالحين لابن عثيمين ، ج٢ ، ص

٧ - ٣ : مطالعة أخبار رسول الله ﷺ :

فقد أوتي ﷺ جوامع الكلم ، وفي مشكاة النبوة نور للمتفكرين وهداية للمتأملين ، فكل كلمة من كلماته ﷺ بحر من بحور الحكمة لو تأملها المسلم حق التأمل لم ينقطع نظره فيها طول عمره (ذكره الغزالي) ، فانظر كيف صوَّر الرسول ﷺ الدنيا يوم مرَّ على سخلة منبوذة (ميتة) فقال : ((**ما الدنيا على الله أهون من هذه على أهلها**)) [1] وقوله ﷺ : ((**ما الدنيا في الآخرة إلا مثل ما يجعل أحدكم إصبعه في اليم فلينظر بماذا ترجع**)) [2] ، ثم تأمل في أيامه ومواقفه ، في فرحه وترحه وفي سرائه وضرائه ترى خلقًا كريمًا وسلوكًا عجيبًا ، فسبحان من اختاره واصطفاه وأدبه وربَّاه .. بهذا التأمل تزداد له حبًّا وشوقًا ، وهذا من أعظم ثمرات التفكر .

٧ - ٤ : السير في الأرض :

قد ندب الله - عز وجل - عباده للسير في الأرض في آيات كثيرة من أجل الاعتبار والتفكر بآثار الأمم التي خلت فقال - عز وجل : ﴿ **قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ** ﴾[3] وقال : ﴿ **قُلْ سِيرُوا فِي الأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ** ﴾[4] وقال : ﴿ **قُلْ سِيرُوا فِي الأَرْضِ ثُمَّ انْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ** ﴾[5] قال القرطبي - رحمه الله - : ((أي سافروا في الأرض واستخبروا لتعرفوا ما حلَّ بالكفرة قبلكم من العقاب وأليم العذاب ، وهذا السفر مندوب إليه إذا كان على سبيل الاعتبار بآثار من خلا من الأمم وأهل الديار)) ، وقال ابن عثيمين : ((فأمر الله - عز وجل - بالسير وهو ينقسم إلى قسمين : سيرٌ بالقدم ، وسير بالقلب))[6] .

٧ - ٥ : تعويد النفس على التفكر :

وذلك بربط ما يراه ببصره من دلائل وآيات بخالقه - عز وجل - واستشعار عظمته وقدرته ببصيرته ، ولهذا قال أبو سليمان الداراني - رحمه الله : ((عوّدوا

---

٥٤٨ ، وتفسير قوله تعالى : ﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ ﴾ الآية [في سورة النحل] .

(1) قال الهيثمي في مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ، ج١٠ ، ص ٢٨٦ - ٢٨٧ : رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح.

(2) صحيح ، صححه الألباني في صحيح سنن الترمذي ، حديث رقم ١٨٩٢ / ٢٤٣٩ عن المستورد .

(3) سورة آل عمران [١٣٧] .

(4) سورة النمل [٩٦] .

(5) سورة الأنعام [١١] .

(6) شرح رياض الصالحين ، ج ٢ ، ص ٥٤٨ .

أعينكم البكاء وقلوبكم التفكر » (١) ، فإذا خرجت من بيتك فوقع بصرك على الأشجار تذكرت خالقها الذي أنبتها على اختلاف أشكالها وأحجامها وطعومها وروائحتها ثم انظر إلى اختلافها في ثمارها وهي تسقى بماء واحد قد فضَّل الله - عز وجل - بعضها على بعض في الأكل فإذا مرَّ بك جماعة من الطير ، نظرت إلى قبضها وبسطها لأجنحتها مَن الذي ألهمها هذا ومن الذي يمسكها أن تقع على الأرض ﴿ أَوَ لَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَافَّاتٍ وَيَقْبِضْنَ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلاَّ الرَّحْمَنُ ﴾ (٢) وهكذا افعل مع كل مخلوق تراه حتى لا تكون من الذين قال الله فيهم : ﴿ وَكَأَيِّن مِّن آيَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ﴾(٣) أي غافلون عن موضع الدلالة فيها .

وأيضًا ينبغي للمؤمن أن يربط ما يراه في دنياه بآخرته ، «مرَّ عبد الله بن مسعود على الحدادين فبصر حديدةً قد أحميت فبكى » (٤) ، ومما يرويه مطر الوراق عنه وعن صاحبه التابعي هرم بن حيان أنهما « كانا يصطحبان أحيانًا بالنهار فيأتيان سوق الريحان فيسألان الله الجنة ويدعوانه ، ثم يأتيان الحدادين فيعوذان من النار ثم يتفرقان إلى منازلهما »(٥) .

٧ - ٦ : اجتناب المعاصي :

الذنوب حجب تمنع من تفكر القلب وانتفاعه بالدلائل والآيات ، والشواهد الواضحات البينات ، « وقد ذكر الله - عز وجل - في كتابه عدة حجب بحسب الذنوب ، فكلما ازدادت وقبحت ازداد الحجاب سماكة وغلظة ، ومنها : الختم والطبع والرَّين والطبع والقسوة والمرض والضيق والصرف والموت . قال القرطبي - رحمه الله تعالى - في قوله تعالى : ﴿ خَتَمَ اللهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ ﴾(٦) ، فالختم على القلوب : عدم الوعي عن الحق - سبحانه - مفهوم مخاطباته والفكر في آياته ، وعلى السمع : عدم فهمهم للقرآن إذا تلي عليهم أو دُعوا إلى وحدانيته ، وعلى الأبصار : عدم هدايتها للنظر في مخلوقاته

(١) الإحياء ، ج٤ ، ص ٤٣١ .
(٢) سورة الملك [١٩] .
(٣) سورة يوسف [١٠٥] .
(٤) الزهد ، لأحمد ، ١٦٣ .
(٥) صفة الصفوة ، ج٣ ، ص ٢١٥ ، نقلا عن كتاب واحات الإيمان ، لعبد الحميد البلالي ، المجموعة الأولى ص ١٠٨ - ١٠٩ .
(٦) سورة البقرة [٧] .

وعجائب مصنوعاته ؟ هذا معنى قول ابن عباس وابن مسعود وقتادة وغيرهم))[1] .

٧ - ٧ : قراءة الكتب التي أوردت عجائب صنع الله في الكون :

فيطلع المؤمن على ما توصل إليه العلم من عجائب صفات المخلوقات ، وما اكتشفه من بدائع المصنوعات ﴿ صُنْعَ اللهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ ﴾[2] . إن التأمل في تلك الدلائل البينات والشواهد الواضحات يوصلك إلى العلم بكمال صفاته ونعوت جلاله وعموم قدرته وعلمه وكمال حكمته .

ومن أفضل تلك الكتب : مفتاح دار السعادة للإمام المحقق ابن قيم الجوزية - رحمه الله - فقد ذكر فيه الكثير من الآيات التي ينبغي للمؤمن التفكر فيها والنظر إليها وفيها ، وكتاب (رحلة القلب السليم) لمحمد العلي ، وكتاب (جنود الرحمن) لسعيد الأصبحي ، وكتاب (غرائب وحقائق) لمحمد كامل عبد الصمد ، وكتاب (العلم يدعو للإيمان) لكريسي موريسون ، و(حياة الحيوان) لكمال الدين الدميري ... إلخ .

٧ - ٨ : التفكر في قصص السابقين وأمثال رب العالمين :

قد ساق الله - عز وجل - لعباده أحسن القصص لما لها من آثار في القلوب وأمر رسول الله ﷺ بقصها فقال : ﴿ فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾[3] ، فبيَّن الحكمة من هذه القصص وهي التفكر والاعتبار والتذكر والاستبصار فإن السعيد مَن وعظ بغيره ، وكذلك الأمثال القرآنية ففيها أكبر العبر لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد فتدبرها بقلبه وتفهمها بلبه . قال الله تعالى : ﴿ لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللهِ وَتِلْكَ الأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾[4] ، أي فإذا كانا الجبل على غلظته وقساوته ، لو فهم هذا القرآن فتدبر ما فيه لخشع وتصدع من خوف الله - عز وجل - فكيف يليق بكم يا أيها البشر أن لا تلين قلوبكم ، وتخشع من خشية الله ، وقد فهمتم عن الله أمره وتدبرتم كتابه ؛ ولهذا قال الله تعالى : ﴿ وَتِلْكَ الأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾[5] .

٨ - أحاديث لا تصح في موضوع التفكر :

لقد حكم العراقي - رحمه الله - في المغني وغيره من أهل العلم على بعض

(1) تفسير القرطبي ، ج١ ، ص ١٨٦ .
(2) سورة النمل [٨٨] .
(3) سورة الأعراف [١٧٦] .
(4) سورة الحشر [٢١] .
(5) مختصر تفسير ابن كثير ، ج٣ ، ص ٤٧٨ - ٤٧٩ .

الأحاديث بالضعف فأرى أن أذكرها لكثرة من يستشهد بها من الوعاظ حتى تكون على علمٍ بها .

٨ ـ ١ : عن أبي سعيد الخدري ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : ((**أعطوا أعينكم حظها من العبادة ، فقالوا : يا رسول الله ما حظها من العبادة ؟ قال** : **النظر في المصحف ، والتفكر فيه ، والاعتبار عند عجائبه**)) [١] .

٨ ـ ٢ : حديث : ((**تفكر ساعة خير من عبادة سنة**)) [٢].

٨ ـ ٣ : حديث : ((**لا عبادة كالتفكر**))[٣] .

٩ ـ مسائل في التفكر :

مما ذكره أهل العلم في التفكر :

٩ ـ ١ : أيهما أفضل التفكر أم صلاة النافلة ؟

قال ابن العربي : ((اختلف الناس أي العملين أفضل : التفكر أم الصلاة ؛ فذهب الصوفية إلى أن التفكر أفضل ؛ فإنه يثمر المعرفة ، وهو أفضل المقامات الشرعية ، وذهب الفقهاء إلى أن الصلاة أفضل ، لما ورد في الحديث من الحث عليها والدعاء إليها والترغيب فيها ، وفي الصحيحين عن ابن عباس أنه بات عند خالته ميمونة ، وفيه : فقام رسول الله ﷺ فمسح النوم عن وجهه ثم قرأ الآيات العشر الخواتم من سورة آل عمران ، وقام إلى شن [٤] معلَّق فتوضأ وضوءًا خفيفًا ثم صلى ثلاث عشرة ركعة ، الحديث ، فانظروا ـ رحمكم الله ـ إلى جمعه بين التفكر في المخلوقات ثم إقباله على صلاته بعده ، وهذه السُّنة هي التي يعتمد عليها ، فأما طريقة الصوفية أن يكون الشيخ منهم يومًا وليلة وشهرًا مفكرًا لا يفتر ، فطريقة بعيدة عن الصواب غير لائقة بالبشر ، ولا مستمرة على السنن))[٥] .

---

(١) قال العراقي ، في تخريج الإحياء ، ج٤ ص ٤٢٤ : أخرجه ابن أبي الدنيا ومن طريقه أبو الشيخ وابن حبان في كتاب العظمة بإسناد ضعيف ، قلت : فيه عنبسة بن عبد الرحمن ، متروك ، وقد رماه أبو حاتم بالوضع .

(٢) أخرجه ابن حبان في كتاب العظمة من حديث أبي هريرة بلفظ ستين سنة بإسناد ضعيف ، ومن طريقه ابن الجوزي في الموضوعات ، انظر تخريج الإحياء ، للعراقي ، ج٤ ، ص ٤٢٣ .

(٣) قال الهيثمي في المجمع ، ج١٠ ، ص ٢٨٣ : رواه الطبراني وفيه أبو الرجاء واسمه محمد بن عبد الله ، وهو كذاب .

(٤) الشن : القربة .

(٥) تفسير القرطبي ، ج٤ ، ص ٣١٥ .

قلت : ولشيخ الإسلام ابن تيمية وجه آخر في شعب الإيمان إذا تزاحمت على المرء فلا يقدر إلا على بعضها فيقول : ((وإذا ازدحمت شعب الإيمان قدَّم ما كان أرضى لله وهو عليه أقدر ، فقد يكون على المفضول أقدر منه على الفاضل ، ويحصل له أفضل مما يحصل من الفاضل ، فالأفضل لهذا أن يطلب ما هو أنفع له ، وهو في حقه أفضل ، ولا يطلب ما هو أفضل مطلقًا ، إذا كان متعذرًا في حقه أو متعسرًا يفوته ما هو أفضل له وأنفع ، كمن يقرأ القرآن بالليل فيتدبره وينتفع بتلاوته والصلاة تثقل عليه ، ولا ينتفع منها بعمل ، أو ينتفع بالذكر أعظم مما ينتفع بالقراءة ، فأي عمل كان له أنفع ولله أطوع أفضل في حقه من تكلف عمل لا يأتي به على وجهه ، بل على وجه ناقص ، ويفوته به ما هو أنفع له ، ومعلوم أن الصلاة آكد من قراءة القرآن ، وقراءة القرآن أفضل من الذكر والدعاء ، ومعلوم أيضًا أن الذكر في فعله الخاص : كالركوع والسجود ، أفضل من قراءة القرآن في ذلك المحل ، وأن الذكر والقراءة والدعاء عند طلوع الشمس وغروبها خير من الصلاة)) [1] .

٩ - ٢ : أيهما يجب أولا النظر والاستدلال أم الإيمان بالله - عز وجل :

ذكرها القرطبي في تفسيره[2]، والقول بوجوب النظر والاستدلال قبل الإيمان قول باطل يبطله كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وإجماع المسلمين قال رسول الله ﷺ : ((**أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله ويؤمنوا بي وبما جئت به فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله**)) [3] ، وقال ابن المنذر في كتاب الإشراف (ذكر صفة كمال الإيمان):(أجمع كل من يحفظ عنه من أهل العلم على أن الكافر إذا قال : أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله ، وأن كل ما جاء به محمد حق ، وأبرأ من كل دين يخالف دين الإسلام - وهو بالغ صحيح العقل - أنه مسلم ، فلم يذكر ﷺ نظرًا ولا استدلالاً في الحكم على المرء بالإيمان ، ((قال للجارية : ((**أين الله؟**)) قالت : في السماء ، قال: ((**من أنا ؟**)) قالت : أنت رسول الله ، قال : ((**أعتقها فإنها مؤمنة**))) [4] ، والحمد لله رب العالمين .

خامسا : بعض التطبيقات العملية المقترحة لتأكيد معاني الدرس :

١ - حفظ آيات خواتيم سورة آل عمران ﴿ **إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ** ﴾ إلى نهاية السورة وقراءتها عند القيام من النوم . كما ثبت ذلك عن النبي ﷺ من حديث ابن عباس في الصحيحين أنه كان يفعل ذلك .

---

(1) الفتاوى ، ج٧ ، ص ٦٥١ - ٦٥٢ .
(2) ج ٧ ، ص ٢٣١ - ٣٣٣ ، للتوسع في النظر في الأدلة راجع المرجع المذكور .
(3) رواه مسلم ، صحيح الجامع ، حديث رقم ١٣٧٢ .
(4) رواه الإمام مسلم ، في كتاب المساجد ومواضع الصلاة ، باب تحريم الكلام في الصلاة ، ونسخ ما كان من إباحة ، حديث رقم ٥٣٧ .

٢ - القراءة في كتاب يعرض عجائب مخلوقات الله ، ومن أنفسها كتاب مفتاح دار السعادة لابن القيم - رحمه الله - (ملحوظة : ذكرنا بعض الكتب التي يُرجع إليها في هذا الباب انظر المبحث ٧ - ٧) .

٣ - للتفكر في أحداث يوم القيامة يقترح :

أ - قراءة أحد الكتب التالية :

- سلسلة اليوم الآخر للأشقر .
- رحلة الخلود لحسن أيوب .
- التوهم للحارث المحاسبي .
- كلام أهل الجنة وكلام أهل النار لعبد الحميد البلالي .

ب - زيارة المقابر .

٤ - إلقاء كلمة عن بعض الكوارث التي حلت ببعض البلدان بعد معرفة بعض القضايا العلمية عن نوع الكارثة (زلازل - براكين - فيضانات - رياح) ، ومن الكتب التي جمعت بعض المعلومات عن هذه الجنود الربانية كتاب (جنود الرحمن) لسعيد الأصبحي مع ربطها بالذنوب وما أحدثه العباد من الفساد .

٥ - القيام برحلة تفكر إلى بعض الآثار الشاهدة على قدرة الحق - عز وجل - مع ربطها بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية ﴿ **قُلْ سِيرُوا فِي الأَرْضِ فَانْظُرُوا** ﴾ [1].

٦ - الانفراد بالنفس والتفكر في أعمالها وتقصيرها (جلسة محاسبة وتصحيح) .

سادسا : المراجع :

١- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ، محمد فؤاد عبد الباقي ، دار الفكر .
٢- الجامع لأحكام القرآن ، القرطبي ، دار إحياء التراث العربي .
٣- مختصر تفسير ابن كثير ، الصابوني ، دار القرآن الكريم ، ط٣ .
٤- مختصر تفسير الطبري ، الصابوني ، دار القرآن الكريم ، ط ١ .
٥- الأساس في التفسير ، سعيد حوى ، دار السلام ، ط٢ .
٦- في ظلال القرآن ، سيد قطب ، دار الشروق .
٧- صحيح مسلم ، الإمام مسلم الحجاج ، ت محمد فؤاد عبد الباقي ، دار الحديث ، ط١ .
٨- فتح الباري ، ابن حجر ، دار المعرفة .

---

[1] سورة النمل [٦٩] .

٩- صحيح مسلم بشرح النووي ، الإمام محيي الدين النووي ، دار إحياء التراث العربي .
١٠-صحيح الجامع الصغير وزيادته ، ناصر الدين الألباني ، المكتب الإسلامي .
١١-صحيح سنن الترمذي ، الألباني ، مكتبة التربية .
١٢-سلسلة الأحاديث الصحيحة ، الألباني ، مكتبة المعارف/ المكتب الإسلامي .
١٣-الترغيب والترهيب ، الإمام الأصبهاني ، دار زمزم ، ط١ .
١٤-مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ، الحافظ الهيثمي ، دار الكتاب العربي .
١٥-دليل القاري إلى مواضيع الحديث في صحيح البخاري ، عبد الله الغنيمان ، مؤسسة الرسالة .
١٦-شرح رياض الصالحين ، ابن عثيمين ، دار الوطن ، ط ١ .
١٧-موسوعة أطراف الحديث النبوي الشريف ، محمد زغلول ، دار الفكر .
١٨-الجامع المفهرس ، سليم الهلالي ، دار ابن الجوزي .
١٩-إحياء علوم الدين ، الغزالي ، دار المعارف .
٢٠-موسوعة أخلاق القرآن ، الشرباصي ، دار المعرفة .
٢١-مجموعة الفتاوى ، لشيخ الإسلام ابن تيمية .
٢٢-قاموس القرآن ، الدمغاني ، دار العلم للملايين .
٢٣-مختصر منهاج القاصدين ، ابن قدامة المقدسي ، المكتب الإسلامي .
٢٤-التقريب لعلوم ابن القيم ، بكر عبد الله أبو زيد ، دار العاصمة .
٢٥-صفة الصفوة ، ابن الجوزي ، دار المعرفة .
٢٦-واحات الإيمان ، عبد الحميد البلالي ، دار الدعوة .
٢٧-غرائب وحقائق ، محمد كامل عبد الصمد ، دار السلام .
٢٨-جنود الرحمن ، سعيد الأصبحي ، مكتبة دار التراث ، ط٢ .
٢٩-مفتاح دار السعادة ، ابن القيم ، دار الفكر .
٣٠-رحلة القلب السليم ، محمد بن صفوك العلي ، مكتبة دار العليان .
٣١-تهذيب مدارج السالكين ، ابن القيم ، مكتبة السوادي .
٣٢-مشكلات وحلول ، محمد المنجد ، دار الوطن .

تقوى

التقوى

أولا : دلالة المصطلح

أ ـ لغة :

التقوى اسم ، وأصلها وَقْوَى (من وَقَيتُ) فجعلوا التاء بدل الواو . ووقيتُ الشيء أقيه إذا صُنتُه وسترتُه ، قال ﷺ لمعاذ : ((**وتَوَقَّ كرائمَ أموالهم**)) أي تجنبها ولا تأخذها في الصدقة ؛ لأنها تكْرُمُ على أصحابها وتعِزُّ ، فخذ الوسط ، وفي التنزيل العزيز ﴿ **وَمَا لَهُم مِّنَ اللهِ مِن وَاقٍ** ﴾ [1] ، أي ((دافع ، ووقاه الله وقايةً ؛ أي حفظه واتقيت الشيء أتَّقيه : حَذِرْتُه)) [2] ، فالمؤمن المتقي[3] يحذر عذاب الله بفعل طاعته والبعد عن معصيته .

ب ـ اصطلاحًا (شرعًا) :

قد تعددت أقوال السلف في تعريف التقوى ووصفها :

ـ قال علي رضي الله عنه : ((التقوى هي الخوف من الجليل ، والعمل بالتنزيل ، والقناعة بالقيل ، والاستعداد ليوم الرحيل))[4] .

ـ قال ابن رجب : ((وأصل التقوى : أن يجعل العبد بينه وبين ما يخافه ويحذره وقاية تقيه منه ، فتقوى العبد لربه أن يجعل بينه وبين ما يخشاه من ربه من غضبه وسخطه وعقابه وقاية تقيه من ذلك وهو فعلُ طاعته واجتناب معاصيه)) ، ثم قال : ((وقد يغلب استعمال التقوى على اجتناب المحرمات كما قال أبو هريرة وسئل عن التقوى ، فقال : هل أخذت طريقًا ذا شوك ؟ قال : نعم ، قال : فكيف صنعت؟ قال : إذا رأيت الشوك عدلتُ عنه ، أو جاوزته ، أو قصرت عنه ، قال : ذلك التقوى [5]... وأخذ هذا المعنى ابنُ المعتز فقال :

خـــلِّ الـــذُّنوبَ صـــغيرها وكبيرهـــا فَهْـــوَ التُّقـــى

واصـــنعْ كمـــاشٍ فـــوْق أرضِ الشـــوْكِ يَحْـــذرُ مـــا يـــرى

---

(1) سورة الرعد [٣٤] .
(2) لسان العرب ، لابن منظور ، ج٦ ، حديث رقم ٤٩٠١ ـ ٤٩٠٣ ملخصًا .
(3) فائدة : قال الطيبي ، فيض القدير ، ج٦ ، ص ٤٤٣ : المتقي لغة اسم فاعل من وقاه فاتقى ، والوقاية فرط الصيانة .. إلى أن قال : وشرعًا من يقي نفسه تعاطي ما يستوجب العقوبة من فعل أو ترك .
(4) التقوى ، ص ١٦ ، صلاح الدين مارديني .
(5) جامع العلوم والحكم ، ج١ ، ص٣٩٨ .

لا تحْقِـــــــــرَنَّ صَـــــــــغِيرةً إنَّ الجبــالَ مِـــنَ الحصـــى » [1]

قال الذهبي في السير : « عن بكر المزني قال : لما كانت فتنة ابن الأشعث قال طلق بن حبيب : اتقوها بالتقوى ، فقيل له : صف لنا التقوى ، فقال : العملُ بطاعة الله ، على نور من الله ، رجاء ثواب الله ، وترك معاصي الله على نور من الله ، مخافة عذاب الله . قلت - الذهبي - : أبدع وأوجز ، فلا تقوى إلا بعمل ، ولا عمل إلا بنور من العلم والاتباع ولا ينفع ذلك إلا بالإخلاص لله »[2] .

- وقيل التقوى : « أن لا يراك الله حيث نهاك ، ولا يفقدك حيث أمرك » [3] .

ج - التقوى عندما تقرن بالبر :

كما قال تعالى : ﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى﴾ [4]،(فإن قرنت صار البر : فعل الأوامر، والتقوى ترك النواهي ، وإذا أفردت صارت شاملة تعم فعل الأوامر واجتناب النواهي)[5].

د - ألفاظ مقاربة للتقوى في الدلالة والمعنى :

الورع : قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - : « وأما الورع فإنه الإمساك عما قد يضر ، فتدخل فيه المحرمات والشبهات لأنها قد تضر ، فإنه من اتقى الشبهات استبرأ لعرضه ودينه ، ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام ، كالراعي حول الحمى ، يوشك أن يواقعه[6] ، ويرى شيخ الإسلام أن المباح قد يزهد فيه ولكن لا يتورع عنه ، إذ هناك فارق بين الزهد والورع [7]، ومن خلال هذا التعريف يتبين أن التقوى أوسع من الورع ، إذ إن التقوى فعل وترك ، وأما الورع فقد اقتصر على الترك .

وقال الإمام ابن القيم - رحمه الله - : « وقد جمع النبي ﷺ الورع كلَّه في كلمة

---

(1) المرجع السابق ، ج ١ ، ص ٤٠٢ .
(2) تهذيب السير ، محمد حسن عقيل ، ج ١ ، ص ٤٥٦ .
(3) التقوى لصلاح الدين ماrديني ، ص ١٨ .
(4) سورة المائدة [٢] .
(5) شرح رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين ، ج٢ ، ص ٤٧٤ ، لابن عثيمين .
(6) الفتاوى ، ج ١٠ ، ص ٦١٥ .
(7) قد ذكر شيخ الإسلام ، ج١٠ ، ص٦١٥ - ٦١٦ « أن الورع عما لا مضرة فيه أو فيه مضرة مرجوحة لما تقترن به من جلب منفعة راجحة ، أو دفع مضرة أخرى راجحة ، جهلٌ وظلم ، وذلك يتضمن ثلاثة أقسام لا يتورع عنها : المنافع المكافأة ، والراجحة والخالصة : كالمباح المحض ، أو المستحب ، أو الواجب ، فإن الورع عنها ضلالة » أ . هـ ، انظره فإنه بحث مهم ، إذ بعض الدعاة قد ينكر على إخوانه عملهم ببعض المباحات التي يصاحبها منافع دعوية تجعلها من المستحبات ، وإن لابستها بعض المكروهات مرجوحة المضرة .

واحدة فقال : ((**من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه**)) (١) فهذا يعم الترك لما لا يعني : من الكلام ، والنظر والاستماع ، والبطش ، والمشي ، والفكر ، وسائر الحركات الظاهرة والباطنة ، فهذه الكلمة كافية شافية في الورع))(٢) .

ثانيا : الأهداف :

نهدف من هذا الدرس :

١ - إبراز أهمية التقوى في الدعوة والتربية ، فهي حرز من الانحراف ، وأمان من الزيغ والانجراف ، كما أنها دافع لتوثيق روابط الأخوة وزيادة لنور البصيرة للتمييز بين الحق والباطل (المبحث ٢) .

٢ - الحث على الاجتهاد في الوصول بالنفس إلى منزلة التقوى من خلال ذكر فضائلها وما أعدَّه الله - عز وجل - لأهلها ، بالإضافة إلى الإشارة إلى كيفية الوصول إليها (المبحث ٢ ، ٣ ، ٨) .

٣ - تربية الطلاب على تقوى السر ومراقبة الله في الخلوة والجلوة وفي البيئات التي يبتعدون فيها عن إخوانهم ومربيهم (المبحث ٧) .

٤ - عرض صور مشرفة لسلفنا الصالح لكي يتربى الطلاب على تلك المواقف العملية لمفهوم التقوى في مختلف مجالات الحياة (المبحث ١٠) .

ثالثا : عناصر الموضوع :

١- مفهوم التقوى (سبق في دلالة المصطلح) .
٢- أهمية التقوى في دين الله والدعوة .
٣- فضل التقوى ومنزلة المتقين (ثمرات التقوى) .
٤- مَنْ هو التقي؟ متى يُعد الإنسان تقيا ؟
٥- شجرة التقوى .
٦- مراتب التقوى .
٧- تقوى السر .
٨- كيف نصل إلى منزلة التقوى ؟
٩- مواقف في التقوى والورع للسلف الصالح .
١٠- أحاديث في التقوى .

رابعا : العرض :

---

(١) حسن لغيره ، رواه الترمذي ، حديث رقم ٢٣١٧ ، وابن ماجة ، حديث رقم ٣٩٧٦ ، وابن حبان ، حديث رقم ٢٢٩ ، وانظر جامع العلوم والحكم بتحقيق الأرناؤوط ، ج١ ، ص ٢٨٧ .
(٢) تهذيب المدارج ، ٢٩٠ ، منزلة الورع .

١ - مفهوم التقوى : (انظر مبحث دلالة المصطلح) .

٢ - أهمية التقوى في دين الله والدعوة :

٢ - ١ : للتقوى أهمية كبرى في دين الله - عز وجل - إذ إنها ركيزة عظمى ترتكز عليها أصول الإسلام ومبادئه ، وأحكامه وشرائعه ؛ ولهذا كانت وصية الله - عز وجل - للأولين والآخرين ﴿ **وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُوا اللهَ** ﴾ (١)، كما أنها كانت من أوائل الأصول التي يدعو كل نبي قومه إليها :

- ﴿ **إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلاَ تَتَّقُونَ * إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ * فَاتَّقُوا اللهَ وَأَطِيعُونِ** ﴾ (٢).

- ﴿ **إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلاَ تَتَّقُونَ * إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ * فَاتَّقُوا اللهَ وَأَطِيعُونِ** ﴾ (٣).

- ﴿**إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَالِحٌ أَلاَ تَتَّقُونَ * إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ * فَاتَّقُوا اللهَ وَأَطِيعُونِ** ﴾(٤).

وهكذا لوط ، وشعيب ، وإلياس - عليهم صلوات الله وسلامه .

٢ - ٢ : بالتقوى تَقْوَى الأخوة في القلوب وتثبت ركائزها في النفوس ، مما له الأثر في سلامة الصف من الفرقة والاختلاف ، وقد أمر الحق - عز وجل - بالتقوى ثم بالأخوة المبنية عليها ، ونهى عن الفرقة والاختلاف في ترتيب قرآني عجيب ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنْتُم مُّسْلِمُونَ * وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعًا وَلاَ تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا** ﴾ (٥)، وقد بيَّن الحق - عز وجل - أن كلَّ خلةٍ مصيرها الانفصال والانقطاع إلا ما كان مربوطًا بالتقوى ﴿ **الأَخِلاَّءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلاَّ الْمُتَّقِينَ** ﴾ (٦).

٢ - ٣ : إن القلب الذي أشرب تقوى الله من أشد القلوب تعظيمًا لحرمات الله وشعائره وألزمها لحدود الله وشرائعه كما قال تعالى : ﴿ **ذَلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ** ﴾ (٧)، قال القرطبي - رحمه الله - : « الشعائر : جمع شعيرة ، وهو

---

(١) سورة النساء [١٣١] .
(٢) سورة الشعراء [١٠٦] .
(٣) سورة الشعراء [١٢٤] .
(٤) سورة الشعراء [١٤٢] .
(٥) سورة آل عمران [١٠٢-١٠٣] .
(٦) سورة الزخرف [٦٧] .
(٧) سورة الحج [٣٢] .

كل شيء لله تعالى فيه أمر أشعر به وأعلم))(١) .

٢ - ٤ : إن التقوى تعصم صاحبها من كثير من الدنايا والسيئات ، وإذا ما ألمَّ بشيء منها فإنها تحمله على الإقلاع عنها وعدم الإصرار عليها ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ** ﴾(٢) .. أما القلوب التى خلت منها فإن تذكيرها بالتقوى لا يزيدها إلا تكبرًا ونفورًا ﴿ **وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالإِثْمِ** ﴾(٣) .

٢ - ٥ : التقوى عُدة في الفتنة ، وزاد يوم المحنة ، فما صبر على الحق وثبت إلا المتقون ، ولهذا قال طلق بن حبيب حين وقعت فتنة ابن الأشعث : ((اتقوها بالتقوى)) (٤) .

٢ - ٦ : التقوى نور للدعاة يبصرون به الحق ويميزونه عن الباطل ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَتَّقُوا اللهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا** ﴾(٥) ، وكم اختلت الرؤيا بكدورات المعاصي فوقعت على إثرها فتن ومصائب حالت دون انتشار الدعوة وبسط بساطها **!!** ﴿ **وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ** ﴾(٦) .

٢ - ٧ : ثم هي الوصية النبوية للدعاة الذين كان يرسلهم ﷺ لتبليغ دعوته ونشر رسالته ، قال بريدة رضي الله عنه : ((كان رسول الله ﷺ إذا أمَّر أميرًا على جيش أو سرية ، أوصاه في خاصّته بتقوى الله ومن معه من المسلمين))(٧) . ثم هي وصية السلف لبعضهم بعضًا
((كتب رجل من السلف إلى أخ له : أوصيك بتقوى الله ، فإنها أكرم ما أسررت ، وأزين ما أظهرت ، وأفضل ما ادخرت)) (٨) .

٢ - ٨ : كما أنها صلة تربط القلب بخالقه فيراقبه ويخشاه ، ويجعل عمله في رضاه ، ثم هو بعد هذا صابر في الضراء ، شاكر في السراء ، ذاكر في الصباح

(١) الجامع لأحكام القرآن ، ج ١٢ ، ص ٥٦ .
(٢) سورة الأعراف [٢٠١] .
(٣) سورة البقرة [٢٠٦] .
(٤) تهذيب السير ، ج ١ ، ص ٤٥٥ .
(٥) سورة الأنفال [٢٩] .
(٦) سورة الشورى [٣٠] .
(٧) رواه مسلم ، كتاب الجهاد والسير ، باب ٢ ، حديث رقم ١٧٣١ .
(٨) جامع العلوم والحكم ، لابن رجب ، ج١ ، ص ٤٠٧ .

والمساء . كما قال عبد الله ابن مسعود ﷺ في قوله تعالى : ﴿ **اتَّقُوا اللهَ حَقَّ تُقَاتِهِ** ﴾[1] ، قال : ((أن يطاع فلا يعصى ، وأن يذكر فلا ينسى ، وأن يشكر فلا يكفر))[2] ، قال سيد - رحمه الله - : ((تقوى الله التي تربط القلوب بالله فلا تلتقي مع أحد إلا في منهجه ، ولا تعتصم بحبل إلا بحبله .. وحين يتصل القلب بالله فإنه سيحتقر كل قوة غير قوته ؛ وستشد هذه الرابطة من عزيمته ، فلا يستسلم من قريب ، ولا يواد من حاد الله ورسوله ، طلبًا للنجاة أو كسبًا للعزة))[3] .

٢ - ٩ : وأخيرًا ، فإن الحديث عن التقوى - في هذه الأزمان التي كثر فيها اقتحام المحرمات ، فضلاً عن المكروهات والشبهات من فئام من الدعاة - أصبح ضرورة تذكيرًا للناسي وإيقاظًا للغافل ، كما أنه تعليمٌ للمبتدي لتصحَّ بدايتُهُ ، وقد كتب عمر بن عبدالعزيز إلى رجل : ((أوصيك بتقوى الله - عز وجل - التي لا يَقْبَلُ غيرَها ، ولا يَرْحَمُ إلا أهلها ، ولا يثبت إلا عليها ، فإن الواعظين بها كثير ، والعاملين بها قليل ، جعلنا الله وإياك من المتقين)) فإن كان الواعظون بها كثيرين والعاملون بها قليلين في زمن عمر فماذا لو اطلع على زمننا هذا ؟ والله المستعان .

٣ - فضل التقوى ومنزلة المتقين :

لقد تجاوز عدد الآيات التي ورد فيها ذكر للتقوى والمتقين مائتي آية بين أمر بها وحض عليها وترغيب فيها وبيان منزلتها وفضل أصحابها في الدنيا والآخرة .. وإليك طرفًا من تلك الفضائل الربانية والمنن الإلهية التي رفع بها منزلة التقوى وأعلى شأن أصحابها .

٣ - ١ : التقيّ هو الأكرم عند الله :

إن الرفعة عند الله - عز وجل - الكرامة للتقي ، قال الله تعالى : ﴿ **إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ** ﴾[4] ، فالوزن والقيمة عند الله - عز وجل - بالتقوى ، وبقدر ما في القلوب منها يكون وزنه وقيمته في ميزان ربه ، ويكون الإكرام والكرامة ، والقرب والمكانة ، وقد بيَّن الحق - عز وجل - أن جميع القيم الأرضية الدنيوية ليست عند الله بشيء فقال - عز وجل - : ﴿ **وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلاَ أَوْلاَدُكُمْ بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِنْدَنَا زُلْفَى** ﴾[5] ، وقال عليه الصلاة

---

(1) سورة آل عمران [١٠٢] .
(2) الحاكم المستدرك ، ج٥ ، ص ٢٩٤ ، والطبراني في الكبير (٨٥٠٣) ، موقوفًا على ابن مسعود ، وانظر جامع العلوم والحكم ، ج١ ، ص ٤٠١ .
(3) في ظلال القرآن ، ج١ ، ص ٤٥٣ ، انظر أيضًا ، ج١ ، ص ٤٤٢ .
(4) سورة الحجرات [١٣] .
(5) سورة سبأ [٣٧] .

والسلام : ((**يا أيها الناس إن ربكم واحد وأباكم واحد ، ألا لا فضل لعربي على عجمي ، ولا لعجمي على عربي ، ولا أسود على أحمر ، ولا أحمر على أسود إلا بالتقوى**)) [١] بل ربما عدل التقي ملء الأرض ممن هم دونه ، فعن سهل بن سعد ، أن النبي ﷺ مرَّ عليه رجل فقال : ((**ما تقولون في هذا ؟**)) فقالوا : حَرِيٌّ إن خطب أن يُنكَح ، وإن شفع أن يُشفَّع ، وإن قال أن يُسْمع ، قال : ثم سكت؟ فمرَّ رجل من فقراء المسلمين فقال : ((**ما تقولون في هذا؟**)) قالوا : حَرِي إن خطب ألا يُنْكَح ، وإن شفع ألا يُشفَّع ، وإن قال ألا يُسْمَع ، فقال رسول الله ﷺ : ((**هذا خير من مِلء الأرض مثل هذا**)) [٢][٣]. وقد قال ﷺ وقد سئل فقيل : يا رسول الله من أكرم الناس؟ قال : ((**أتقاهم**)) [٤] .

٣ - ٢ : المتقون أولياء الله وأحباؤه :

قال الله تعالى : ﴿ **بَلَى مَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ وَاتَّقَى فَإِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ** ﴾[٥].

وقال -عز وجل - : ﴿ **فَأَتِمُّوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَى مُدَّتِهِمْ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ** ﴾[٦].

وقال تعالى : ﴿ **فَمَا اسْتَقَامُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ** ﴾ [٧].

وقال في الولاية : ﴿ **وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَاللهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ** ﴾[٨] ينصرهم ويرعاهم ويحفظهم ويكلؤهم فلا يخافون ولا يحزنون ﴿ **أَلاَ إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللهِ لاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ** ﴾ [٩].

ومع تلك المحبة وهذه الولاية توجد المعية .

---

(١) قال الهيثمي في مجمع الزوائد : رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح ، ج٣ ، ص ٢٦٦ .
(٢) رواه البخاري ، في كتاب النكاح ، باب الأكفاء في الدين ، حيث رقم ٥٠٩١ .
(٣) انظر حوادث رائعة في تقديم أهل التقوى ولو كانوا من الموالي والأعاجم ، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ، ج١٦ ، ص ٣٤٦ - ٣٤٨ .
(٤) رواه البخاري ، في كتاب أحاديث الأنبياء ، حديث رقم ٣٣٧٤ ، ورواه مسلم ، في كتاب الفضائل ، حديث رقم ٢٣٧٨ .
(٥) سورة آل عمران [٧٦] .
(٦) سورة التوبة [٤] .
(٧) سورة التوبة [٧] .
(٨) سورة الجاثية [١٩] .
(٩) سورة يونس [٦٢] .

٣ ـ ٣ : معية الله للمتقين(١) :

وهي المعية الخاصة التي خصَّ الله - عز وجل - بها المتقين دون سواهم فيحيطهم بحفظه ويؤيدهم بقوته ونصره ﴿ وَاتَّقُوا اللهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴾(٢) ، ﴿ وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلاَّ بِاللهِ وَلاَ تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلاَ تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ * إِنَّ اللهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُون﴾(٣) ومع المعية .

٣-٤ : تأييد الله للمتقين بالقوة والمدد :

والتأييد من الله للمتقين يكون تارة بالملائكة ﴿ بَلَى إِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلاَفٍ مِّنَ الْمَلاَئِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴾(٤) ، وتارة يكون بإحباط كيد الأعداء وإبطاله ﴿ وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لاَ يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴾(٥) ، ﴿ الَّذِينَ اسْتَجَابُوا للهِ وَالرَّسُولِ مِن بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقَوْا أَجْرٌ عَظِيمٌ * الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ * فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللهِ وَاللهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴾(٦)، وتارة يكون بتنجية المتقين من البلاء النازل بغيرهم ﴿ وَأَنجَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴾(٧) ، ﴿ فَأَخَذَتْهُمْ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ * وَنَجَّيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يتَّقُونَ ﴾(٨) ، وتارة تكون بالنصر والغلبة وحسن العاقبة كما قال تعالى : ﴿ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾(٩) .

٣ ـ ٥ : تيسير الأمور وسعة الأرزاق :

قال الله تعالى : ﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى * وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى * فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى ﴾(١٠)

(١) انظر للتوسع التقوى ، لمحمد أديب الصالح ، ص ٢٨٤ ـ ٢٩٨ .
(٢) سورة البقرة [١٩٤] .
(٣) سورة النحل [١٢٧-١٢٨] .
(٤) سورة آل عمران [١٢٥] .
(٥) سورة آل عمران [١٢٠] .
(٦) سورة آل عمران [١٧٢-١٧٤] .
(٧) سورة النمل [٥٣] .
(٨) سورة فصلت [١٧] .
(٩) سورة الأعراف [١٢٨] .
(١٠) سورة الليل [٥-٧] .

فالمتقون الذين بذلوا أموالهم وضحوا في سبيل ربهم فإن الله ييسر أمورهم ويسهل فعل الخير عليهم ويُخلف ما أنفقوه في سبيله(١)، ولهذا فسَّر غير واحد من المفسرين قول الله تعالى : ﴿ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى ﴾ أي تيقن أن الله سيُخلفه على عطائه (وهو اختيار الطبري - رحمه الله -) (٢) ؛ ويجعل الله - عز وجل - لهم من كل ضيق مخرجًا كما قال تعالى :
﴿ وَمَن يَتَّقِ اللهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لاَ يَحْتَسِبُ ﴾(٣) ولعل في الثلاثة الذين دخلوا الغار وكيف نجاهم الله - عز وجل - منه بتقواهم له وخشيتهم إياه أوضح دليل على هذا. قال الربيع بن خَيْثم : ﴿ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا ﴾ ، من كل شيء ضاق على الناس ، وقال أبو العالية : ((مخرجًا من كل شدة ﴿ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لاَ يَحْتَسِبُ ﴾ ، من حيث لا يرجو)) ، وقال ابن عيينة : ((هو البركة في الرزق)) (٤) ، كما قال تعالى : ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ ﴾ (٥).

٣ - ٦ : الفوز بالجنة ونعيم الآخرة :

كما قال تعالى : ﴿ وَمَن يُطِعِ اللهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللهَ وَيَتَّقْهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴾(٦) فقد فازوا - والله - بالمنزلة الرفيعة والمكانة الشريفة التي بوأهم الله إياها فأصبحوا بفضل الله - عز وجل - فوق أهل الكفر والفجور ، كما قال تعالى : ﴿ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ اتَّقَوْا فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَاللهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ (٧) قال الإمام ابن كثير - رحمه الله - تعالى : ((ثم أخبر تعالى عن تزيينه الحياة الدنيا للكافرين ، الذين رضوا بها واطمأنوا إليها ، وجمعوا الأموال ومنعوها عن مصارفها التي أمروا بها ، مما يرضي الله عنهم ، وسخروا من الذين آمنوا الذين أعرضوا عنها ، وأنفقوا ما حصل لهم منها في طاعة ربهم ، وبذلوه ابتغاء وجه الله ، فلهذا فازوا بالمقام الأسعد والحظ الأوفر يوم معادهم ، فكانوا فوق أولئك في محشرهم ومنشرهم ومسيرهم ومأواهم ، فاستقروا في الدرجات في أعلى عليين ، وخلد أولئك في الدركات في أسفل سافلين ؛ ولهذا قال تعالى : ﴿وَاللهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ ، أي يرزق من يشاء من خلقه ،

---

(١) شؤم المعصية وبركة التقوى ، للبيانوني ، ص ٨٥ ، دار السلام .
(٢) انظر الجامع لأحكام القرآن ، للقرطبي ، ٢٠ ، ص ٨٢ - ٨٣ .
(٣) سورة الطلاق [٢-٣] .
(٤) المرجع السابق ، ج١٨ ، ص ١٥٩ .
(٥) سورة الأعراف [٩٦] .
(٦) سورة النور [٥٢] .
(٧) سورة البقرة [٢١٢] .

ويعطيه عطاء كثيرًا جزيلاً ، بلا حصر ولا تعداد في الدنيا والآخرة [1] .

وقد جاءت آيات كثيرة تبشر المتقين بما أعد الله لهم من فوز عظيم وأجر كبير ، ومن تلك الآيات :

- ﴿وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [2].

- ﴿لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللهِ وَاللهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾[3] ، ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ﴾[4].

- ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا * حَدَائِقَ وَأَعْنَابًا * وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا﴾[5].

« فالكواعب : جمع كاعب ، وهي الناهد ، قاله قتادة ومجاهد والمفسرون ، وقال الكلبي : هي الفلكات اللواتي تكعب ثديهن ، وتفلكت ، وأصل اللفظ : من الاستدارة ، والمراد : أن ثُـدِيَّهُن نواهد ، كالرمان ، ليست متدلية إلى أسفل ويسمين نواهد وكواعب »[6].

٣ - ٧ : هدايته - سبحانه - لهم وتعليمه إياهم :

أما الهداية فقد صَدَّر كتابه الكريم بقوله : ﴿ ذَلِكَ الْكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴾[7] ، فالخير الذي أودعه الله كتابه والهدى والسعادة والفلاح ثمرات لا يجنيها إلا المتقون الذين آمنوا بالكتاب منهجًا ونظامًا للحياة ومصدرًا يتلقون منه أحكام دينهم ويحكمون واقعهم .

وأما العلم فقد تكفَّل الله به للمتقين فقال : ﴿ وَاتَّقُوا اللهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللهُ وَاللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾[8] ، قال الإمام القرطبي - رحمه الله - : « وعد من الله تعالى بأن من اتقاه علَّمه ، أي يجعل في قلبه نورًا يفهم به ما يُلقى إليه ؛ وقد يجعل الله في قلبه ابتداءً فرقانًا ، أي فيصلاً يفصل به بين الحق والباطل ، ومنه قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ

(1) مختصر تفسير ابن كثير ، للصابوني ، ج١ ، ص ١٨٦ - ١٨٧ .
(2) سورة آل عمران [١٣٣] .
(3) سورة التوبة [٧٢] .
(4) سورة القمر [٥٤] .
(5) سورة النبأ [٣١-٣٣] .
(6) التفسير القيم ، للإمام ابن القيم ، ص ٥٠٥ .
(7) سورة البقرة [٢] .
(8) سورة البقرة [٢٨٢] .

آمَنُوا إِن تَتَّقُوا اللهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا ﴾[1] [2] .

ويدخل في هذا قوة الحفظ[3] فإن الله - عز وجل - يهب المتقين قوة في حفظ العلم ولهذا قال الشافعي - رحمه الله - :

شكوت إلى وكيع سُوء حفظي فأرشدني إلى ترك المعاصي

وقال اعلم بأن العلم نور ونور الله لا يؤتاه عاصي[4]

ويدخل في التعليم صدق الفراسة التي يميز بها المؤمن الناس فيعرف صادقهم وكاذبهم ويفرِّق بين صالحهم وطالحهم ، وقد قال ﷺ : ((**إن لله عبادًا يعرفون الناس بالتوسم**)) [5] .

٣ - ٨ : إصلاح العمل وتكفير السيئات :

كما قال تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ** ﴾[6] الآية . ويقول : ﴿ **إِن تَتَّقُوا اللهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ** ﴾ [7]، ومع إصلاح العمل وتكفير السيئات فضيلة أخرى ومنَّة عظمى يمنُّ الله بها على المتقين وذلك بقبول أعمالهم ، قال الله تعالى : ﴿ **إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ** ﴾[8] .

٤ - مَن هو التقيّ ؟ أو ما هي صفات المتقين ؟ :

يتردد سؤال في قلب كل مؤمن وهو يقرأ هذا الأجر الكبير والثواب العظيم الذي أَعَدَّه رب العالمين لعباده المتقين ، كيف أكون تقيًّا ؟ أو ما هي صفات المتقين لكي أجاهد نفسي للاتصاف بها والتزامها ؟ ولهذا يحسن بنا أن نذكر بعض صفاتهم ونعرض بعض سماتهم لعل ذلك يكون عونًا لنا للتشبه بهم ، نسأل الله أن نكون منهم ومعهم وفيهم .

---

(١) سورة الأنفال [٢٩] .
(٢) الجامع لأحكام القرآن ، للقرطبي ، ج٣ ، ص ٤٠٦ .
(٣) انظر شرح رياض الصالحين ، لابن عثيمين ، ج٢ ، ص ٤٨٠ .
(٤) المرجع السابق ، ج٢ ، ص ٤٧٩ .
(٥) السلسلة الصحيحة ، للألباني ، حديث رقم ١٦٩٣ ، وقال : إسناده حسن ، ثم ذكر ضعف الإسناد للحديث المشهور ((**واتقوا فراسة المؤمن**)) .
(٦) سورة الأحزاب [٧٠-٧١] .
(٧) سورة الأنفال [٢٩] .
(٨) سورة المائدة [٢٧] .

٤ ـ ١ : أداء الفرائض واجتناب المحرمات :

إن من أبرز سمات المتقين تعظيمهم لشعائر الله - عز وجل - وقيامهم بما فرضه عليهم أحسن قيام ، واجتنابهم ما نهاهم عنه من المحرمات والآثام ؛ ولهذا تجد الكثير من السلف قد وصف المتقين بأدائهم الفرائض واجتنابهم المحرمات ، قال الحسن - رحمه الله -: ((المتقون اتقوا ما حُرِّم عليهم ، وأدوا ما افترض عليهم)) ، وقال عمر بن عبد العزيز : ((ليس تقوى الله بصيام النهار ، ولا بقيام الليل ، والتخليط فيما بين ذلك ، ولكن تقوى الله تركُ ما حرَّم الله ، وأداء ما افترض الله ، فمن رُزق بعد ذلك خيرًا ، فهو خير إلى خير))(1)، وقد مرَّ بنا أن الله جعل تعظيم شعائره دليلاً على تقوى القلوب ﴿ **وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ** ﴾(2).

٤ ـ ٢ ، ٣ : الحفاظ على حقوق الناس وحسنُ عشرتهم (حسن الخلق) :

إلى جانب حفظهم لحقوق ربهم فإنهم يحفظون حقوق إخوانهم بل الناس جميعهم ويحسنون معاملتهم فيقبلون من محسنهم ويعفون عن مسيئهم كما وصفهم الله - عز وجل : ﴿ **وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ** ﴾(3)قال ابن رجب - رحمه الله - : ((وقوله ﷺ : ((**وخالق النَّاس بخلق حسن**)) (4) هذا من خصال التقوى ، ولا تُتِمُّ التقوى إلا به ، وإنما أفرده بالذكر للحاجة إلى بيانه ، فإنَّ كثيرًا من الناس يظنُّ أن التقوى هي القيامُ بحقِّ الله دونَ حقوق عباده ، فنصَّ له على الأمر بإحسان العشرة للناس ، فإنه كان قد بعثه إلى اليمن معلمًا لهم ومفقهًا وقاضيًا ، ومَنْ كان كذلك ، فإنه يحتاج إلى مخالقة الناس بخلق حسن ما لا يحتاج إليه غيره ممن لا حاجة للناس به ولا يُخالطهم ، وكثيرًا ما يغلب على ما يعتني بالقيام بحقوق الله ، والانعكاف على محبته وخشيته وطاعته إهمالُ حقوق العباد بالكلية أو التقصير فيها ، والجمعُ بين القيام بحقوق الله وحقوق عباده عزيزٌ جدا لا يقوى عليه إلا الكُملُ مِنَ الأنبياء والصديقين .

وقال الحارث المحاسبي : ((ثلاثة أشياء عزيزة أو معدومة ، حسنُ الوجه مع الصيانة ، وحسنُ الخلق مع الدِّيانة ، وحُسنُ الإخاء مع الأمانة))(5) .

---

(1) جامع العلوم والحكم ، لابن رجب ، ج١ ، ص ٤٠٠ .
(2) سورة الحج [٣٢] .
(3) سورة آل عمران [١٣٤] .
(4) قطعة من حديث أبي ذر رضي الله عنه وحديث معاذ ، أن رسول الله ﷺ قال : ((**اتق الله حيثما كنت ، وأتبع السيئة الحسنة تمحُها ، وخالق الناس بخلق حسن**)) ، حسنه الألباني في مشكاة المصابيح ، ج٣ ، ص ١٤٠٩ ، حديث رقم ٥٠٨٣ . وقد بسط الحافظ ابن رجب الكلام في سند الحديث ، انظر إن شئت في جامع العلوم والحكم ، ج١ ، ص ٣٩٥ ـ ٣٩٦.
(5) جامع العلوم والحكم ، ج١ ، ص ٤٥٤ ، انظر للتوسع الجامع لأحكام القرآن ، للقرطبي ، ج٤ ، ص ٢١١ ، أقوال وقصص عن السلف في العفو وكظم الغيظ .

٤ ـ ٤ : المسارعة إلى التوبة ، وعدم الإصرار على المعصية :

« فالمتقون مع حرصهم على حفظ حدود ربهم وحقوقه ، قد يقع منهم التقصير ويحصل منهم التفريط ، إذ إنهم غير معصومين ، ولكنهم إذا اقترفوا الذنب تذكروا ، وإذا تذكروا أبصروا فسارعوا إلى التوبة من قريب ، ولم يصروا على المعصية وهم يعلمون أن الإصرار ضار ، وأن تركه خير من التمادي فيه ، وأن لهم ربًّا يغفر الذنب »[1] . كما روى أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ فيما يحكي عن ربه - عز وجل - قال : « **أذنب عبد ذنبا فقال اللهم اغفر لي ذنبي فقال – تبارك وتعالى** : « **أذنب عبدي ذنبًا فعلِمَ أنه له ربًّا يغفر الذنب ويأخذ بالذنب ثم عاد فأذنب فقال** : **أيْ ربِّ اغفر لي ذنبي – فذكر مثله مرتين ، وفي آخره – قال** : **اعمل ما شئت فقد غفرت لك** »[2] .

٤ ـ ٥ : التوقير للرسول ﷺ :

قد وصف الله - عز وجل - أهل التقوى بتوقيرهم الرسول ﷺ وذلك بعدم التقدم بين يديه وخفض الصوت عنده فقال : ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ** ﴾[3] ، فقوله تعالى : ﴿ **امْتَحَنَ اللهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى** ﴾ . قال الفراء : « أي أخلصها للتقوى ، وقال الأخفش : أي اختصها للتقوى ، وقال ابن عباس - رضي الله عنهما - : أذهب عن قلوبهم الشهوات »[4].

ومن التقوى والتوقير التزام سننه في الظاهر والباطن ، والدعوة إلى ملته ، والإنصات للحديث المروي عنه ؛ لأن حرمة النبي ﷺ ميتًا كحرمته حيًّا ، قال القاضي أبو بكر بن العربي : « وكلامه المأثور بعد موته ﷺ في الرفعة مثالُ كلامه المسموع من لفظه ، فإذا قرئ كلامه ، وجب على كل حاضر ألا يرفع صوته عليه ، ولا يعرض عنه »[5] .

٤ ـ ٦ ، ٧ : البذل والتضحية والثبات على العهد :

---

(1) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ، ج٤ ، ص ٢١٢ .
(2) رواه مسلم ، في كتاب التوبة ، باب قبول التوبة من الذنب ، وإن تكررت الذنوب والتوبة ، حديث رقم ٢٧٥٨ .
(3) سورة الحجرات [٣] .
(4) ذكر هذه الأقوال القرطبي في تفسيره ، ج١٦ ، ص ٣٠٨ - ٣٠٩ ، انظر للتوسع في(امتحان القلوب للتقوى) كتاب نظرات في سورة الحجرات ، لمحمد محمود الصواف - يرحمه الله - ص ٥٠ ـ ٥٥ .
(5) نظرات في سورة الحجرات ، للصوّاف ، ص ٣٥ ـ ٣٦ .

المتقون يبذلون النفس والنفيس والغالي والرخيص في سبيل الله ونصرة دينه ، ومع هذا البذل والعطاء تجد الصدق والثبات في البأساء والضراء .. إنهم ليسوا كمن يعبد الله على حرف فإن أصابه خيرٌ اطمأن به ، وإن أصابته فتنة انقلب على وجهه . رسخت التقوى في قلوبهم فثبتت أقدامهم على الطريق على الرغم من كثرة العقبات وجسامة التبعات .. قال الله تعالى في وصفهم : ﴿ لَيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلاَئِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلاَةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴾[1] ، ﴿ لاَ يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ أَن يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَاللهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ ﴾[2] ، ﴿ وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلاَّ إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا * مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً ﴾[3] ، ﴿ بَلَى مَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ وَاتَّقَى فَإِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴾[4] .

٤ ـ ٨ : العدل والإنصاف :

إن من أقرب الصفات التصاقاً بالتقوى العدل والإنصاف ؛ ولهذا فقد تميَّز منهج سلفنا الصالح في الحكم على الجماعات والأفراد بالعدل والإنصاف ، بل لقد حملتهم التقوى أن يعدلوا في أحكامهم مع أشد الناس عداوة لهم وبغضا لهم فما زادهم ذلك إلا عدلاً وإنصافًا استجابة لأمر الله لهم حين قال : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ للهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلاَّ تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾[5][6] .

---

(1) سورة البقرة [١٧٧] .
(2) سورة التوبة [٤٤] .
(3) سورة الأحزاب [٢٢-٢٣] .
(4) سورة آل عمران [٧٦] .
(5) سورة المائدة [٨] .
(6) انظر للتوسع ، الظلال لسيد قطب ، ج٢ ، ص ٨٥٣ ـ ٨٥٤ ، دار الشروق ، ط٧ ، وانظر إنصاف الإمام أحمد ومن بعده شيخ الإسلام في حكمهما على الجهمية والمعتزلة وأهل التصوف ، وكذلك فعل تلميذه ابن القيم ـ رحمهم الله تعالى جميعًا ـ ومن قرأ السير للذهبي رأى تقواه في نقد الرجال وإنصافهم والاعتذار لهم ما أمكن لا سيما إذا كانوا من أهل الفضل والدعوة .

٤ - ٩ : كف اللسان عن الأذى :

إن اللغو والهذر والثرثرة فضلاً عن كبائر آفات اللسان من الغيبة والنميمة والكذب والسخرية بالآخرين ليست من صفات المتقين في شيء ... ولهذا قال أنس رضي الله عنه : ((لا يُتقى الله حق تقاته حتى يخزن لسانه))(١) ، وإنه لأمر عسير على كثير من الصالحين فضلاً عمّن دونهم ؛ ولهذا قال إسحاق بن خلق : ((الورع في المنطق أشد منه في الذهب والفضة))(٢) وقد صدق والله ، إذ رأينا من يكفُّ نفسه عن المال الذي علقت فيه شبهة ولكن يستطيع أن يمسك لسانه عن الكلام الحرام المجمع على حرمته ، ومن تقوى المرء وورعه أن يشتغل بعيوب نفسه ، وقد قيل : ((من سعادة المرء أن يشتغل بعيوب نفسه عن عيوب غيره ، قال الشاعر :

المرء إن كان عاقلاً ورعا أشغَلَه عن عيوبه وَرَعُهْ

كما السقيمُ المريضُ يشغَله عن وجع الناس كلِّهم وجعُه))(٣)

وكم أصاب الدعوة والدعاة سوء شطحات لسان سائب خلا قلبُ صاحبه من التقوى؟! وإن الرجل ليزل عن لسانه أشد مما يزل عن قدميه ﴿**وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلإِنْسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا**﴾(٤) .

قال يونس بن عبيد : ((إنك تكاد تعرف ورع الرجل في كلامه إذا تكلم))(٥) .

٤ - ١٠ : محاسبة النفس وهضمها :

إن المتقين على كثرة أعمالهم ، وحسن أخلاقهم ، وطيب خالصهم محاسبون لأنفسهم متهمون لها بالتقصير والتفريط ، قال ميمون بن مهران : ((لا يكون الرجل تقيا حتى يكون لنفسه أشدَّ محاسبة من الشريك لشريكه ، وحتى يعلم من أين ملبسُه ومطعمُه ومشربُه))(٦).

وقال جعفر بن برقان : ((بلغني عن يونس فضل وصلاح ، فأحببت أن أكتب إليه أسأله ، فكتب إليه : أتاني كتابك تسألني أن أكتب إليك بما أنا عليه ، فأخبرك أني عرضت على نفسي أن تحبَّ للناس ما تحب لها ، وتكره لهم ما تكره لها ، فإذا هي من ذاك بعيدة ، ثم عرضت عليها مرة أخرى ترك ذكرهم إلا من خير ، فوجدت

---

(١) التقوى ، لصلاح الدين مارديني ، ص ١٩ .
(٢) تهذيب مدارج السالكين ، ص ٢٩٠ ، لابن القيم .
(٣) الجامع لأحكام القرآن ، ج١٦ ، ص ٣٢٧ .
(٤) سورة الإسراء [٥٣] .
(٥) الحلية ، لأبي نعيم ، ج ٣ ، ص ٢٠ .
(٦) نزهة الفضلاء ، ج١ ، ص ٤٦٩ ،

الصوم في اليوم الحار الشديد الحر أيسر عليها من ذلك ، هذا أمري يا أخي ... والسلام))(١) .

٤ - ١١ : علي ﷺ يصف المتقين :

وصف علي ﷺ المتقين فقال : ((هم أهل الفضل ، منطقهم صواب وملبسهم في اقتصاد ، ومشيهم في تواضع ، غضوا أبصارهم عن الحرام ، ووقفوا أسماعهم على ما يستفاد ، نزلت أنفسهم منهم في البلاء كما نزلت في الرخاء ، عظم الخالق في أنفسهم ، فصغر ما دونه في أعينهم ، قلوبهم مخزونة ، وشرورهم مأمونة ، مطالبهم في هذه الدنيا خفيفة وأنفسهم عما فيها عفيفة ، صبروا أيامًا قصيرة فأعقبهم راحة طويلة يصفون في الليل أقدامهم ، يرتلون قرآنهم ، جاثون على الركب ، يطلبون النجاة من العطب ، لا يرضون من الأعمال الصالحة بالقليل ، ولا يستكثرون منها الكثير ، من ربهم وجلون ، ومن أعمالهم مشفقون ، يتحملون في الفاقة ، ويصبرون في الشدة ، ويشكرون على النعمة ، قريب أملهم قليل زللهم ، الخير منهم مأمول والشر منهم مأمون))(٢) .

٥ - شجرة التقوى :

التقوى شجرة متفرعة الأغصان ((متفيئة)) الظلال ، طيِّبة الثمار ، وقد ورد في القرآن الكريم العديد من فروعها الزاكية فهلمَّ نتعرف عليها :

٥ - ١ : زاد التقوى :

الزاد نوعان : مادي تقوَّى به الأبدان وهو المأكل والمشرب ، وقد أمرنا الله بالطيب فيه فقال : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ ﴾(٣)، ونوع معنوي تقوى به القلوب والأرواح ولا حياة لها إلا به ﴿ أَوَ مَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ﴾(٤)، وقد جمع الله الأمر بالزادين في آية واحدة وبيَّن أن زاد القلوب خير وأشرف من زاد الأبدان ، وإن كان

---

(١) الحلية ، ج٣ ، ص ١٨ ، سير أعلام النبلاء ، ج٦ ، ص ٢٩١ ، تهذيب التهذيب ، ج١١ ، ص ٤٤٥ ، نقلاً عن كتاب : التقوى في هدى الكتاب والسنة وسير الصالحين ، الدكتور محمد أديب الصالح ، ص ٤٣١ ، قلت : يونس المذكور هو يونس بن عبيد .

(٢) توجيهات وذكرى من خطب المسجد الحرام ، ج١ ، ص ٧٤ ، للدكتور صالح بن حميد ، مكتبة الضياء ، ط١ .

(٣) سورة البقرة [١٧٢] .

(٤) سورة الأنعام [١٢٢] .

كلاهما مطلوبًا قال تعالى : ﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى﴾[1] قال أهل التفسير : ((وتزودوا)) أمر باتخاذ الزاد ، وهو ما يقتات الناس ، وذكروا ما رواه الإمام البخاري عن ابن عباس قال : ((كان أهل اليمن يحجون ولا يتزودون ويقولون : نحن المتوكلون ؛ فإذا قدموا مكة سألوا الناس ، فأنزل الله - عز وجل : ﴿ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى ﴾[2] ، قال القرطبي - رحمه الله تعالى : ((قال رجل لأحمد بن حنبل : أريد أن أخرج إلى مكة على التوكل بغير زاد . فقال له أحمد : اخرج في غير قافلة ، فقال : لا ، إلا معهم ، قال : فعلى جُرُب (مجمع جراب وهو الوعاء) الناس توكلت)) [3] ، وقوله تعالى : ﴿ فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى ﴾ أخبر عز وجل أن خير ما تزود به امرؤ زاد القلوب وهو طاعة الله بالتزام أوامره واجتناب نواهيه ، فكما أن الطعام يتزود به المسافر في الدنيا ليصل إلى مبتغاه ، فكذلك التقوى زاد الآخرة يصل بها المسافر إلى رضوان الله ومغفرته كما قال الأعشى :

إذا أنت لم ترحل بزاد من التُّقى ... ولاقيت بعد الموت مَنْ قد تزودا [ ]

ندمت على ألاَّ تكون كمثله ... وأنك لم تُرْصِدْ كما كان أرصدا

ومما تقدم يتبيَّن أن الداعية ينبغي أن يحرص على الزادين وأن لا يشغله سعيه للزاد الأول عن سعيه واجتهاده في تحصيل الزاد الثاني لأنه خير وأبقى ، قال عمير بن الحمام رضي الله عنه أثناء معركة بدر :

رَكْضًا إلى الله بغير زاد

إلا التقى وعملِ المَعَاد

والصبر في الله على الجهاد

وكلُّ زاد عرضةُ النفاد

غيرَ التقى والبرِّ والرشاد

فائدة : قال أحمد بن حنبل يوصي علي بن المزيني ، وهو يودعه : ((اجعل التقوى

[1] سورة البقرة [١٩٧] .
[2] رواه الإمام البخاري .
[3] الجامع لأحكام القرآن ، ج٢ ، ص ٤١١ - ٤١٢ .
[4] المرجع السابق ، ج٢ ، ص ٤١٢ ، وانظر أيضًا في هذا المعنى تفسير ابن كثير ، ج١ ، ص ٣٤٨ .

زادك ، وانصب الآخرة أمامك » [1] .

٥ ـ ٢ : كلمة التقوى :

قال الله تعالى : ﴿ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى﴾[2] « قال غير واحدٍ من المفسرين : هي كلمة التوحيد « لا إله إلا الله » إذ هي عماد التقوى ، والتي تجعل صاحبها لا يتحرك إلا أثرًا عنها »[3] .

٥ ـ ٣ : لباس التقوى :

قال الله تعالى : ﴿ يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْءَاتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ﴾[4] ، فمن نعم الله - عز وجل - علينا أن أنزل علينا لباسين أحدهما يواري سوآت الجسد من العري القبيح الذي هو من صفات البهائم ، والآخر لباس التقوى الذي يستر النفس مما فيها من فجور ودناءة ، قال سيد - رحمه الله - : « فهناك تلازم بين شرع الله اللباس لستر العورات والزينة ، وبين التقوى .. كلاهما لباس ، هذا يستر عورات القلب ويزينه ، وذاك يستر عورات الجسم ويزينه ، وهما متلازمان ، فعن شعور التقوى لله والحياء منه ينبثق الشعور باستقباح عري الجسد والحياء منه ، ومن لا يستحيي من الله ولا يتقيه لا يهمه أن يتعرى وأن يدعو إلى العري ... العري من الحياء والتقوى ، والعري من اللباس وكشف السوءَة .

إن ستر الجسد حياء ليس مجرد اصطلاح وعرف بيئي - كما تزعم الأبواق المسلطة على حياء الناس وعفتهم لتدمير إنسانيتهم ، وفق الخطة اليهودية البشعة التي تتضمنها مقررات حكماء صهيون - إنما هي فطرة خلقها الله في الإنسان ، ثم هي شريعة أنزلها الله للبشر وأقدرهم على تنفيذها بما سخر لهم في الأرض من مقدرات وأرزاق »[5].

قال الشاعر:

إذا المرء لم يلبس ثيابًا من التقى   تقلّب عريانًا وإن كان كاسيا

وخيرُ لباسِ المرء طاعةُ ربه   ولا خيرَ فيمن كان لله عاصيا [6]

---

[1] سير أعلام النبلاء ، ج ١١ ، ص ٣٠١ ، صفة الصفوة ج ٢ ، ص ١٩٣ .
[2] سورة الفتح [٢٦] .
[3] الأساس في التفسير لحوى ، ج٩، ص ٥٣٧٠ ، وانظر للتوسع التقوى في الكتاب والسنة وسير الصالحين، لمحمد أديب الصالح ، ص ١٢٨ ، والجامع لأحكام القرآن ، ج١٦ ، ص ٢٨٨ - ٢٨٩ .
[4] سورة الأعراف [٢٦] .
[5] في ظلال القرآن ، ج ٣ ، ص ١٢٧٨ - ١٢٧٩ ، دار الشروق ، ٧ .
[6] الجامع لأحكام القرآن ، للقرطبي ، ج ٧ ، ص ١٨٤ - ١٨٥ .

وكما قال ﷺ : ((**رب كاسية في الدنيا عارية يوم القيامة**)) [1] .

٥ - ٤ : إلهام التقوى :

قال الله تعالى : ﴿ **وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا * فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا** ﴾ [2]. قال الإمام ابن كثير - رحمه الله - : ((أي فأرشدها إلى فجورها وتقواها ، أي بيّن ذلك لها وهداها إلى ما قدر لها . قال ابن عباس : بينّ لها الخير والشر ، وقال سعيد بن جبير : ألهمها الخير والشر ، وقال ابن زيد : جعل فيها فجورها وتقواها)) [3] .

وقد كان النبي ﷺ يعلِّم أصحابه أن يدعوا فيقولوا : ((**اللهم آت نفسي تقواها ، وزكِّها أنت خير من زكّاها ، أنت وليُّها ومولاها ، اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع ومن قلب لا يخشع ، ومن دعوة لا يستجاب لها**))[4].

٥ - ٥ : حق التقوى :

من فروع شجرة التقوى الواردة في القرآن : حق التقوى وذلك في قوله تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنْتُم مُّسْلِمُونَ** ﴾[5] ، وقد ذكرنا فيما سبق قول عبد الله بن مسعود رضي الله عنه في حق التقوى .

٦ - مراتب التقوى :

ليس المتقون على درجة واحدةٍ من التقوى ، فهم في مراتب متفاوتة ودرجات متفاضلة قال الطيبي : ((والتقوى مراتب :

الأولى : التوقي عن العذاب المخلّد بالتبرؤ من الشرك ، قال الله تعالى : ﴿ **وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى** ﴾[6]، (أي وفّقهم لتوحيده وإخلاص العبادة له ؛ لأن ((كلمة التقوى)) قد فسرها الكثير من المفسرين بالتوحيد كما سبق) .

الثانية : تجنب كل ما يؤثم من فعل أو ترك حتى الصغائر وهو المتعارف

---

(1) رواه البخاري ، في كتاب الأدب ، باب التكبير والتسبيح عند التعجب ، حديث رقم ٦٢١٨ .
(2) سورة الشمس [٧-٨] .
(3) مختصر تفسير ابن كثير ، ج٣ ، ص ٦٤٤ ، للصابوني ، وانظر للتوسع ، كتاب التقوى ، لمحمد أديب الصالح ، ص ١٥٦ - ١٦٠ .
(4) مسلم ، ج٤ ، ص ٢٠٨٨ ، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار ، باب التعوذ من شر ما عمل ومن شر ما يعمل ، حديث رقم ٢٧٢٢ .
(5) سورة آل عمران [١٠٢] .
(6) سورة الفتح [٢٦] .

بالتقوى في الشرع والمعنى بقوله تعالى : ﴿ **وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا** ﴾[١] .

الثالثة : التنزه عما يشغل سره عن ربه وهو التقوى الحقيقية المطلوبة بقوله : ﴿ **اتَّقُوا اللهَ حَقَّ تُقَاتِهِ** ﴾ ، والمرتبة الثانية هي المقصودة بالحديث - يعني حديث : ((**لا يبلغ العبدُ أن يكون من المتقين حتى يدع مالا بأس به حذرًا مما به بأس**))[٢] ويجوز تنزيله على الثالثة أيضًا))[٣].

أما المرتبة الأولى : فهي تقتضي أن تترسخ عقيدة التوحيد في القلب وتبرز خصالها في الفكر والجوارح وذلك بالولاء للمؤمنين والبراء من أهل الكفر والمنافقين ونبذ خصالهم وصفاتهم الخبيثة .

والمرتبة الثانية : تقتضي أن يجاهد المرء نفسه في تجنب المحرمات الكبائر منها والصغائر ، فإذا ألمَّ ببعض اللمم تاب وأقلع وندم ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ** ﴾[٤] .

((وهكذا تستقيم أحوال العبد وتشرق الهداية في قلبه باستمرار مجاهدته لنفسه ، ﴿ **وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا** ﴾[٥]، فيبتعد شيئًا فشيئًا عن المعصية ويقترب رويدًا رويدًا من طاعة ربه ورضوانه حتى يتمكن من نفسه ويسلم قيادها لله ، حيث ترتفع نفسه إلى مرتبة النفس المطمئنة)) ، قال الله تعالى : ﴿ **فَاتَّقُوا اللهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنْفِقُوا خَيْرًا لأَنْفُسِكُمْ** ﴾[٦]، وقال تعالى : ﴿ **وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ** ﴾[٧].

أما المرتبة الثالثة : ((فهي مرتبة العبد الذي تجرد بكلّيته لله - عز وجل - فهو يجاهد في الله حق جهاده ، ويخشى الله حق خشيته ، ويطيع الله حق طاعته ، ويتبع الرسول ﷺ حق اتباعه ويدعو إلى سبيل الله حق دعوته ، ولا يزال يرتقي حتى يصل

---

(١) سورة الأعراف [٩٦] .
(٢) رواه الترمذي وابن ماجة ، وحسنه الألباني في المشكاة ، حديث رقم ٢٧٧٥ .
(٣) فيض القدير للمناوي ، ج٦ ، ص ٤٤٣ ، وكذلك أورد قول الطيبي صاحب مرقاة المفاتيح ، ج٦ ، ص ٢٧ بعبارة مقاربة لعبارة الفيض .
(٤) سورة الأعراف [٢٠١] .
(٥) سورة العنكبوت [٦٩] .
(٦) سورة التغابن [١٦] .
(٧) سورة محمد [١٧] .

إلى مرتبة الإحسان[١].

٧ - تقوى السر :

المتقي الصادق هو من اتقى الله في سرّه وعلانيته ، وغيبه وشهادته ؛ ذلك لأنه علم أن الله - عز وجل - قريب منه ، مطلع عليه ، لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء ، فمن استحضر رقابة الله عليه في أحواله كلها أوجب له ذلك الكف عن المحرمات والتوقي عن السيئات ؛ ولهذا قرن الله - عز وجل - بين الأمر بالتقوى والتذكير برقابته لعباده فقال : ﴿ **وَاتَّقُوا اللهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا** ﴾ [٢]، ولما كانت تقوى السر أعسر على النفس من تقوى العلانية كثرت الوصية بها والحث عليها والأمر بها كما قال ﷺ لمعاذ ولأبي ذر : ((**اتق الله حيثما كنت**)) . قال ابن رجب - رحمه الله - : (مراده في السر والعلانية حيث يراه الناس وحيث لا يرونه) ، وكان ﷺ يقول في دعائه : ((**أسألك خشيتك في الغيب والشهادة**)) [٣] ، وكان بعض السلف يقول لأصحابه : زهّدنا الله وإياكم في الحرام زهد من قدر عليه في الخلوة ، فعلم أن الله يراه ، فتركه من خشيته ، أو كما قال . وقال الشافعي : أعزُّ الأشياء ثلاثة : الجود من قلة ، والورع في خلوة ، وكلمة الحق عند من يُرجى ويُخاف ، وكتب ابن السماك الواعظ إلى أخ له ، أما بعد : فأوصيك بتقوى الله الذي هو نجيك في سريرتك ، ورقيبك في علانيتك ، فاجعل الله من بالك على كل حالك في ليلك ونهارك ، وخف الله بقدر قربه منك ، وقدرته عليك ، واعلم أنك بعينه ليس تخرج من سلطانه إلى سلطان غيره ولا من ملكه إلى مُلك غيره ، فليعظم منه حذرُك ، وليكثر منه وجلُك والسلام .

وقال أبو الجلد : أوحى الله - تعالى - إلى نبي من الأنبياء قل لقومك : ما بالكم تسترون الذنوب من خلقي ، وتظهرونها لي ؛ إن كنتم ترون أني لا أراكم ، فأنتم مشركون بي ، وإن كنتم ترونَ أني أراكم فلم جعلتموني أهونَ الناظرين إليكم ؟ وكان وهيبُ بن الورد يقول : خف الله على قدر قدرته عليك ، واستحي منه على قدر قربه منك ، وقال له رجل : عظني ، فقال : اتق الله أن يكون أهون الناظرين إليك . كان بعض السلف يقول : أتراك ترحم مَنْ لم تقرَّ عينيه بمعصيتك حتى علم أن لا عين تراه غيرك؟ قال الحارث المحاسبي : المراقبة علمُ القلب بقرب الربِّ ، وسُئل الجنيد بما يستعان على غض

---

(١) التقوى لصلاح مارديني ، ص ١١٣ - ١١٤ .
(٢) سورة النساء [١] .
(٣) رواه النسائي ، ج٣ ، ص ٥٤ - ٥٥ ، وغيره وهو حديث صحيح ، عن محقق جامع العلوم والحكم ، ج١ ، ص ٤٠٧ .

البصـــــــــر ، قال : بعلمك أن نظر الله إليك أسبق من نظرك إلى ما تنظره ، وكان الإمام أحمد يُنشدُ :

إذا ما خلوت الدهرَ يومـًا فلا تقل خلوتُ ولكْن قُلْ عليَّ رَقيبُ
ولا تحسبنَّ اللهَ يَغْفُلُ ساعةً ولا أنَّ ما يخفى عليه يغيبُ

وقال أبو الدرداء : ليتق أحدكم أن تلعنه قلوبُ المؤمنين وهو لا يشعر ، يخلو بمعاصي الله ، فيلقي الله له البغضَ في قلوب المؤمنين .

قال سليمانُ التيميُّ : إن الرجل ليصيب الذنب في السر فيصبح وعليه مذلتُه ، وقال غيره : إن العبد ليذنب الذنب فيما بينه وبين الله ، ثم يجيء إلى إخوانه ، فيرون أثَرَ ذلك عليه ، وهذا من أعظم الأدلة على وجود الإله الحقِّ المجازي بذرَّات الأعمال في الدنيا قبل الآخرة ، ولا يضيع عنده عملُ عاملٍ ولا ينفع من قدرته حجاب ولا استتار ، فالسعيدُ مَنْ أصلح ما بينه وبينَ الله ، فإنه من أصلح ما بينه وبين الله أصلح ما بينه وبين الخلق ، ومن التمس محامدَ الناس بسخط الله ، عاد حامده من النَّاس له ذاما .

قال أبو سليمان : ((الخاسرُ من أبدى للناس صالح عمله ، وبارز بالقبيح من هو أقرب إليه من حبل الوريد)) [1] .

٨ - كيف نصل إلى منزلة التقوى ؟

هناك جملة أمور تعين صاحبها على الوصول إلى منزلة التقوى ، نسأل الله - عز وجل - أن يجعلنا من أهلها ، ومن هذه الأمور :

٨ - ١ : العلم :

يقول ابن حجر الهيثمي : ((وحقيقتها - التقوى - متوقفة على العلم ، إذ الجاهل لا يعلم كيف يتقي لا من جانب الأمر ولا من جانب النهي ، وبهذا تظهر فضيلة العلم وتميزه عن سائر العبادات والأحوال والمقامات ، لتوقفها جميعها عليه ، ومن ثم قال ﷺ : ((**من يرد الله به خيرًا يفقهه في الدين**)) [2] .

والمراد بالعلم المتوقف عليه ذلك ، هو العلم العيني الذي لا رخصة للمكلف في تركه ، وهو تعلم ما أنت متلبس به ، فنحو الصلاة وشروطها وأركانها ، والصوم

---

(1) العلوم والحكم ، ج١ ، ص ٤٠٧ - ٤١١ ((مختصرًا)) .
(2) متفق عليه ، رواه البخاري ، في العلم ، باب من يرد الله به خيرًا ، حديث رقم ٧١ ، ورواه مسلم في الزكاة ، باب النهى عن المسألة ، حديث رقم ١٠٣٧ .

وشروطه وأركانه ، يتعين على كل مكلف تعلم ظواهرها وما يكثر وقوعه منها . وكذا الزكاة لمن له مال ، والحج لمن استطاعه ، ونحو البيع لمن أراد مباشرته ، والنكاح لمن أراد الدخول فيه ومعاشرة الزوجات لمن أراد تزوج امرأة ثانية .

فمن علم ما خوطب به عينًا أو أراد التلبس به ثم اجتنب كل منهي وفعل كل مأمور فهو المتقي الكامل الذي لا يزال يتقرب إلى الله تعالى بالنوافل حتى يحبه - الحديث -))[1].

وقال ابن رجب - رحمه الله - : ((وأصل التقوى : أن يعلم العبدُ ما يُتقى ثم يتقي ، قال عون بن عبد الله : تمام التقوى أن تبتغي علمَ ما لم يُعلم منها إلى ما عُلِمَ منها ، وذكر معروف الكرخي عن بكر بن خنيس ، قال : كيف يكون متقيًا من لا يدري ما يتقي؟))[2].

٨ - ٢ : التزام الفرائض والإكثار من النوافل :

العبادة بجميع أشكالها وصورها طريق توصل العبد لمنزلة التقوى إذا قام بالعبادة على وجهها ، فاتبع ولم يبتدع ، وخشع فيها وخضع ، فإن أثرها في القلب عظيم ؛ ولهذا قال الله تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ** ﴾[3] . فجعل للعبادة هدفًا ينتهي إليه العبد هو تقوى الله ، قال القرطبي - رحمه الله - : ((والعبادة هنا عبارة عن توحيده والتزام شرائع دينه ، وأصل العبادة الخضوع والتذلل ، يُقال : طريق مُعبَّدة إذا كانت موطوءةً بالأقدام)) [4] .

٨ - ٣ : قراءة القرآن بتدبر :

قراءة القرآن من أعظم العبادات أثرًا في القلب وزكاة للنفس ، وقد جعل الله - تعالى - التقوى ثمرة من ثمار تدبر القرآن ، والعمل به ، فقال عز وجل : ﴿ **وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا** ﴾[5] قال قتادة : ((**أو يحدث لهم ذكرًا**)) حذرًا وورعًا [6] .

---

(1) الفتح المبين ، لابن حجر الهيثمي نقلاً عن التقوى ، لصلاح مارديني .
(2) جامع العلوم والحكم ، ج١ ، ص ٤٠٢ .
(3) سورة البقرة [٢١] .
(4) الجامع لأحكام القرآن ، للقرطبي ، ج١ ، ص ٢٥٥ ، انظر للتوسع جند الله ، لسعيد حوى ، ص ٣٣٢ وما بعدها .
(5) سورة البقرة [١١٣] .
(6) الجامع لأحكام القرآن ، ج ١١ ، ص ٢٥٠ .

٨ - ٤ : الدعاء :

لقد كان سيّد المرسلين وإمام المتقين يسأل الله - عز وجل - أن يرزقه التقوى ، فقد روى الإمام مسلم عن ابن مسعود ﷺ أن النبي ﷺ كان يقول : ((**اللهم إني أسألك الهدى والتقى والعفاف والغنى**)) [1]، ومن دعائه ﷺ : ((**اللهم آت نفسي تقواها وزكها أنت خير من زكّاها ، أنت وليّها ومولاها**)) [2].. وكان يدعو لمن أراد سفرًا من أصحابه فيقول له مودعًا : ((**زودك الله التقوى ، وغفر ذنبك ، ويسّر لك الخير حيثما كنت**))[3] ، ولقد كان السلف يلحون على الله - عز وجل - بالدعاء يسألونه التقوى ، ومن أولئك الأبرار عبدالله بن عمر إذ كان يدعو فيقول : ((اللهم يسرني لليسرى ، وجنبني العسرى ، واغفر لي في الآخرة والأولى ، واجعلني من أئمة المتقين)) [4].

٨ - ٥ : صحبة المتقين :

صحبة أهل التقوى والورع من أعظم الأسباب المعينة على التقوى ولهذا قال ﷺ :

((**ولا تصاحب إلا مؤمنًا ولا يأكل طعامك إلا تقي**))[5]، قال الطيبي : ((فالمعنى لا تصاحب إلا مطيعًا ، ولا تخالل إلا تقيًّا)) [6]، وقال ﷺ : ((**المرء على دين خليله ، فلينظر أحدكم من يخالل**))[7]، قال الغزالي : ((مجالسة الحريص ومخالطته تحرك الحرص ، ومجالسة الزاهد ومخاللته تزهد في الدنيا ؛ لأن الطباع مجبولة على التشبه والاقتداء ، بل الطبع يسرق من الطبع من حيث لا يدري)) [8]، وقد قال الحق - عز وجل : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ** ﴾[9].

وقد كان السلف يتعلم بعضهم من بعض الورع بالمخالطة والصحبة كما قال الضحاك : ((لقد رأيتنا ، وما يتعلم بعضنا من بعضٍ إلا الورع)) ، وفي لفظ : ((وما

---

(1) رواه مسلم ، كتاب الذكر والدعاء ، حديث رقم ٢٧٢١ ، انظر شرح الحديث في شرح رياض الصالحين لابن عثيمين ، ج٢ ، ص ٤٨٨ .
(2) رواه مسلم ، كتاب الذكر والدعاء ، باب التعوذ من شر ما عمل ، ومن شر ما لم يعمل ، حديث رقم ٢٧٢٢ .
(3) حسن ، صحيح الجامع ، للألباني ، حديث رقم ٣٥٧٩ .
(4) الحلية ، ج ١ ، ص ٣٠٨ ، نقلاً عن التقوى ، لمحمد أديب الصالح ، ص ٥٩٨ .
(5) رواه الترمذي وأبو داود والدارمي ، وقد حسنه الألباني في المشكاة ، حديث رقم ٥٠١٨ .
(6) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح ، ج٨ ، ص ٧٥١ .
(7) رواه أحمد والترمذي وأبو داود والبيهقي في الشعب ، وقال الترمذي : هذا حديث حسن غريب ، وقال النووي : إسناده صحيح .
(8) مرقاة المفاتيح ، ج٨ ، ص ٧٥١ .
(9) سورة التوبة [١١٩] .

رأيتنا ، وما نتعلم إلا الورع ›› (١) .

٨ - ٦ : القراءة في سير المتقين :

من الأمور التي ينبغي أن يكون المؤمن على صلة بها تلك السير الزاكية والأخبار الفاضلة لسلفنا الأتقياء البررة الأخفياء لكي تقتدي النفوس بقوة إيمانهم وصدق مواقفهم ، وتطلع على تقواهم وشدة ورعهم ، فتقتفي آثارهم وتتمثل أخلاقهم ، وتأتسي بسلوكهم وعظيم خصالهم وتسير على نهجهم ، فإن لم تبلغ مبلغهم ، ولم تصل إلى مرتبتهم ، فعلَّك تتشبه بهم على حد قول من قال :

فتشبهوا إن لم تكونوا مثلهم إن التشبه بالكرام فلاح

٨ - ٧ : الجدية في الالتزام :

الجدية في التزام الكتاب والسنة ، والاجتهاد في التمسك بها طريق أخرى للوصول لمنزلة التقوى قد بينها الحق - عز وجل - في كتابه فقال : ﴿ **خُذُوا مَا آتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ** ﴾(٢) ، فقوله تعالى : ﴿ **بِقُوَّةٍ** ﴾ ، أي بجد واجتهاد ، قاله ابن عباس وقتادة والسدي ، وقيل بنية وإخلاص ، قال مجاهد : ‹‹ القوة : العمل بما فيه ›› (٣)، وقد قال الله - عز وجل - لنبيٍّ من أنبيائه وصفيٍّ من أصفيائه : ﴿ **يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ** ﴾(٤) ، أي الالتزام لأوامره ، والكف عن نواهيه(٥) .

٨ - ٨ : عدم الإغراق في المباحات :

ليس من صفات أهل التقوى والورع الإكثار من المباح ؛ ولهذا قال ﷺ : ‹‹ **لا يبلغ العبدُ أن يكون من المتقين حتى يدع ما لا بأس به حذرًا مما به بأس** ››(٦).

قال المناوي : ‹‹ حتى يدع مالا بأس به حذرًا مما به بأس ›› : أي يترك فضول الحلال حذرًا من الوقوع في الحرام ›› ، قال الغزالي - رحمه الله - : ‹‹ الاشتغال بفضول الحلال والانهماك فيه يجر إلى الحرام ومحض العصيان لشره النفس

---

(١) الزهد لوكيع ، ٢٢٣ ، قال المحقق : أخرجه ابن أبي شيبة وابن المبارك في الزهد ، وابن سعد ، ج ٦ ، ص ٣٠١ ، والبيهقي في الزهد ، وابن أبي الدنيا في الورع ، ق ١٦٠ / ب ، وإسناد وكيع صحيح .
(٢) سورة البقرة [٦٣] .
(٣) الجامع لأحكام القرآن ، ج١ ، ص ٤٣٧ .
(٤) سورة مريم [١٢] .
(٥) المرجع السابق ، ج ١١ ، ٨٦ .
(٦) رواه الترمذي وابن ماجة ، وقد حسّن إسناده الألباني في المشكاة ، حديث رقم ٢٧٧٥ .

وطغيانها وتمرد الهوى وطغيانه ، فمن أراد أن يأمن الضرر في دينه اجتنب الخطر فامتنع عن فضول الحلال حذرًا أن يجره إلى محض الحرام »(١) .

قال ابن القيم - رحمه الله - : « قال لي يومًا شيخ الإسلام ابن تيمية – قدس الله روحه – في شيء من المباح : هذا ينافي المراتب العالية ، وإن لم يكن شرطا في النجاة ، أو نحو هذا من الكلام ، فالعارف يترك كثيرا من المباح إبقاءً على صيانته ، ولا سيما إذا كان ذلك المباح برزخا بين الحلال والحرام »(٢) .

قال بشر بن الحارث : « ما ينبغي للرجل أن يشبع اليوم من الحلال ؛ لأنه إذا شبع من الحلال دعته نفسه إلى الحرام ، فكيف إلى هذه الأقذار اليوم »(٣) .

٨ - ٩ : الابتعاد عن الشبهات ومواطن الريب :

الذي يسعى في الوصول إلى التقوى يتوقف عند الشبهات ويتقيها فإن في الحلال المحض سعة تغنيه عن الرِّيبِ التي تقلق القلب وتحيك في الصدر ؛ ولهذا قال ﷺ : « **دع ما يريبك إلى ما لا يريبك** »(٤) .

قال أبو عبد الرحمن العمري الزاهد : إذا كان العبدُ ورعًا ، ترك ما يريبه إلى ما لا يريبه ، وقال حسان بن أبي سنان : « ما شيء أهون من الورع ، إذا رابك شيء فدعه . (قال ابن رجب) : وهذا إنما يسهل على مثل حسّان - رحمه الله - » .

قال هشام بن حسان : « ترك محمدُ بن سيرين أربعين ألفًا فيما لا ترون به اليوم بأسًا وتنزّه يزيد بن زريع عن خمسمائة ألف من مِيراث أبيه ، فلم يأخذه ، وكان أبوه يلي الأعمال للسلاطين ، وكان يزيدُ يعمل الخوص ، ويتقوّت منه إلى أن مات - رحمه الله - بل بلغ ورعهم حتى في مشاعر القلب فقد كان المسور بن مخرمة قد احتكر طعامًا كثيرًا ، فرأى سحابًا في الخريف فكرهه ، فقال : ألا أراني قد كرهت ما ينفع المسلمين؟ فآلى أن لا يربح فيه شيئًا ، فأخبر بذلك عمر بن الخطاب فقال له عمر : جزاك الله خيرًا »(٥) :

إذا كنتُ لا أمنع نفسي شبهةً ... ولا في مطعمي أتورعُ

---

(١) فيض القدير ، للمناوي ، ج٦ ، ص ٤٤٣ .
(٢) تهذيب مدارج السالكين ، لابن القيم ، ص ٢٩٢ .
(٣) الورع ، للإمام أحمد ، ص ٧ ، ١٠٢ .
(٤) حديث صحيح ، رواه أحمد والترمذي والنسائي ، وقال الترمذي : حسن صحيح ، صححه الأرناؤوط ، انظر حاشية جامع العلوم والحكم ، ج١ ، ص ٢٧٨ .
(٥) جامع العلوم والحكم ، ج١ ، ص ٢٨٠ – ٢٨١ ، باختصار .

فكيـــف طريقـــي إلى التقـــى وهـل لي نـور في القلـب يوضـعُ[١]

ومما يعين النفس على ترك الشبهة تذكر الأجر والعوض من الله رب العالمين ، ولهذا قال الرسول ﷺ يوصي أحد أصحابه : ((**لن تدع شيئًا اتقاء الله إلا أعطاك الله خيرًا منه**))[٢].

٨ - ١٠ : تذكر الموقف بين يدي الحق - عز وجل :

إن تذكر العبد أنه موقوف ومسؤول عن أعماله يورثه الخوف من ذلك المقام والنهي للنفس عن الهوى والآثام ، وقد جمع الله - عز وجل - التقوى والتذكير بالموقف بين يديه فقال : ﴿ **وَاتَّقُوا اللهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُم مُّلاَقُوهُ** ﴾[٣] ، أي ليحاسبكم ويجازيكم على أعمالكم فاحذروا معصيته ومخالفة أمره .

٩ - مواقف في التقوى والورع لسلفنا الصالح :

ما أجمل أن يعيش المرء مع تلك الكوكبة الطاهرة من سلفنا الصالح من خلال سيرهم المشرقة وأيامهم المباركة التي عمروها بالطاعات ، والجد في تحصيل الحسنات ، ولكن أجمل من ذلك وأعظم وألزم أن نقتدي بالقوم في صالح عملهم ونهتدي براشد هديهم ، فإن لم نستطع فلنتشبه بهم .

٩ - ١ : لا يأكل أجر عمل لم يقم به :

قال غنّام بن حفص : ((مرِض أبي خمسة عشر يومًا ، فدفع إليَّ مائة درهم ، وقال : امض بها إلى العامل ، وقل له : هذه رزق خمسة عشر يومًا لم أحكم فيها بين المسلمين ، لاحظَّ لي فيها))[٤] قلت : كم من الموظفين من يتأخر الساعات الطوال عن وظيفته ، بل ويتغيب أيامًا أكثر من أيام القاضي حفص دون أن يحاسب نفسه عن راتبه الذي يتقاضاه أحرام هو أم حلال؟ .

٩ - ٢ : مَنْ أكل طعامًا حرامًا وهو لا يعلم :

عن عائشة - رضي الله عنها - قالت : ((كان لأبي بكر ﷺ غلاما يخرّج له الخراج ، فكان أبو بكر يأكل من خراجه ، فجاء يومًا بشيء فأكل أبو بكر ، فقال له الغلام : أتدري ما هذا ؟ فقال أبو بكر : وما هو؟ قال : كنت تكهّنت لإنسان في

(١) بهجة النفوس لابن أبي جمرة ، ج ٢ ، ص ١٤٣ ، دار الجيل ، ط ٣ .
(٢) رواه أحمد ، ج ٥ ، ص ٧٩ ، قال الهيثمي في المجمع ، ج ١٠ ، ص ٢٩٦ : ورجال أحمد رجال الصحيح ، انظر أيضاً الترغيب والترهيب للأصبهاني ، ج١ ، ص ٤٠٥ .
(٣) سورة البقرة [٢٢٣] .
(٤) وفيات الأعيان لابن خلّكان ، ج٢ ، ص ١٩٨ ، نقلاً عن صفحات مشرقة من حياة السابقين ، لنذير محمد مكتبي ، ص ٨١ ، دار البشائر الإسلامية ، ط١ .

الجاهلية ، وما أُحْسِن الكهانة ، إلا أني خدعته ، فلقيني فأعطاني بذلك ، فهذا الذي أكلت فأدخل أبو بكر يَدَه ، فقاء كلَّ شيء في بطنه » [1]، وقد روي أنه قال ﷺ :« اللهم هذه مقدرتي ، فما بقي في العروق فأنت حسبه **!!** ».

٩ ـ ٣ : « أتت عمر بن عبد العزيز سلَّتا رُطبٍ من الأرْدن ، فقال : ما هذا ؟ قال : رطب بعث به أمير الأردن ، قال : علام جيء به؟ على دوابِّ البريد ، قال : فما جعلني الله أحق بدوابِّ البريد من المسلمين ، أخرجوها ، فبيعوهما ، واجعلوا ثمنهما في علفِ دواب البريد ، قال الراوي : فغمزني ابنُ أخيه فقال لي : اذهب ، فإذا قامتا على ثمن ، فخذهما عليَّ . قال : فأخرجتا إلى السوق فبلغتا أربعة عشر درهمًا ، فأخذتهما ، فجئت بهما إلى ابن أخيه فقال : اذهب بهذه الواحدة إلى أمير المؤمنين ، وحَبَسَ لنفسه واحدةً ، قال : فأتيته بها ، فقال : ما هذه ؟ قلت : اشتراها فلان ابنُ أخيك ، فبعث إليك بهذه ، وحبس لنفسه الأخرى . قال : الآن طاب لي أكلهُ » [2] .

٩ ـ ٤ : التقلل وترك الشهوات من الورع :

« قال رجل لابن عمر : ألا أجيئك بـ (جوارشن)قال : وأي شيء هو؟ قال : شيء يهضم الطعام إذا أكلته . قال : ما شبعت منذ أربعة أشهر ، فليس ذلك أني لا أقدر عليه ، ولكن أدركت أقوامًا يجوعون أكثر مما يشبعون » [3] .

٩ ـ ٥ : التقوى في الفتوى :

« سئل ابن المبارك في رجل رمى طيرًا ، فوقع في أرض قوم ، لمن الصيد؟ قال ابن المبارك : لا أدري ، قلت لأبي عبد الله ــ أحمد بن حنبل ـ ما تقول أنت فيها ؟ قال : هذه دقيقة ، ما أدري ما أقول فيها ، وأبى أن يجيب » [4] .

١٠ ـ أحاديث في التقوى والورع :

١٠ ـ ١ : هل تتعارض التقوى مع الغنى ؟

قال رسول الله ﷺ : « **لا بأس بالغنى لمن اتقى ، والصحة لمن اتقى خير من الغنى ، وطيب النفس من النعم** » [5] .

١٠ ـ ٢ : من اتقى دخل الجنة :

---

(1) رواه البخاري ، كتاب مناقب الأنصار ، باب أيام الجاهلية ، حديث رقم ٣٨٤٢ .
(2) سيرة عمر بن عبد العزيز ، لابن عبد الحكم ، ص٥٤ ـ ٥٥ ، نقلاً عن صفحات مشرقة لنذير مكتبي ، ص٧٦-٧٧.
(3) الورع ، للإمام أحمد بن حنبل ﷺ ، ص ١٠٠ ، دار الكتب العلمية ، ت : القاروط .
(4) الورع ، للإمام أحمد بن حنبل ﷺ ، ص ١٠٣ .
(5) قال البوصيري في زوائد ابن ماجة ٢١٤١ : إسناده صحيح ورجاله ثقات ، انظر الترغيب والترهيب للأصبهاني ، ت أيمن شعبان ، ص ٤٠٩ ، حديث رقم ٧١٤ .

قال رسول الله ﷺ : ((**من اتقى الله دخل الجنة ينعم فيها ولا يبأس ، ويحيا فيها ولا يموت ، ولا تبلى ثيابه ، ولا يفنى شبابه**))(١).

١٠ - ٣ : كرمُ المرء تقواه :

قال رسول الله ﷺ : ((**كَرَمُ المرء تقواه ، ومروءته عقله ، وحسبُه خلقه**))(٢).

١٠ - ٤ : اتقوا الدنيا .. اتقوا النساء :

قال النبي ﷺ : ((**إن الدنيا خلوة خضرة ، وإن الله مستخلفكم فيها فينظر كيف تعملون ، فاتقوا الدنيا واتقوا النساء ، فإن أولَ فتنةِ بني إسرائيل كانت في النساء**))(٣).

قال الشيخ ابن عثيمين في شرح الحديث : (((**فاتقوا الدنيا واتقوا النساء**)) اتقوا النساء أي احذروهن .. ثم قال : ((**فإن أول فتنة بني إسرائيل كانت في النساء**)) ، فافتتنوا في النساء فضلوا وأضلوا والعياذ بالله ، ولذلك نجد أعداءنا وأعداء ديننا يُركِّزون على مسألة النساء وتبرجهن واختلاطهن بالرجال ومشاركتهن للرجال في الأعمال حتى يصبح الناس كأنهم الحمير لا يهمهم إلا بطونهم وفروجهم والعياذ بالله ، وتصبح النساء كأنهن دُمى أي صور لا يهتم الناس إلا بشكل المرأة) (٤) .

١٠ - ٥ : عن أبي هريرة ﷺ قال : ((قيل يا رسول الله مَنْ أكرم الناس؟ قال : **أتقاهم**)) (٥)وهو بيان لقوله تعالى : ﴿ **إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ** ﴾(٦)، وانظر الحديث ١٠ - ٣.

١٠ - ٦ : قال ﷺ : ((**الحسب : المال ، والكرم : التقوى**)) (٧) .

خامسا : بعض التطبيقات العملية المقترحة لتأكيد معاني الدرس وتحقيق أهدافه :

١- عدم الجلوس عند التلفاز حال عرضه للنسوان ومزامير الشيطان وسائر

---

(١) الترغيب والترهيب ، ج١ ، ص ٤٠٨ ، قال المحقق : صحيح .
(٢) صحيح ، قاله محقق الترغيب والترهيب ، للأصبهاني ، وقال : صححه ابن حبان ١٩٢٩ ، والحاكم ، ج١ ، ص ١٢٣ عن أبي هريرة .
(٣) رواه مسلم ، حديث رقم ٢٧٤٢ ، كتاب الذكر والدعاء .
(٤) شرح رياض الصالحين ، ج٢ ، ص ٤٨٥ .
(٥) رواه البخاري ، كتاب أحاديث الأنبياء ، حديث رقم ٣٣٧٤ ، ومسلم كتاب : الفضائل ، حديث رقم ٢٣٧٨.
(٦) سورة الحجرات [١٣] .
(٧) صحيح عن سمرة ، صحيح الجامع للألباني ، حديث رقم ٣٦٧٨ ، قال في الحاشية : أي الشيء الذي يكون فيه الإنسان عظيم القدر عند الناس هو المال ، والذي يكون به عظيمًا عند الله هو التقوى .

المحرمات .

٢- الإقلال من الذهاب إلى الأسواق لأنها مواطن يكثر فيها التعري ومكان للفتن .

٣- هجر مجالس الغيبة والنميمة والتي يكثر فيه سقط القول .

٤- غض البصر عن المحرمات سواء كانت حقيقة أو صورة في مجلة أو نحوها .

٥- الحرص على المال الحلال في البيع والشراء ، والقيام بالوظيفة على الوجه المطلوب إن كان موظفًا ليكون ما يتقاضاه عن عمله حلالاً .

٦- كفُّ اللسان عن عيوب الناس وغيبتهم ومجاهدته في الصدق إذا تكلم والعدل إذا حكم فإن ذلك من التقوى والورع .

٧- عدم مخالطة الفسقة والظلمة إلا لمصلحة شرعية راجحة ، وقد قال الله تعالى : ﴿ **وَلاَ تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ** ﴾ .. ويتأكد ذلك حال تلبسهم بفسقهم ومعصيتهم .

٨- الاعتدال في المطعم والمسكن ؛ لأن ذلك من صفات المتقين ؛ ولأنها أعون للقلب على سلوك طريقهم (الاعتدال في المباحات) .

٩- القراءة في سير الصالحين ، والوقوف على أيام المتقين ، ومن الكتب المرشحة : الورع للإمام أحمد ، والحلية للحافظ أبي نعيم .

١٠-يُضاف إلى ذلك كلِّه .. كثرة الأذكار ، وزيارة المقابر للاعتبار ، وقيام الليل فإنه مأدبة المتقين الأبرار .

تنبيه : قد يصعب على المربي معرفة أحوال الطالب في هذه الأمور كلِّها .. ولكن من خلال المعايشة والملازمة يتبدى الكثير منها ، والله المستعان .

سادساً : المراجع :

١- فتح الباري ، لابن حجر ، طبعة المعرفة .

٢- صحيح مسلم ، بترتيب عبد الباقي .

٣- صحيح الترمذي ، للألباني .

٤- صحيح ابن ماجة ، للألباني .

٥- المرقاة شرح المشكاة ، القاري .

٦- كتاب الورع للإمام أحمد ، دار الكتب العلمية ، ت : القاروط ، ط ١ .

٧- شرح رياض الصالحين ، لابن عثيمين .

٨- كتاب الزهد ، للإمام وكيع الجراح ، مكتبة الدار ، ط١ .
٩- التقوى في هدى الكتاب والسنة ، دار القلم ، محمد أديب الصالح ، ط١ .
١٠- التقوى صلاح الدين مارديني ، المكتب الإسلامي ، ط٢ .
١١- الترغيب والترهيب للأصبهاني ، ت أيمن شعبان ، دار زمزم ، ط١ .
١٢- موسوعة أخلاق القرآن للشرباصي ، دار الرائد العربي .
١٣- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء ، لابن نعيم الأصبهاني ، دار الكتاب العربي .
١٤- تهذيب مدارج السالكين ، لابن القيم ، دار السوادي .
١٥- نزهة الفضلاء ، لمحمد موسى عقيل ، دار الأندلس ، ط٢ .
١٦- صفحات مشرقة في حياة السابقين ، نذير محمد مكتبي ، دار البشائر ، ط١ .
١٧- إسلامنا ، سيد قطب ، دار الكتاب العربي .
١٨- جامع العلوم والحكم ، لابن رجب ، ت الأرناؤوط .
١٩- فيض القدير المناوي ، دار المعرفة .
٢٠- معجم الأعلام والموضوعات في القرآن الكريم ، عبد الصبور مرزوق ، دار الشروق ، ط١.
٢١- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ، للهيثمي ، دار الكتاب العربي .
٢٢- الجامع لأحكام القرآن ، للقرطبي .
٢٣- في ظلال القرآن ، لسيد قطب ، دار الشروق ، ط٧ .
٢٤- مختصر تفسير ابن كثير ، للصابوني .
٢٥- مختصر تفسير ابن كثير ، للرفاعي .
٢٦- صحيح الجامع الصغير وزياداته ، للألباني .
٢٧- الأساس في التفسير ، لسعيد حوى ، دار السلام .
٢٨- توجيهات وذكرى ، للدكتور الشيخ صالح بن حميد .
٢٩- نظرات في سورة الحجرات لمحمد محمود الصواف .
٣٠- السلسلة الصحيحة للألباني ، المكتب الإسلامي ، دار المعارف .
٣١- شؤم المعصية وبركة التقوى ، البيانوني ، دار السلام .
٣٢- أين نحن من أخلاق السلف ، عبد العزيز الجليل وبهاء الدين عقيل ، دار طيبة .
٣٣- حياة الصحابة الكاندهلوي ، دار الفكر .

٣٤- لسان العرب ، لابن منظور ، دار التراث العربي .
٣٥- الإرواء ، للألباني .
ومراجع أخرى كمعجم الألفاظ ، الموسوعة لأطراف الحديث ، غذاء الألباب للسفاريني ، روضة المحبين لابن القيم .

فهرست

التنـافس

أولا : دلالة المصطلح :

أ – لغة :

التنافس « أصله من الشيء النفيس الذي تحرص عليه نفوس الناس فيريده كل واحدٍ لنفسه ، وينفس به على غيره ، أي يضن به » [١] .

قال في لسان العرب : « نافستُ في الشيء منافسةً ونِفاسًا إذا رغبت فيه على وجه المباراة في الكَرَم ، وتنافسوا فيه ، أي رغبوا . وفي الحديث : « **أخشى أن تبسط الدنيا عليكم كما بُسِطت على مَنْ كان قبلكم فتنافسوها كما تنافسوها** » ، وهو من المنافسة الرغبة في الشيء والانفراد به ، وهو من الشيء النفيس الجيد في نوعه » [٢] .

« تنافس القوم في كذا : تسابقوا فيه وتباروا دون أن يلحق بعضُهم الضررَ ببعض »[٣] .

ب - اصطلاحًا (شرعًا) :

من خلال تفسير قوله تعالى : ﴿ **وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ** ﴾[٤] ، يتبين لنا معنى التنافس والمنافسة ، قال عطاء : المعنى « فليستبق المستبقون »[٥] ، أي بمعنى المسابقة وبنفس المعنى فسرَها الطبري[٦] ، وكذلك ابن كثير[٧] ، وبمعنى الرغبة في الشيء والمبادرة إليه .

قال القرطبي : « ﴿ **فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ** ﴾ ، أي فليرغب الراغبون .. وإلى ذلك فليتبادر المتبادرون في العمل » [٨] . قال ابن حجر - رحمه الله - : « المنافسة وهي الرغبة في الشيء ومحبة الانفراد به والمغالبة عليه ، وأصلها من الشيء النفيس في

---

(١) فتح القدير ، للشوكاني ، ج٥ ، ص ٣٩٩ ، نقله الشوكاني عن البغوي .
(٢) لسان العرب ، لابن منظور ، ج٦ ، ص ٤٥٠٣ ، وحديث « **أخشى أن تبسط** » رواه البخاري ، حديث رقم ٦٤٢٥ .
(٣) المعجم الوجيز ، مجمع اللغة العربية ، ص ٦٢٧ .
(٤) سورة المطففين[٢٦] .
(٥) فتح القدير ، للشوكاني ، ج٥ ، ص ٣٩٩ .
(٦) مختصر تفسير الطبري ، للصابوني ، ج٢ .
(٧) تيسير العلي القدير لاختصار تفسير ابن كثير ، للرفاعي ، ج٤ ، ص ٤٩٣ .
(٨) الجامع لأحكام القرآن ، للقرطبي ، ج١٩ ، ص ٢٦٦ .

نوعه)) [1] .

ج – الألفاظ المقاربة للمصطلح :

١ - المسابقة :

((سابق إلى الشيء مسابقة وسباقًا أسرع إليه [2]، والسبق : المبادرة إلى الشيء ، قال تعالى : ﴿ وَاسْتَبَقَا الْبَابَ ﴾[3] يعني بادرًا [4]، وقوله تعالى : ﴿ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ﴾[5] .

أي بادروا إليها))[6].

٢ - المسارعة :

قال ابن منظور : ((المسارعة إلى الشيء : المبادرة إليه))[7]، قال القرطبي : ((المسارعة : المبادرة))[8].

٣ - المبادرة :

وهي مصدر الفعل (بادر) ويقال : من بَدَرَ ، بدر إلى الشيء بُدُرًا : ((أسرع ، وتبادر القومُ تسارعوا)) [9].

ثانيا : الأهداف :

١- غرس روح المبادرة إلى الأعمال ، والسبق في الوصول إلى الكمال ؛ لأن ذلك صفة من صفات المؤمنين ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ﴾[10] .

٢- تحفيز الطالب إلى التنافس مع إخوانه في الخيرات والتسابق إليها وبيان بعض صور التنافس بين الصحابة والسلف الصالح .

٣- التأدب بالآداب الشرعية عند التنافس ، والحذر من الحسد والحقد والضغينة لإخواننا الذين سبقونا إلى الخيرات ونافسونا في الصالحات .

٤- بيان صفات المتنافسين ، وخصال المتسابقين إلى الخيرات ، ومجاهدة النفس للاتصاف بها .

---

(1) الفتح ، ج١١ ، ص ٢٤٥ .
(2) المعجم الوجيز ، ص ٣٠١ .
(3) سورة يوسف[٢٥] .
(4) قاموس القرآن ، للدمغاني ، ص ٢٢٨ .
(5) سورة البقرة [١٤٨] .
(6) لسان العرب ، ج٣ ، ص ١٩٢٩ .
(7) المرجع السابق ، ج٣ ، ص ١٩٩٤ .
(8) الجامع لأحكام القرآن ، ج٤ ، ص ٢٠٣ .
(9) المعجم الوجيز ، ص ٤٠ .
(10) سورة الأنبياء [٩٠] .

٥- الترهيب من التنافس المذموم ، وبيان بعض صوره والتحذير منها .
٦- الحث على اغتنام الأوقات واستغلال الفرص والمناسبات قبل فواتها أو حصول عوائق تحول دون استثمارها .

ثالثا : عناصر الموضوع :

١- ماذا نقصد بالتنافس ؟
٢- أهمية التنافس في التربية والدعوة .
٣- فضيلة التنافس .
٤- التنافس المحمود .
٥- التنافس الذميم والتسابق الأثيم .
٦- أصناف العباد في المسابقة والمسارعة .
٧- صفات المتنافسين أو المتسابقين .
٨- عوائق في سبيل المتنافسين .
٩- مسائل في التنافس والمسارعة .
١٠- أمثلة على تسابق السلف وتنافسهم .

رابعا : العرض :

١ - ماذا نقصد بالتنافس ؟

انظر دلالة المصطلح في مقدمة البحث .

٢ - أهمية التنافس في التربية والدعوة :

تبدو أهمية التنافس في التربية والدعوة كبيرة وعظيمة لأسباب عديدة ، منها :

٢ - ١ : إن التنافس في الخيرات والتسابق إليها صفة من صفات النبيين ، وخلة من خلال الملائكة المقربين ، قال الله - تعالى - مادحًا جملة من أنبيائه في سورة الأنبياء : ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ﴾[1]، كما أنه - سبحانه - أقسم بملائكته فوصفهم فقال : ﴿ فَالسَّابِقَاتِ سَبْقًا ﴾[2] قال علي رضي الله عنه : ((هي الملائكة تسبق الشياطين بالوحي إلى الأنبياء عليهم السلام . وقاله مسروق ومجاهد . وعن مجاهد أيضاً وأبي رَوْق : هي الملائكة سبقت ابن آدم بالخير والعمل الصالح)) [3].

٢ - ٢ : التسابق إلى الخيرات والتنافس في الصالحات مطلب شرعي ، حيث أمر الله

---

(1) سورة الأنبياء [٩٠] .
(2) سورة النازعات [٤] .
(3) الجامع لأحكام القرآن ، للقرطبي ، ج١٩ ، ص ١٩٣ - ١٩٤ .

- عز وجل - به وحث عليه فقال - عز وجل : ﴿ **وسَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ** ﴾(1)، وقال : ﴿ **وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ** ﴾(2) ، وقال : ﴿ **فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ** ﴾(3)، قال ابن سعدي - يرحمه الله - : ((فمن سبق في الدنيا إلى الخيرات فهو السابق في الآخرة إلى الجنات ، فالسابقون أعلى الخلق درجة))(4) .

٢ - ٣ : التسابق والتنافس في أعمال الخير وصية نبوية وسنَّة محمدية أوصى النبي ﷺ أصحابه بها ودلَّهم عليها ، فعن أبي هريرة ﷺ : أن فقراء المهاجرين أتوا رسول الله ﷺ ، فقالوا : ذهب أهلُ الدثور (المال الكثير) بالدرجات العُلى ، والنعيم المقيم ، يُصلُّون كما نصلي ، ويصومون كما نصوم ، ولهم فضل من أموال : يحجون ، ويعتمرون ، ويجاهدون ، ويتصدقون ، فقال ﷺ : ((**ألا أعلِّمكم شيئًا تدركون به من سبقكم ، وتسبقون به مَنْ بعدكم ، ولا يكونُ أحد أفضل منكم إلا من صنع مثل ما صنعتم؟** . قالوا : بلى يا رسول الله . قال : **تسبِّحون ، وتحمدون ، وتكبرون ، خلف كلِّ صلاة ثلاثًا وثلاثين**))(5).

٢ - ٤ : التنافس سبب لرفع الهمة في القلوب الفاترة وإثارة الحماس في النفوس المتثاقلة الخامدة ، إذ الإنسان يقدم – مع وجود منافسة – على أعمال ربما لا يقدم عليها لو لم تكن هناك منافسة وتسابق بينه وبين إخوانه ، فالتنافس يشحن النفس بالعزيمة والحماس ويستحثها إلى بلوغ الأماني .. ولهذا عرَّف بعضهم التنافس فقال : ((نزعة فطرية تدعو إلى بذل الجهد في سبيل التفوق)) (6) .

٢ - ٥ : إن التنافس يكشف عن معادن الناس وقوة عزائمهم كما أنه يبين مواطن ضعفهم وقصورهم .. ((عن أنس ﷺ أن رسول الله ﷺ أخذ سيفًا يوم أُحد فقال : ((**مَنْ يأخُذُ منّي هذا ؟**)) (منافسة في ميدان الجهاد والتضحية) فبسطوا أيديهم ، كل إنسان منهم يقول : أنا أنا . قال ﷺ : ((**فمن يأخُذهُ بحقه؟**)) ، (أي يقاوم به أعداء الله - عز وجل- ويجاهد به حق جهاده) فأحجم القوم ، فقال أبو دجانة ﷺ : أنا آخذه بحقه ، فأخذه

(1) سورة الحديد [٢١] .
(2) سورة المطففين [٢٦] .
(3) سورة البقرة [١٤٨] .
(4) تيسير العزيز المنان ، لابن سعدي .
(5) رواه البخاري ، كتاب الأذان ، باب الذكر بعد الصلاة ، ومسلم كتاب المساجد ، باب استحباب الذكر بعد الصلاة .
(6) المعجم الوجيز ، ص ٦٢٧ .

ففلق به هام المشركين))(١).

((يدل الحديث على شجاعة أبي دجانة وتضحيته وصدقه في الجهاد ، ولا يدل على جبن الصحابة ﷺ ، وإنما هم أحجموا عن أخذ السيف خوفًا منهم أن لا يستطيعوا الوفاء بشرطه وحقه ، وإنما مدوا أيديهم ليأخذوه أولا ليقاتلوا به جهدهم من غير شرط))(٢) .

٢ ـ ٦ : لابد من المسارعة قبل وجود العوائق التي تحول بين العبد وطاعة ربه ، فالأعمار قصيرة والآجال غير معلومة والعوارض كثيرة ، فالصحة يفجؤها السقم ، والقوة يعترضها الوهن والشبيبة يعقبها الهرم ، وبين هذه وتلك فتن تشوش على المرء صفاء نفسه وتشتت عليه همة قلبه ، ولهذا قال ﷺ في الحديث محذرًا ومنذرًا : ((**بادروا بالأعمال الصالحة ، فستكون فتن كقطع الليل المظلم يُصبح الرجل مؤمنًا ويمسي كافرًا ، ويمسي مؤمنًا ويُصبح كافرًا ، يبيع دينه بعَرَض من الدنيا**)) (٣)، ومعنى الحديث بادروا وسارعوا إلى الأعمال الصالحة قبل ظهور العوائق والموانع من ذنوب ومحن أو مصائب شديدة مظلمة تحول بين المرء وعمل الخير(٤) .

بادر بخير إذا ما كنت مقتدرًا فليس في كل وقت أنت مقتدر(٥)

٢ ـ ٧ : إن الصحبة التي يغلب على أفرادها روح التنافس في الصالحات والتسابق إلى الخيرات يألفُ ذووها الجدية والعمل وينبذون الدعة والكسل ، فلا تراهم إلا مغتنمين لأوقاتهم ، مجاهدين لأنفسهم في استثمار أعمارهم .

٢ ـ ٨ : إن أهل التنافس والمسابقة ، وأصحاب المسارعة والمبادرة أعلى شأنًا وأرفع مكانةً وأكبر فضلاً من غيرهم من القاعدين أو المتباطئين والمتثاقلين ، قال الله تعالى :
﴿ **وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ * أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ** ﴾(٦) وقال : ﴿ **لاَ يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ**

---

(١) رواه مسلم ، كتاب فضائل الصحابة ، باب فضائل أبي دجانة سماك بن خَرْشة ﷺ ، حديث رقم ٢٤٧٠.
(٢) نزهة المتقين ، شرح رياض الصالحين ، للدكتور مصطفى الخن وآخرين ، ج١ ، ص ١٠٢ .
(٣) رواه مسلم ، كتاب الإيمان ، باب الحث على المبادرة بالأعمال قبل تظاهر الفتن ، رقم الحديث ١١٨.
(٤) انظر للتوسع في دلالة الحديث وشرحه ، نزهة المتقين ، شرح رياض الصالحين ، ج١ ، ص١٠٠.
(٥) الجامع لأحكام القرآن ، ج٤ ، ص ٢٠٩ .
(٦) سورة الواقعة [١٠-١١] .

غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ ﴾(١) الآية . وقال : ﴿ لاَ يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلاًّ وَعَدَ اللهُ الْحُسْنَى ﴾(٢) ، قال صاحب تفسير المنار : « وللسابقين في كل عمل فضيلة السبق والإمامة في كل عصر » (٣) .

٣ - فضيلة السبق في الإسلام :

لقد جعل الإسلام السبق إلى الخيرات والمسارعة إلى الصالحات فضيلة حث المؤمنين إليها ومدح المتصفين بها وأشاد بأصحابها ، ومما جاءت به النصوص مؤكدة لعظم هذه الفضيلة وأصحابها ما يلي :

٣ - ١ : الأمر بها والدعوة إليها :

فقد دعا الإسلام إلى التنافس والتسابق في الصالحات ، فقال - عز وجل : ﴿ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ﴾ ، وقال تعالى : ﴿ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ﴾ .

٣ - ٢ : جعل المسارعة والمسابقة من صفات المؤمنين الموحدين :

فقال - عز وجل : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴾(٤) الآيات ، ثم قال : ﴿ أُولَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ ﴾(٥) .

٣ - ٣ : التفاضل في درجات الجنة بحسب السبق :

فدرجة السابقين أعلى من أصحاب اليمين ، وقد جاءت سورة الواقعة مبيّنة للتفاضل بين أهل الإيمان بسبقهم ومسارعتهم في مرضاة ربهم ، قال الله - تعالى : ﴿ وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ * أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ * فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴾(٦) ، عن عثمان بن أبي سودة، أنه قرأ هذه الآية ثم قال : « أولهم رواحًا إلى المسجد ، وأولهم خروجًا في سبيل الله » [يعني السابقين] ، وهذه الأقوال كلها صحيحة ، فإن المراد بالسابقين هم

---

(١) سورة النساء [٩٥] .
(٢) سورة الحديد [١٠] .
(٣) تفسير المنار ، لمحمد رشيد رضا .
(٤) سورة المؤمنون [٥٧] .
(٥) سورة المؤمنون [٦١] .
(٦) سورة الواقعة [١٠-١٢] .

المبادرون إلى فعل الخيرات ، كما أمروا ، كما قال تعالى : ﴿ **وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ** ﴾ (١) وقال تعالى : ﴿ **سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ** ﴾(٢) ، فمن سابق في هذه الدنيا وسبق إلي الخير كان في الآخرة من السابقين إلى الكرامة ، فإن الجزاء من جنس العمل ، وكما تدين تدان(٣) .. ثم بعد هذا قال الله - تعالى : ﴿ **وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ** ﴾ (٤) قال ميمون بن مهران : ((أصحاب اليمين منزلتهم دون المقربين(٥)، وقال عز وجل : ﴿ **هُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ الله** ﴾(٦) ، فمنازلهم عند الله متفاوتة كما قال ﷺ : ((**إن أهل الجنة ليتراءَوْن أهل الغُرفِ كما يتراءون الكوكب الدُّرّي الغابر في الأفق من المشرق أو المغرب ، لتفاضل ما بينهم**)) . قالوا : يا رسول الله ، تلك منازلُ الأنبياء لا يبلغها غيرهم؟ قال : ((**بلى والذي نفسي بيده ، رجال آمنوا بالله وصدّقوا المرسلين**))(٧) نسأل الله - عز وجل - أن يجعلنا منهم ويحشرنا معهم ؛ ولهذا التفاضل الكبير والتفاوت العظيم في المنازل أمر الله - عز وجل - المؤمنين بالتنافس في الرقي إلى تلك المنازل العالية فقال : ﴿ **وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ** ﴾ .

٣ - ٤ : السبّاقُ إلى فعل الخيرات له أجر من تبعه :

رأى الرسول ﷺ قومًا من مضر فقراء ، ثيابهم ممزقة تبدو عليهم مظاهر العوز والحاجة ، فتغيَّر وجهه ﷺ لما رأى من بؤس حالهم ، فخطب الناس وحثهم على الصدقة .. فجاء رجل سبَّاق بصدقته وكانت قليلة ولكن رفعها سبقُه إلى الخير وتنافسُه مع إخوانه فيه .. قال جرير بن عبد الله رضي الله عنه وقد روى هذه الحادثة : (فجاء رجل من الأنصار بصرَّةٍ كادت كفُّهُ تعجز عنها بل قد عجزت . ثم تتابع الناس حتى رأيت كومين من طعام وثياب ، حتى رأيت وجه رسول الله ﷺ يتهلّلُ كأنه مذهبة (استنار) فقال ﷺ : ((**من سنَّ في الإسلام سُنّة حَسنَةً فله أجرها وأجر من عمل بها بعده من غير أنْ يَنقصَ من أجورهم شيء ، ومن سنَّ في الإسلام سُنَّةً سيئة كان عليه وزرها ووزر من**

(١) سورة آل عمران [١٣٣] .
(٢) سورة الحديد [٢١] .
(٣) مختصر ابن كثير ، للصابوني ، ج٣ ، ص ٤٢٨ . وقد أورد الإمام ابن كثير - رحمه الله - عدة أقوال للسلف في مَنْ هم السابقون ، فذكر أن السابقين هم الأنبياء ، وقال بعضهم : هم أهل عليين ، وقال آخرون : هم الذين صلوا إلى القبلتين ثم أورد قول عثمان بن أبي سودة المذكور .
(٤) سورة الواقعة [٢٧] .
(٥) المرجع السابق ، ج٣ ، ص ٤٣١ .
(٦) سورة آل عمران [١٦٣] .
(٧) رواه البخاري ، كتاب بدء الخلق ، باب صفة الجنة ، حديث رقم ٣٢٥٦ ، ومسلم في كتاب الجنة ، باب صفة الجنة ، حديث رقم ٢٨٣١ .

عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أوزارهم شيء ») [١] .

٣ ـ ٥ : سبقك بها عُكاشة :

يالله ما أعظم فضيلة السبق والتنافس في الخير . إنها ربما رفعت صاحبها إلى مقام عالٍ لم يكن ليصل إليه في ذات عمله لولا سبقه إليه ، وربما فعل اللاحق نفس ما عمله السابق ، ولكنه لا يصل إلى ما وصل إليه من سبق وسارع .. ولهذا عندما أخبر ﷺ : « **إنَّ من أمته سبعين ألفًا يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب** » قال عكَاشة بُن محصن : (ادع الله أن يجعلني منهم ، فقال : « **أنت منهم** » ، ثم قام رجلٌ آخر فقال : ادع الله أن يجعلني منهم ، فقال ﷺ : « **سبقك بها عُكاشةُ** ») [٢] .

٤ ـ التنافس المحمود :

إنه تنافس في طاعة الله ومسارعة في مرضاته وتسابق في الفوز بمحبته ومغفرته ، وهذا الذي دعا إليه القرآن ﴿ **وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ** ﴾ ، وراحت السنّة المطهّرة تبين للمؤمنين جوانب مما ينبغي أن يتنافسوا فيه ويسارعوا إليه ، نستعرض فيما يلي بعض هذه الجوانب :

٤ ـ ١ : التنافس في المبادرة إلى الصلاة والصف الأول :

لقد حث الله المؤمنين إلى المبادرة إلى الصلاة في أول وقتها والتبكير إليها قال الله تعالى : ﴿ **إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَّوْقُوتًا** ﴾[٣] ، وقال ـ عز وجل : ﴿ **فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ** ﴾ قال القرطبي : (والمعنى المراد المبادرة بالصلاة أول وقتها) [٤] . وقال ﷺ : « **لو يعلم الناس ما في النداء والصف الأول ، ثم لم يجدوا إلا أن يستهموا عليه ، لاستهموا ؛ ولو يعلمون ما في التهجير ، لاستبقوا إليه ، ولو يعلمون ما في العتمة والصبح لأتوهما ولو**

---

(١) رواه مسلم ، كتاب الزكاة ، باب الحث على الصدقة ولو بشق تمرة أو كلمة طيبة ، حديث رقم ١٠١٧ ، للتوسع انظر ، ما يستفاد من هذا الحديث ، نزهة المتقين شرح رياض الصالحين ، ج١ ، ص ١٥٩ ـ ١٦٠ .

(٢) رواه البخاري ، كتاب الطب ، باب من اكتوى أو كوى غيره ، حديث رقم ٥٧٠٥ ، ورواه مسلم في كتاب الإيمان ، باب الدليل على دخول طوائف من المسلمين الجنة بغير حساب ، حديث رقم ٢٢٠ .

(٣) سورة النساء [١٠٣] .

(٤) الجامع لأحكام القرآن ، القرطبي ، ج٢ ، ص ١٦٥ .

حبوًا)) (١) .

فقـولـه ﷺ : ((**لو يعلم**)) ، أي مـا فـي النـداء والصـف الأول مـن الأجـر العظـيم والثواب الجزيل لبلغ بهم الاستباق والتنافس فيهما إلى حد القرعة .

وقـولـه ﷺ : ((**ولـو يعلمـون مـا في التهجير**)) أي فـي المسـارعة إلـى الطاعـة مـن الفضيلة والكرامـة ((**لاستبقوا**)) أي لبـادروا (إليـه) : قـال الطيبـي : ((لمـا فـرغ مـن الترغيب في الصف الأول عقبه بالترغيب في إدراك أول الوقت ، وبهذا وجب أن يفسر التهجير بالتبكير ، كما ذهب إليه الكثيرون في النهاية ، التهجير : التبكير إلى كل شيء والمبادرة إليه ، وهي لغة حجازية أراد المبادرة إلى وقت الصلاة)) (٢).

فما أحرى الدعاة إلى الله - عز وجل - أن يكونوا في أول الناس حضورًا إلى بيوت الله - عز وجل - وأن يحرصوا على الصف الأول الذي كان من ديدن السلف الصالح الحرص عليه حتى نقل عن سعيد بن المسيب أنه لم يفته الصف الأول مدة أربعين سنة !! .

٤ - ٢ : التنافس في الجهاد بالنفس :

لقد رغَّب الإسلام في الجهاد لنصرة هذا الدين ورفع رايته ﴿ **حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ للهِ** ﴾(٣) فبيَّن ما للشهيد عند ربه من الأجور العظيمة والمنزلة الرفيعة ، وعدَّه من الأحياء الذين عند ربهم يرزقون ، ولهذا فقد تنافس المؤمنون في الحصول على ما وعدهم الله - عز وجل - وباعوا أنفسهم له عز وجل : ﴿ **إِنَّ اللهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا** ﴾(٤) الآية .

وحسبنا أن نرى ذلك التنافس على الجهاد بين فتيان الصحابة ، فضلاً عن كبارهم في الذب عن هذا الدين حتى إن رسول الله ﷺ قد ردَّ أربعة عشر صبيًّا في

---

(١) رواه البخاري ، كتاب الأذان ، باب الاستفهام في الأذان ، حديث رقم ٦١٥ ، ورواه مسلم ، في كتاب الصلاة ، باب ٢٨ ، حديث رقم ١٢٩ . انظر للتوسع الفتح ، ج٢ ، ص ٩٦ - ٩٧ .

(٢) انظر مرقاة المصابيح ، للقاري ، ج٢ ، ص ٣٢٢ - ٣٢٣ ، وقد ذكر معنى آخر للتهجير ذهب إليه القليلون : وهو السير في الهاجرة وهي نصف النهار عند اشتداد الحر إلى صلاة الظهر وإلى صلاة الجمعة ، ثم قال : وفسره الأكثرون بالتبكير ، فليراجع للتوسع .

(٣) سورة الأنفال [٣٩] .

(٤) سورة التوبة [١١١] .

غزوة أحد كانوا في سن الرابعة عشرة أو دون ذلك ، منهم : عبد الله بن عمر[1] ، وزيد بن ثابت ، وأسامة بن زيد ، والنعمان بن بشير ، وزيد بن الأرقم ، والبراء بن عازب .. كلهم كان يتشوق للقتال ويتمنى كل واحد منهم الشهادة ينافس إخوانه عليها ، قال ابن الأثير : ((كان النبي ﷺ يستعرض غلمان الأنصار كل سنة فمرَّ به غلام فأجازه (هو رافع بن خديج) في البعث وعرض عليه سمرة (بن جندب) بعده فردّه ، فقال سمرة : لقد أجزت هذا ورددتني ولو صارعته لصرعته ، فقال ﷺ : ((**فدونكه**)) ، فصارعه فصرعه سمرة فأجازه في البعث ، قيل أجازه يوم أحد والله أعلم))[2]، ثم إنك تعجب من هذا التنافس ، فإن عجبك من غَيْرة معاذ ابن عفراء ومعاذ بن عمر بن الجموح وتنافسهما في الذب عن رسول الله أكبر وأعظم فقد روى عبد الرحمن بن عوف خبرهما في غزوة بدر فقال : (إني لفي الصف يوم بدر إذ التفت ، فإذا عن يميني وعن يساري فتَيَان حديثا السن ، فكأني لم آمن مكانهما ، إذ قال لي أحدهما سرا من صاحبه (يريد أن يسبق صاحبه وينافسه فلذلك أسر والله أعلم) : يا عم ، أرني أبا جهل ، فقلت : يا ابن أخي ، فما تصنع به؟ قال : أخبرت أنه يسب رسول الله ﷺ ، قال : والذي نفسي بيده لئن رأيته لا يفارق سواده سوادي حتى يموت الأعجل منا ، فتعجبت لذلك ، قال : وغمزني الآخر فقال لي مثلها ، فلم أنشب أن نظرت إلى أبي جهل يجول في الناس ، فقلت ألا تريان ؟ هذا صاحبكما الذي تسألاني عنه ، قال : فابتدراه بسيفيهما فضرباه حتى قتلاه ، ثم انصرفا إلى رسول الله ﷺ فقال : ((**أيكما قتله؟**)) فقال كل واحدٍ منهما : أنا قتلته ، قال : ((**هل مسحتما سيفيكما ؟**)) فقالا : لا ، فنظر رسول الله ﷺ إلى السيفين ، فقال : ((**كلاكما قتله**)))[3] .

٤ ـ ٣ : التنافس في الجهاد بالمال :

لقد كان حرص عمر بن الخطاب على سبق أبي بكر في الخيرات عظيمًا ولم يظفر بسبقه أبدًا ، حتى إذا كان يوم دعا فيه رسول الله ﷺ إلى الصدقة فوافق ذلك مالاً كان عند عمر بن الخطاب ﷺ ، قال عمر : ((فقلت : اليوم أسبق أبا بكر إن سبقته يومًا ، قال : فجئت بنصف مالي : فقال رسول الله ﷺ : ((**ما أبقيت لأهلك ؟**)) فقلت :

---

(1) حديث رد الرسول ﷺ لابن عمر - رضي الله عنهما - في صحيح البخاري ، حديث رقم ٤٠٩٧ ، وأما مَنْ ذكرنا من بعده فقد ذكرهم ابن سيد الناس ، عيون الأثر ، ج٢ ، ص ٧ ، والواقدي ، ج١ ، ص ٢١٦ ، وابن هشام ، ج٣ ، ص ٩٦ دون إسناد ، وانظر السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية ، للدكتور مهدي رزق الله ، ص ٣٨٣ .

(2) أسد الغابة في معرفة الصحابة ، لابن الأثير ، ج٢ ، ص ٣٥٤ ، دار إحياء التراث العربي .

(3) رواه البخاري ، كتاب فرض الخمس ، باب من لم يخمِّس الأسلابَ ومن قتل قتيلاً فله سلبه من غير أن يخمس ، وحكم الإمام فيه ، حديث رقم ٣١٤١ ، ورواه مسلم ، حديث رقم ١٧٥٢ .

مثلهن وأتى أبو بكر بكلِّ ما عنده ، فقال : ((**يا أبا بكر ما أبقيت لأهلك ؟**)) فقال : أبقيت لهم الله ورسوله ، قلت لا أسبقه إلى شيء أبدًا))(١).

وعن عمر قال : ((قال رسول الله ﷺ ، وقد سمع قراءة ابن مسعود ليلاً : ((**ومن سره أن يقرأ القرآن رطبًا فليقرأ كما يقرؤه ابن أم عبد**)) ، فلما أصبحت غدوت إليه لأبشره فقال : قد سبق أبو بكر ، قال : ما سابقته إلى خير قط إلا سبقني)) . أخرجه أحمد(٢) . ومعناه في الصحيحين .

٤ - ٤ : التنافس في العلم :

كان ﷺ يبعث روح التنافس بين صحابته في مجال العلم ، وربما ألقى المسألة على شكل لغزٍ ثم جعلهم يتنافسون في الوصول إلى جوابها ، وقد روى الإمام البخاري عن ابن عمر عن النبي ﷺ قال : ((**إن من الشجر شجرة لا يسقط ورقها وإنها مثل المسلم ، حدثوني ما هي ؟**)) قال : فوقع الناس في شجر البوادي ، قال عبد الله : ووقع في نفسي أنها النخلة ، ثم قالوا : حدثنا ما هي يا رسول الله ؟ قال : ((**هي النخلة**)) (٣) .

هذا ما ورد في القرآن من إشادة أهل العلم وفضلهم عمن سواهم وتقديم الله لهم على غيرهم مما جعل التنافس بين المؤمنين في طلبه كبيرًا ، ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ **يَرْفَعِ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ** ﴾(٤) . قال القرطبي : ((أي في الثواب في الآخرة وفي الكرامة في الدنيا ، فيرفع المؤمن على من ليس بمؤمن والعالم على من ليس بعالم) ، وقال ابن مسعود : (مدح الله العلماء في هذه الآية) (٥) .

٤ - ٥ : التنافس في الذكر وقيام الليل :

لقد كان تنافس السلف في الذكر وقيام الليل شديدًا وحرصهم على السبق فيه

(١) رواه الترمذي وأبو داود ، وقال الترمذي : حسن صحيح ، حسَّنه الألباني في المشكاة ، حديث رقم ٦٠٢١ .
(٢) رواه أحمد في مسنده ، حديث رقم ٤٣٤٠ ، قال أحمد شاكر - يرحمه الله : إسناده صحيح .
(٣) رواه البخاري ، في كتاب العلم ، باب طرح الإمام المسألة على أصحابه ليختبر ما عندهم من العلم ، حديث رقم ٦٢ .
(٤) سورة المجادلة [١١] .
(٥) الجامع لأحكام القرآن ، للقرطبي ، ج١٧ ، ص ٢٩٩ ، وسيأتي في مصطلح العلم مزيدًا من ذكر فضل العلم - إن شاء الله - فليراجع هناك .

عظيمًا ، وكيف لا يكون كذلك وقد سمعوا قوله ﷺ : ((**سبق المفرِّدون**)) ، قالوا : وما المفرِّدون يا رسول الله ، قال : ((**الذاكرون الله كثيرًا والذاكرات**)) [1]، وقال لهم - عليه الصلاة السلام : ((**ألا أُعلِّمكم شيئًا تدركون به من سبقكم وتسبقون به من بعدكم ، ولا يكون أحد أفضل منكم إلا مَنْ صنع مثل ما صنعتم؟ قالوا : بلى يا رسول الله ، قال : تسبّحون ، وتحمّدون ، وتكبّرون ، خلف كل صلاة ثلاثًا وثلاثين**))[2].

ولما كان القرآن من أفضل الذكر جعل الخيرية بين الناس لمن حظي بحفظه وتعلمه فقال ﷺ : ((**خيركم من تعلم القرآنَ وعلَّمه**)) [3] ؛ ولهذا تنافسوا في الذكر بجميع أنواعه ولا سيما القرآن الكريم وكان بعضهم يسأل بعضًا عن طريقته في قراءته وقيامه .

٥ - التنافس الذميم والتسابق الأثيم :

كما أن الصالحين تنافسوا في الخير والفوز به وتسابقوا في الوصول إليه ، فإن الطالحين وأهل الهوى والشهوات تنافسوا في المنكرات وتسابقوا في ارتكاب المحرمات والسقوط في حمأتها ، وإليك بعض صور التنافس المذموم :

٥ - ١ : التنافس على الدنيا :

وفي هذا المعنى عقد البخاري - رحمه الله - بابًا فقال : باب ما يُحذرُ من زهرة الدنيا والتنافس فيها ، ثم أورد - رحمه الله - حديث المصطفى ﷺ الذي يقول فيه واعظًا أصحابه : ((**فو الله ما الفقر أخشى عليكم ، ولكن أخشى عليكم أن تبسط عليكم الدنيا كما بسطت على من كان قبلكم ، فتنافسوها كما تنافسوها ، وتلهيكم كما ألْهتهم**))[4].
قال ابن بطال : ((فيه أن زهرة الدنيا ينبغي لمن فتحت عليه أن يحذر من سوء عاقبها وشر فتنتها ، فلا يطمئن إلى زخرفها ولا ينافس غيره فيها)) [5] ، وفي رواية : ((وتهلككم كما

[1] رواه مسلم ، كتاب الذكر والدعاء ، باب الحث على ذكر الله تعالي ، حديث رقم ٢٦٧٦ .
[2] رواه البخاري ، كتاب الأذان ، باب الذكر بعد الصلاة حديث رقم ٨٤٣ ، ورواه مسلم ، كتاب المساجد ، باب استحباب الذكر بعد الصلاة ، برقم ٥٩٥ .
[3] رواه البخاري في فضائل القرآن ، باب خيركم من تعلم القرآن وعلَّمه ، حديث رقم ٥٠٢٧ ، راجع للتوسع الفتح ، ج ، ص ٧٤ - ٧٦ .
[4] رواه البخاري ، كتاب الرقاق ، باب ما يُحذر من زهرة الدنيا والتنافس فيها ، حديث رقم ٦٤٢٥ ، ورواه مسلم ، حديث رقم ٢٩٦١ .
[5] فتح الباري ، لابن حجر ، ج١١ ، ص ٢٤٥ ، يرجع لأحاديث الباب لمن أراد التوسع في هذا المعنى .

أهلكتهم))(١) .

وعند مسلم عن عبد الله بن عمرو بن العاص ، عن رسول الله ﷺ أنه قال : ((**إذا فتحت عليكم فارس والروم ، أيُّ قوم أنتم ؟**)) قال عبد الرحمن بنُ عوف : نقول كما أمرنا الله (قال النووي - رحمه الله - : معناه : نحمده ونشكره ونسأله المزيد من فضله) (٢) .

قال رسول الله ﷺ :((**أوَ غيرَ ذلك ، تتنافسون ، ثم تتحاسدون ، ثم تتدابرون ، ثم تتباغضون ، أو نحو ذلك**)) (٣).

وهناك مظاهر وسمات تدل على تنافس الدنيا ، وأهم هذه المظاهر وتلك السمات :

١- إهمال أو إهدار الورع في المطاعم ، والمشارب ، والملابس ، والمراكب ونحوها .
٢- بغض طلاب الآخرة ، والنيل منهم ، بل والتظاهر والتحريض عليهم بوسيلة أو بأخرى.
٣- بغض أو معاداة كل من يسبقه في الدنيا ، ولا يستطيع اللحاق به .
٤- ازدراء نعمة الله وعدم الرضا بها وبقضاء الله وقدره .
٥- المخاصمة المستمرة على الدنيا وما فيها من متاع أو عرض زائل .
٦- التشتت الدائم مع كثرة الهموم والأحزان ، ولا سيما عند فوات شيء من الدنيا .
٧- الاشتغال الدائم بالسعي في طلب الدنيا ونسيان الآخرة بالمرة أو مع تذكرها ، ولكن بتهاون وفتور .
٨- الحديث الدائم عن الدنيا ، وزخارفها ، وزيناتها ، وسبل اقتناصها ، وهلم جرا (٤) .

((أما إذا كان التنافس في الدنيا من أجل إحراز سبق أو كفاية يستغني بها المسلمون ، كابتكار علمي ، أو سبق اقتصادي ، ولا يبقون عالة على أعدائهم ، مع نية التقرب بذلك إلى الله ، والطمع في جنته ورضوانه ، ومع الاهتمام بكل أعمال الآخرة الأخرى ، والمتمثلة في النزول على حكم الله - عز وجل - في كل ما يأتي المرء ويدع ، فذلك حسن ومحمود ؛ لأنه لا يخرج عن أن يكون من عمل الآخرة ، وقد أمرنا الله - عز وجل - أن تكون الدنيا التي في أيدينا موجهة نحو عمل الآخرة ،

---
(١) انظر صحيح مسلم ، ج٤ ، ص ٢٢٧٤ .
(٢) صحيح مسلم بشرح النووي ، ج ١٨ ، ص ٩٦ .
(٣) رواه مسلم ، كتاب الزهد والرقائق ، حديث رقم ٢٩٦٢ .
(٤) آفات على الطريق ، د . السيد محمد نوح ، ج ٤ ، ص ١٧٣ - ١٧٤ .

وذلك في قولـه - سبحانه وتعالى : ﴿ وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللهُ الدَّارَ الآَخِرَةَ وَلاَ تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا ﴾[1])) [2] .

٥ - ٢ : المسارعة بالكفر والإثم والعدوان :

وفيه قول الله - تعالى : ﴿ وَلاَ يَحْزُنكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَن يَضُرُّوا اللهَ شَيْئًا ﴾[3] ، قال القرطبي - رحمه الله - : ((هؤلاء قوم أسلموا ثم ارتدوا خوفًا من المشركين ؟ فاغتمَّ النبي ﷺ ، فأنزل الله - عز وجل- ﴿ وَلاَ يَحْزُنكَ ﴾)) [4] .

وقال - عز وجل : ﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لاَ يَحْزُنكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ ﴾[5]، وقال عن اليهود : ﴿ وَتَرَى كَثِيرًا مِّنْهُمْ يُسَارِعُونَ فِي الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ ﴾[6].

٥ - ٣ : التنافس في تضليل المؤمنين والإفساد بينهم :

وهذه الصورة من التنافس الأثيم يرويها لنا الإمام مسلم عن النبي ﷺ أنه قال : ((**إن إبليس يضع عرشه على الماء ثم يبعث سراياه ، فأدناهم منه منزلة أعظمهم فتنة ، يجيء أحدُهم فيقول : فعلت كذا وكذا ، فيقول : ما صنعت شيئًا ، قال : ثم يجيء أحدهم فيقول : ما تركتُه حتى فرّقتُ بينه وبين امرأته ، قال : فيُدنيه منه ويقول نعم أنت ، قال الأعمش** : أراهُ قال : **فيلتزمُه**))[7]، أي يضمه إلى نفسه ويعانقُه[8] ، وهذا ما يفعله اليوم جنود إبليس من الإنس أيضًا حيث تفننوا في وسائل التضليل والإفساد وتنافسوا في طرق الكفر والإلحاد وما تلك القنوات الإعلامية الهابطة والمجلات النسائية الساقطة إلا وسيلة من وسائلهم الشيطانية لفتنة الناس وإبعادهم عن ربهم ، والله المستعان .

٦ - أصناف العباد في التنافس والمسارعة :

---

(1) سورة القصص [٧٧] .
(2) آفات على الطريق ، ج ٤ ، ص ١٧٥ - ١٧٦ .
(3) سورة آل عمران [١٧٦] .
(4) الجامع لأحكام القرآن ، ج٤ ، ص ٢٨٤ .
(5) سورة المائدة [٤١] .
(6) سورة المائدة [٦٢] .
(7) رواه الإمام مسلم ، كتاب صفات المنافقين وأحكامهم ، باب تحريش الشيطان ، وبعثه سراياه لفتنة الناس ، وأن مع كل إنسان قرينًا ، حديث رقم ٢٨١٣ .
(8) قاله محمد فؤاد عبد الباقي - يرحمه الله - في ملخصه لشرح الإمام النووي على صحيح مسلم في الهامش ، ج٤ ، ص ٢١٦٧ .

لقد تفاوت العباد في المسارعة إلى الخيرات والتنافس فيها ، واجتنابهم السيئات وابتعادهم عنها ، فمنهم من ضعف إيمانه وتباطأت قدماه عن العمل الصالح وتثاقلت خطاه إلى الخير فقصَّر ببعض الواجبات وألمَّ ببعض السيئات ، والفريق الثاني : هو المقتصد الذي اكتفى أفراده بفعل المأمورات وترك المنهيات دون زيادة أو نقص ، كالرجل الذي جاء للنبي ﷺ وسأله عن فرائض الإسلام فقال : ((لا أزيد عليها ولا أنقص)) ، وأما الفريق الثالث : فهو الذي التزم الفرائض والواجبات واجتنب المناهي والمكروهات ، ومع هذا فقد سابق إلى المستحبات ونافس عليها .. وكل هذه الأقسام الثلاثة داخل الجنة بفضل الله ورحمته وكرمه .. فمنهم من يدخل الجنة بشفاعة سيد الخلق ﷺ وهو الفريق الظالم لنفسه ، ومنهم من يدخلها وقد حوسب حسابًا يسيرًا ، وبعضهم يدخل الجنة بغير حساب ، وإليك ما ذكره ابن كثير في تفسير قوله تعالى : ﴿ **ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ** ﴾[1].

قال - رحمه الله تعالى - : ((يقول تعالى : ثم جعلنا القائمين بالكتاب العظيم ، المصدق لما بين يديه من الكتب ﴿ **الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا** ﴾ ، وهم هذه الأمة ثم قسمهم إلى ثلاثة أنواع فقال تعالى : ﴿ **فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ** ﴾ وهو المفرط في فعل بعض الواجبات المرتكب لبعض المحرمات ، ﴿ **وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ** ﴾ وهو المؤدي للواجبات التارك للمحرمات وقد يترك بعض المستحبات ويفعل بعض المكروهات ﴿ **وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللهِ** ﴾ وهو الفاعل للواجبات والمستحبات ، التارك للمحرمات والمكروهات وبعض المباحات ، قال ابن عباس في قوله تعالى : ﴿ **ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا** ﴾ قال : هم أمة محمد ﷺ ورثهم الله تعالى كل كتاب أنزله ، فظالمهم يغفر له ، ومقتصدهم يحاسب حسابًا يسيرًا وسابقهم يدخل الجنة بغير حساب ، روى الطبراني عن ابن عباس عن رسول الله ﷺ أنه قال ذات يوم : ((**شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي**)) . قال ابن عباس : السابق بالخيرات يدخل الجنة بغير حساب ، والمقتصد يدخل الجنة برحمة الله ، والظالم لنفسه وأصحاب الأعراف يدخلون الجنة بشفاعة محمد ﷺ ، وكذا روي عن

---

[1] سورة فاطر [٣٢] .

غير واحد من السلف أن الظالم لنفسه من هذه الأمة من المصطفين على ما فيه من عوج وتقصير)) [١].

٧ - صفات المتنافسين :

لقد وصف الله - عز وجل - عباده المتنافسين الأبرار والمتسابقين الأخيار بصفات عدة في كتابه الكريم وإليك بعض صفاتهم ، وطرفًا من خصالهم :

٧ - ١ : الخوف من الله :

قال الله تعالى : ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ، وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ * وَالَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لاَ يُشْرِكُونَ * وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ * أُولَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ** ﴾ [٢]، فهم مع تنافسهم في الخير وتسابقهم فيه ومسارعتهم إليه خائفون من الله وجلون منه ، كما قال الحسن : ((إن المؤمن جمع إحسانًا وشفقة ، وإن المنافق جمع إساءة وأمنًا)) [٣] .

ومما يخافونه ، عدم قبول أعمالهم ، قالت عائشة - رضي الله عنها - وقد قرأت قوله تعالى : ﴿ **وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ** ﴾ قالت : يا رسول الله ، يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة : هو الذي يسرق ويزني ويشرب الخمر وهو يخاف الله - عز وجل؟ قال ﷺ : ((**لا بنت أبي بكر ، يا بنت الصديق! ولكنه الذي يصلي ويصوم ويتصدق وهو يخاف الله – عز وجل**)) ، رواه أحمد وفي رواية الترمذي وابن أبي حاتم : قال : ((**لا يا ابنة الصديق ، ولكنهم الذين يصلون ويصومون ويتصدقون وهم يخافون ألا يتقبل منهم**)) [٤] . قال الحسن : ((لقد أدركنا أقوامًا كانوا من حسناتهم أن تردَّ عليهم أشفق منكم على سيئاتكم أن تعذبوا عليها))[٥] .

٧ - ٢ : قوة الإيمان :

قال تعالى : ﴿ **وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ** ﴾ فإيمانهم جعلهم يسلمون لله - عز

---

(١) مختصر تفسير ابن كثير للصابوني ، ج٣ ، ص ١٤٧ ، وقد اختلف السلف في المراد بالظالم لنفسه هل هو من هذه الأمة يدخل الجنة ، أم هو الكافر والفاسق وهو من أصحاب المشأمة ، والذي اختاره ابن جرير الطبري ورجحه ابن كثير ، وذهب إليه القرطبي في جامعه ، ج ١٤ ، ص ٣٤٧ ، هو الأول .
(٢) سورة المؤمنون [٥٧-٦١] .
(٣) مختصر ابن كثير ، للصابوني ، ج٢ ، ص ٥٦٨ .
(٤) رواه الترمذي ، ج٢ ، ص ٢٠١ ، وابن جرير ، ج١٨ ، ص ٢٦ ، والحاكم ، ج٢ ، ص ٣٩٣ - ٣٩٤ ، وأحمد ، ج٦ ، ص ١٥٩ ، وهو في السلسلة الصحيحة للألباني ، حديث رقم ١٦٢ .
(٥) الجامع لأحكام القرآن ، للقرطبي ، ج ١٢ ، ص ١٣٢ .

وجل - في حكمه وتشريعه ، ويرضون بقدره وقضائه فلم يثبطهم خوف من مخلوق ، ولم يقعدهم يأس أو قنوط .

٧ - ٣ : تجريد التوحيد :

﴿ وَالَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لاَ يُشْرِكُونَ ﴾ ، قال ابن كثير - يرحمه الله - : ((أي لا يعبدون معه غيره بل يوحدونه ويعلمون أنه لا إله إلا الله وأنه لا نظير له ولا كفء)) [1] . ومن صور تجريد التوحيد في قلوبهم ورسوخه في أفئدتهم الإخلاص لله في أعمالهم ، قال الحسن : ((يؤتون الإخلاص ويخافون ألا يقبل منهم)) [2] .

٧ - ٤ : معرفة قيمة الأوقات والأعمار :

فقد عرفوا قيمة أوقاتهم وثمن أعمارهم فشمروا في ميادين العمل الصالح فكان لهم في كل ميدان سهم وفي كل مجال غنيمة ، ومما زادهم حرصًا في استغلال أوقاتهم واستثمار أعمارهم خوفهم من العوائق ، قال السري السقطي : الإحسان أن تحسن وقت الإمكان ، فليس كل وقت يمكنك الإحسان . قال الشاعر :

بادر بخير إذا ما كنت مقتدرًا فليس في كل وقت أنت مقتدرُ

وقال أبو العباس الجمَّاني فأحسن :

ليس في كل ساعة وأوان تتهيا صنائع الإحسان

وإذا أمكنَتْ فبادر إليها حذرًا من تعذّر الإمكان [3]

٧ - ٥ : العزيمة الصادقة ، والهمة العالية ، والجدية الفائقة :

((كان أبو موسى الأشعري يصوم حتى يعود كالخلال (العود الذي يخلل به الأسنان) فقيل له : لو أجممت نفسك؟ (أي تركتها تستريح) فقال : هيهات إنما يسبق من الخيل المضمرة))[4] .

٧ - ٦ : الحرص على السبق في تنافسهم :

ومن صفاتهم حرصهم الشديد على أن يكونوا في قافلة السابقين إلى الخيرات بل وفي مقدمة كتيبة المسارعين إلى الصالحات ، ودعاء كل واحد منهم : ﴿وَاجْعَلْنَا

---

(1) مختصر تفسير ابن كثير ، للصابوني ، ج٢ ، ص ٥٦٨ .
(2) الجامع لأحكام القرآن ، ج١٢ ، ص ١٣٢ .
(3) المرجع السابق ، ج٤ ، ص ٢٠٨ - ٢٠٩ .
(4) صفة الصفوة ، لابن الجوزي ، ج ١ ، ص ٥٦٠ .

﴿لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾[1] ،

« فإذا فاقه أحدٌ في فضيلة دينية ، اجتهد على لحاقه ، وحزن على تقصير نفسه ، وتخلُّفِه عن لحاق السابقين ، لا حسدًا لهم على ما آتاهم الله ، بل منافسة لهم ، وغبطة وحزنًا على النفس بتقصيرها وتخلُّفها عن درجات السابقين »[2] .

انظر إلى نبيِّ الله موسى - عليه السلام - حين مرَّ عليه النبي ﷺ في رحلة المعراج بكى « قيل له : ما يُبكيك ؟ قال : أبكي لأن غلامًا (يعني محمدًا رسول ﷺ) بُعث بعدي يَدخُلُ الجنةَ من أمته أكثر ممن يدخلها من أمتي »[3] . قال العلماء : « لم يكن بكاءُ موسى حسدًا ، معاذ الله ، فإن الحسد في ذلك العالم منزوع عن آحاد المؤمنين فكيف بمن اصطفاه الله تعالى ، بل كان أسفًا على ما فاته من الأجر الذي يترتب عليه رفع الدرجة بسبب ما وقع من أمَّته من كثرة المخالفة المقتضية لتنقيص أجورهم المستلزم لتنقيص أجره ؛ لأن لكل نبي مثل أجر كل من اتبعه ، ولهذا كان من اتبعه من أمَّته في العدد دون من اتبع نبينا محمد ﷺ مع طول مدتهم بالنسبة لهذه الأمة »[4] .

(ومن الأمثلة على الحرص على السبق مجيء فقراء الصحابة إلى رسول الله ﷺ يشكون سبق إخوانهم الأغنياء لهم في الصدقة والحج لأنهم يملكون المال وهم لا يملكون) .

٧ - ٧ : سلامة الصدر :

وإنما سقنا هذه الصفة تأكيدًا للمعنى الذي أكَّده ابن حجر - رحمه الله - في نقله لما ذكره العلماء عن سبب بكاء موسى وأنه لم يكن وراء ذلك مثقال ذرة من حسد وحاش لله من أن يتغلل الحسد على تلك القلوب الطاهرة التقية .

ولهذا بادر بالنصيحة العظيمة التي خففت على الأمة عناءً كبيرًا ، حيث أشار موسى - عليه السلام - على نبينا ﷺ أن يرجع إلى ربه فيسأله أن يخفف عن أمته في الصلاة ، وهذا يدل على حرص موسى - عليه السلام - على أخيه محمد ﷺ وحبه لأمته وشفقته عليها ، وهكذا هو ديدن المتنافسين الأبرار سبقوا بطهارة قلوبهم وسلامة صدورهم أكثر من سبقهم بأعمالهم وأقوالهم .. قال بعض السلف : « ما سبقهم أبو بكر رضي الله عنه بكثرة صوم ولا صلاة ، ولكن بشيء وقر في صدره » ، وقالت طائفة من العارفين : « ما بلغ بكثرة صيام ولا صلاة ، ولكن بسخاوة النفس وسلامة الصدر

(1) سورة الفرقان [٧٤] .
(2) جامع العلوم والحكم ، ج١ ، ص ٣٠٩ .
(3) رواه البخاري ، كتاب مناقب الأنصار ، باب المعراج ، حديث رقم ٣٨٨٧ .
(4) فتح الباري ، لابن حجر ، ج ٧ ، ص ٢١١ .

والنصيحة للأمة » [1] .

٧ - ٨ : الاقتداء بالصالحين والنظر إلى المبـرّزين :

ومما امتاز به المتنافسون ، واتصف به المتسابقون النظر إلى مَنْ سبقوهم إلى الخير وتقدموا فيه فاجتهدوا في الاقتداء بهم واللحاق بهم ، قال معاذ بن معاذ : حدثني غير واحد من أصحاب يونس بن عبيد[2] أنه قال : « إني لأعرف رجلاً منذ عشرين سنة يتمنى أن يَسْلَم له يوم من أيام ابن عون[3] فما يقدر عليه . قال عبد الله بن المبارك : ما رأيت مصليًا مثلَ ابن عون » [4] .

قال سفيان : « إني لأشتهي من عمري كلِّه أن أكون سنة مثل ابن المبارك ، فما أقدر أن أكون ولا ثلاثة أيام » [5] . قال الإمام ابن القيم : « فمن جعل نصب عينيه شخصًا من أهل الفضل والسبق فنافسه انتفع به كثيرًا ، فإنه يتشبه به ويطلب اللحاق به والتقدم عليه » [6] .

٨ - عوائق في سبيل المتنافسين :

تعرض للمتنافسين موانع صارفة ، وعوارض عن الخير شاغلة ، وآفات تحول بين القلب وهدفه النبيل في التنافس فيحرفه عنه ؛ لذا يحسن بنا أن نشير إلى هذه العوائق والآفات لكي نحذرها ونعرف علاجها .

٨ - ١ : فساد النية :

من أخطر ما يحبط الأعمال فساد النية ، وسوء الطويّة ، وقد قال ﷺ : « **إنما الأعمال بالنيات** » [7]؛ « ولهذا قد يشترك اثنان في استباق ، ويكون بين هدفيهما ما بين السماء والأرض من افتراق ، وقد عرض علينا القرآن صورة لذلك حينما قال في سورة

---

(1) المحجة في سير الدلجة ، لابن رجب الحنبلي ، ص ٥٣ - ٥٤ ، نقلاً عن الوقت عمار أو دمار ، ج٢ ، ص ٦٢ - ٦٣ .

(2) يونس بن عبيد : من صغار التابعين وفضلائهم ، قال ابن أحمد وابن معين : ثقة ، قال عنه الذهبي : الإمام القدوة الحجة ، انظر السير ، ج٦ ، ص ٢٨٨ .

(3) ابن عون ، عبد الله بن عون بن أرطبان ، قال الذهبي ، الإمام القدوة ، عالم البصرة ، انظر السير ، ج٦ ، ص ٣٦٤ .

(4) نزهة الفضلاء ، ج١ ، ص ٥٤٤ .

(5) المرجع السابق ، ج٢ ، ص ٦٥٥ .

(6) الروح ، لابن القيم ، ص ٢٥٢ ، دار الكتب العلمية .

(7) رواه البخاري ، في بدء الوحي ، حديث رقم ١ ، ورواه مسلم في الإمارة ، باب قوله ﷺ : « **إنما الأعمال بالنيات** » ، حديث رقم ١٩٠٧ .

يوسف ، عن يوسف وامرأة العزيز : ﴿ **وَاسْتَبَقَا الْبَابَ** ﴾ ، فكل منهما قد سارع نحو الباب ، ولكنها سارعت إليه استمرارًا منها في مراودتها ، وغلوا منها في إثمها وإجرامها ، وسارع هو إلى الباب فرارًا بدينه وفضيلته ، فالمرأة قد سابقت إلى الشر ، ويوسف قد سابق إلى الخير ، ولكل وجهة هو موليها))[1] ، وهناك صور كثيرة قد تدل على فساد نية المتنافسين في العمل الإسلامي منها :

- استنقاص منجزات الغير ، وتحقير جهود الأقسام الأخرى .
- إظهار سلبيات الأقسام الأخرى وكتم الإيجابيات[2] .
- التعصب الذميم الذي يؤدي إلى الإجحاف بحق الغير والتضييق عليه .
- سوء الظن بالطرف المنافس وتأويل أقواله وأفعاله على أسوأ محمل .

٨ - ٢ : الحسد بين المتنافسين :

((الحسد تمني زوال نعمة الغير ، وهو رذيلة من الرذائل ، وكبيرة من الكبائر وهو أول ذنب عصي الله به في السماء ، وأول ذنب عصي به في الأرض ، فأما السماء ، فحسد إبليس لآدم ، وأما في الأرض فحسد قابيل لهابيل))[3] .

((فإذا أنعم الله على أخيك بنعمة فلك فيها حالتان :

الحالة لأولى :

أن تكره تلك النعمة وتحب زوالها عن أخيك وصلت إليك أم لم تصل ، وهذا هو الحسد المذموم .

الحالة الثانية :

أن لا تحب زوال النعمة عن أخيك ولا تكره وجودها عنده ، ولكن تشتهي لنفسك مثلها، وهذا هو الحسد المحمود ويسمى حسد الغبطة ويسمى المنافسة ، قال الفضيل بن عياض:
((المؤمن يغبط والمنافق يحسد))[4] والدليل على إباحته ما رواه البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : ((**لا حسد إلا في اثنتين : رجل علّمه الله القرآن فهو يتلوه**

---

(1) موسوعة أخلاق القرآن ، للشرباصي ، ج ٢ ، ص ١٢٤ .
(2) مشكلات وحلول في حقل الدعوة ، لعبد الحميد البلالي ، ص ٤٩ - ٥١ . للتوسع ، انظر مشكلة التنافس غير الشريف في المرجع المذكور ، تعريفه ومظاهره وأسبابه وعلاجه .
(3) ترك الغل والحسد ، أسعد محمد سعيد الصاغرجي ، ص ١٢ .
(4) المرجع السابق ، ملخصًا ، من ص ١٣ - ١٩ ، للتوسع في آفة الحسد ، انظر الإحياء للغزالي وكذلك رسالة داء الأمم ذم الحسد والحاسدين ، لمحمد موسى نصر .

آناء الليل وآناء النهار فسمعه جار له فقال : ليتني أوتيت مثل ما أوتي فلان ، فعملت مثل ما يعمل ، ورجل آتاه الله مالاً فهو يهلكه في الحق ، فقال رجل : ليتني أوتيت مثل ما أُوتي فلان فعملت مثل ما يعمل ›› (١) ، فالحسد كدر في القلب ، قليل من المتنافسين من يخلو قلبه منه ، ولهذا ينبغي التحذير منه ومراقبة القلوب ومحاسبة النفوس حتى لا تتكدر بمظاهره أو تتلوَّث بآثاره .

٨ - ٣ : التنافس في أمر مع تضييع أمور أخرى :

التوازن مطلوب من المسلم في كل شأن من شؤونه وتنافسه مع إخوانه في قربة ينبغي أن لا يحمله على التقصير في قربة أخرى أوجب منها . وقد قال سلمان لأبي الدرداء : إن لربك عليك حقًّا وإن لنفسك عليك حقًّا وإن لزوجك عليك حقا .

فالزم في تنافسك مع إخوانك الوسط ، وإياك أن يحملك حماسك إلى الشطط فإن المنبت لا أرضًا قطع ولا ظهرًا أبقى .

٨ - ٤ : التسويف والتباطؤ :

ليس التسويف من صفات المتنافسين المتسابقين ، وإنما هو من خصال الكسالى المتثاقلين ، ولكن التحذير منه من (باب الوقاية خير من العلاج) ، وقد كان السلف على تنافسهم وسبقهم لكل خير يحذر بعضهم بعضا من التسويف .

قال وكيع : حدثنا أصحابنا عن أبي إسحاق عن رجل من عبد القيس أنه كان يقول : ‹‹ أنذركم سوف ، وفي رواية : (احذروا سوف) ›› (٢) .

وقد جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال : ‹‹ **يا رسول الله ، أيُّ الصدقة أعظمُ أجرًا ؟ قال : أن تصدق وأنت صحيح شحيحٌ تخشى الفقر وتأمُلُ الغنى ، ولا تمهل حتى إذا بلغت الحلقوم قلت لفلانٍ كذا ولفلانٍ كذا وقد كان لفلان** ›› (٣) ، ولقد كان -عليه أفضل الصلاة والسلام - مبادرًا في فعل الخيرات سريعًا في إنجازها ، قال عقبة بن الحارث رضي الله عنه : صليت وراء النبي ﷺ بالمدينة العصر فسلَّم ، ثم قام مسرعًا فتخطى رقاب الناس إلى بعض حُجر نسائه !! ، ففزع الناس من سرعته ، فخرج عليهم فرأى أنهم قد عجبوا

---

(١) رواه البخاري ، كتاب فضائل القرآن ، باب اغتباط صاحب القرآن ، حديث رقم ٥٠٢٦ .
(٢) كتاب الزهد ، لوكيع بن الجرح ، تحقيق عبد الرحمن الفريوائي ، ج٢ ، ص ٥٢٥ - ٥٢٦ ، قال المحقق : صحيح لشواهده .
(٣) رواه البخاري ، كتاب الزكاة ، باب فضل صدقة الشحيح الصحيح ، حديث رقم ١٤١٩ ، ورواه مسلم في كتاب الزكاة ، باب بيان أن أفضل الصدقة صدقة الصحيح الشحيح ، حديث رقم ١٠٣٢ .

من سرعته ، قال : ((**ذكرتُ شيئًا من تِبرٍ** (قطع ذهب أو فضة) **عندنا فكرهت أن يحبسني فأمرت بقسمته**))[1].

٩ - مسائل في التنافس والمسارعة :

٩ - ١ : كيف نوفق بين العجلة من الشيطان ، والدعوة إلى المبادرة والمسابقة؟

قد يطرح مثل هذا التساؤل متثاقل ينكر به على من يدعوه إلى المبادرة والمسارعة والعجلة إلى فعل الخير ، مستدلا بقوله ﷺ : ((**التأني من الله ، والعجلة من الشيطان**))[2] ، فنقول له إن هذا قد قُيِّد بقوله ﷺ : ((**التؤدةُ في كل شيء إلا في عمل الآخرة**)) [3] . فإن المشروع أن يعجِّل الإنسان فيه ولا يسّوف ، وقد قال موسى - عليه السلام - لربّه وقد سأله الحق - عز وجل - فقال - عز وجل : ﴿ **وَمَا أَعْجَلَكَ عَن قَوْمِكَ يَا مُوسَى قَالَ هُمْ أُولاءِ عَلَى أَثَرِي وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى** ﴾ [4] ، وقال الله - تعالى : ﴿ **وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ** ﴾ [5] .

ولله در ابن القيم - رحمه الله - إذا عقد فصلاً بيَّن فيه الفرق بين المبادرة والعجلة فقال : ((والفرق بين المبادرة والعجلة أن المبادرة انتهاز الفرصة في وقتها ، ولا يتركها حتى إذا فاتت طلبها ، فهو لا يطلب الأمور في أدبارها ولا قبل وقتها ، بل إذا حضر وقتها بادر إليها ووثب عليها وثوب الأسد على فريسته فهو بمنزلة من يبادر إلى أخذ الثمرة وقت كمال نضجها وإدراكها ... والعجلة طلب أخذ الشيء قبل وقته فهو لشدة حرصه عليه بمنزلة من يأخذ الثمرة قبل أوان إدراكها ، فالمبادرة وسط بين خلقين مذمومين أحدهما التفريط والإضاعة ، والثاني : الاستعجال قبل الوقت ؛ ولهذا كانت العجلة من الشيطان فإنها خفة وطيش وحدة في العبد تمنعه من التثبت والوقار والحلم ، وتوجب له وضع الأشياء في غير مواضعها وتجلب عليه أنواعًا من الشرور وتمنعه أنواعًا من الخير وهي قرين الندامة ، فقلَّ من استعجل إلا ندم كما أن الكسل قرين الفوت والإضاعة)) [6] .

---

[1] رواه البخاري ، كتاب الأذان ، باب من صلى بالناس فذكر حاجة فتخطاهم ، حديث رقم ٨٥١ .

[2] إسناده حسن ، الصحيحة للألباني ، حديث رقم ١٧٩٥ .

[3] إسناده صحيح على شرط مسلم ، الصحيحة للألباني ، حديث رقم ١٧٩٤ .

[4] سورة طه [٨٣-٨٤] .

[5] سورة آل عمران [١٣٣] .

[6] الروح ، لابن القيم ، ص ٢٥٨ ، دار الكتب العلمية .

٩ - ٢ : ما الفرق بين التنافس المحمود والحسد ؟

قال الإمام ابن القيم - رحمه الله - : ((والفرق بين المنافسة والحسد أن المنافسة المبادرة إلى الكمال الذي تشاهده من غيرك فتنافسه فيه حتى تلحقه أو تجاوزه فهي من شرف النفس وعلو الهمة وكبر القدر ، قال تعالى : ﴿ **وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ** ﴾ وأصلها من الشيء النفيس الذي تتعلق به النفوس طلبًا ورغبة فينافس فيه كل من النفسين الأخرى ، وربما فرحت إذا شاركتها فيه كما كان أصحاب رسول الله ﷺ يتنافسون في الخير ويفرح بعضهم ببعض باشتراكهم فيه ، بل يحض بعضهم بعضا عليه مع تنافسهم فيه وهي نوع من المسابقة ، وقد قال تعالى : ﴿ **فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ** ﴾ وقال تعالى : ﴿ **سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ** ﴾ وكان عمر بن الخطاب يسابق أبابكر - رضي الله عنهما - فلم يظفر بسبقه أبدًا فلما علم أنه قد استولى على الإمامة قال : والله لا أسابقك إلى شيء أبدًا ، وقال : والله ما سبقته إلى خير إلا وجدته قد سبقني إليه ، والمتنافسان كعبدين بين يدي سيدهما يتباريان ويتنافسان في مرضاته ويتسابقان إلى محابه ، فسيدهما يعجبه ذلك منهما ويحثهما عليه وكل منهما يحب الآخر ويحرضه على مرضاة سيده)) .

والحسد خلق نفس ذميمة وضيعة ساقطة ليس فيها حرص على الخير فلعجزها ومهانتها تحسد من يكسب الخير والمحامد ويفوز بها دونها وتتمنى أن لو فاته كسبها حتى يساويها في العدم كما قال تعالى : ﴿ **وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً** ﴾(١) ، وقال تعالى : ﴿ **وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِم مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ** ﴾(٢) ، فالحسود عدو النعمة متمن زوالها عن المحسود كما زالت عنه هو ، والمنافس مسابق النعمة متمن تمامها عليه وعلى من ينافسه فهو ينافس غيره أن يعلو عليه ويحب لحاقه به أو مجاوزته له في الفضل والحسود يحب انحطاط غيره حتى يساويه في النقصان وأكثر النفوس الفاضلة الخيرة تنتفع بالمنافسة فمن جعل نصب عينيه شخصًا من أهل الفضل والسبق فنافسه انتفع به كثيرًا فإنه يتشبه به ويطلب اللحاق به والتقدم عليه وهذا لا نذمه ، وقد يطلق اسم الحسد على المنافسة المحمودة كما في الصحيح عن النبي ﷺ : ((**لا حسد إلا في اثنتين رجل آتاه الله القرآن فهو يقوم به آناء الليل وأطراف النهار ورجل آتاه الله مالاً فسلطه على**

---

(١) سورة النساء [٢٩] .
(٢) سورة البقرة [١٠٩] .

هلكته في الحق)) ، ((فهذا حسد منافسة وغبطة يدل على علو همة صاحبه وكبر نفسه وطلبها للتشبه بأهل الفضل)) [1] .

٩ - ٣ : هل يأثم من أحبَّ أن لا يفوقه أحد ؟

قال ابن رجب - رحمه الله - مبينًا الحكم في هذه المسألة في شرحه لحديث أنس ﷺ عن النبي ﷺ : ((**لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يُحب لنفسه**)) [2] ، فقال : وحديث أنس الذي نتكلم الآن فيه يدل على أن المؤمن يسرُّه ما يسر أخاه المؤمن ، ويريد لأخيه المؤمن ما يريده لنفسه من الخير ، وهذا كله إنما يأتي من كمال سلامة الصدر من الغل والغش والحسد ، فإن الحسد يقتضي أن يكره الحاسد أن يفوقه أحد في خير ، أو يساويه فيه ، لأنه يحب أن يمتاز على الناس بفضائله ، وينفرد بها عنهم ، والإيمان يقتضي خلاف ذلك ، وهو أن يشركه المؤمنون كلهم فيما أعطاه الله من الخير من غير أن ينقص عليه منه شيء إلى أن قال : وقد ورد ما يدل على أنه لا يأثم من كره أن يفوقه من الناس أحد في الجمال ، فخرج الإمام أحمد - رحمه الله - والحاكم في صحيحه من حديث ابن مسعود ﷺ ، قال : (أتيتُ النبي ﷺ وعنده مالك بن مرارة الرهاوي ، فأدركته وهو يقول : يا رسول الله ، قد قُسِمَ لي من الجمال ما ترى ، فما أحبُّ أحدًا من النَّاس فضلني بشراكين فما فوقهما ، أليس ذلك هو من البغي؟ فقال : ((**لا ، ليس ذلك بالبغي ، ولكن البغي من بطر – أو قال : سفه الحق وغمط الناس –**))) [3].

قلت : ((وقد ذهب ابن حجر - رحمه الله - إلى أن المؤمن ينبغي أن يحب لأخيه مثل ما يحب لنفسه(المساواة) وقال : فلا يحب أن يكون أفضل من غيره ، فهو مستلزم للمساواة ويستفاد ذلك في قوله تعالى : ﴿ **تِلْكَ الدَّارُ الآَخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لاَ يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الأَرْضِ وَلاَ فَسَادًا** ﴾[4]، ولا يتم ذلك إلا بترك الحسد والغل والحقد والغش ، وكلها خصال مذمومة)) [5].

١٠ - أمثلة على تسابق السلف وتنافسهم :

إن التنافس في الخير والسبق إليه مزية امتاز بها المؤمنون الأوائل فكانت أعمارهم ميدان سباق إلى طاعة ربهم ، ومرضاة مولاهم لسان حالهم ومقالهم ، ﴿

(1) المرجع السابق ، ٢٥١ - ٢٥٢ .
(2) رواه البخاري ، كتاب الإيمان ، حديث رقم ١٣ ، ورواه مسلم ، برقم ٤٥ .
(3) جامع العلوم والحكم ، لابن رجب ، ج١ ، ص ٣٠٦ –٣٠٧ ، وحديث الإمام أحمد ، ج١ ، ص ٣٥٨ ، وصححه الحاكم ، ج٤ ، ص ١٨٢ ، ووافقه الذهبي .
(4) سورة القصص [٨٣] .
(5) فتح الباري ، لابن حجر ، ج١ ، ص ٥٨ .

وعجلت إليك ربي لترضى ﴾ (١) ، وإليك بعض الأمثلة على ذلك :

١٠ ـ ١ : خشي أن يؤخره غسل الجنابة عن اللحاق بركب المتنافسين :

إنه الصحابي السبَّاق إلى مواطن الشهادة ، حنظلة بن أبي عامر ، غسيل الملائكة ، أخرج الحاكم عن يحيى بن عباد بن عبد الله ، عن أبيه عن جده ، قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول عند قتل حنظلة بن أبي عامر : ((**إن صاحبكم تُغسِّلُهُ الملائكة**)) ، فسألوا صاحبته فقالت : إنه خرج لمّا سمع الهائعة - وهي الصوت التي يُفزَعُ منها (وتقصد النفير للجهاد) - وهو جنب ، فقال رسول الله ﷺ : ((**لذلك غسَّلَتْه الملائكة**)) (٢).

عن هشام بن عروة عن أبيه ، أن رسول الله ﷺ قال لامرأة حنظلة : ((**ما كان شأنه؟**)) قالت : كان جنبًا وغسَّلت إحدى شقي رأسه ، فلما سمع الهيعة خرج فقتل ، فقال رسول الله ﷺ : ((**لقد رأيت الملائكة تغسلُهُ**)) (٣) .

١٠ ـ ٢ : تنافس على الشهادة :

زيد بن الخطاب أخو عمر بن الخطاب لأبيه - رضي الله عنهما - كان زيد أسنَّ من عمر وهو من المهاجرين الأولين شهد بدرًا وأحدًا والخندق والحديبية والمشاهدَ كلها مع رسول الله ﷺ ، قتل شهيدًا في اليمامة فحزن عليه عمر حزنًا شديدًا .

قال له عمر يوم أحد : ((خذ درعي .. فقال زيد : إني أريد من الشهادة ما تريد ، فتركاها جميعًا))(٤) ، فانظر إلى إيثار عمر لأخيه بدرعه وتأمل منافسة زيد لعمر على الشهادة **!!** .

١٠ ـ ٣ : منافسة بين الأب وابنه :

لما ندب رسول الله ﷺ المسلمين إلى الخروج إلى عير قريش ، قال خيثمة بن الحارث لابنه سعد : ((إنه لابد لأحدنا من أن يقيم فآثرني بالخروج ، وأقِمْ مع نسائك ، فأبى سعد ، وقال : لو كان غير الجنة لآثرتك به ، إني أرجو الشهادة في وجهي هذا **!!** ، فاستهما

---

(١) سورة طه [٨٤] .
(٢) المستدرك ، للحاكم ، ج٢ ، ص ٢٠٤ - ٢٠٥ ، وأقرَّه الحافظ الذهبي ، نقلا عن موسوعة عظماء حول الرسول ، ج٢ ، ص ٦٥٧ .
(٣) المرجع السابق ، ج٢ ، ص ٦٥٦ ــ ٦٥٧ .
(٤) انظر أسد الغابة ، لابن الأثير ، ج٢ ، ص ٢٣٨ ــ٢٣٩ .

(أي اقترعا) فخرج سهمُ سعد ، فخرج مع رسول الله ﷺ إلى بدر فقتل يؤمئذ)) [٢] .

خامسا : بعض التطبيقات العملية المقترحة لتأكيد معاني الدرس :

١- أن يشجع المربي تلامذته على الصف الأول والمبادرة بالذهاب إلى المسجد عند سماع النداء وينبه المقصر ويحث المتثاقل .

٢- وضع عدة مسابقات في القرآن الكريم والعلوم الشرعية :

أ - التنافس في حفظ سورة معينة (خلال أسبوع / خلال رحلة برية أو عمرة أو حج) .

ب - التنافس في المسابقات الثقافية والإجابة على أسئلة تطرح .

ج - التنافس في تلخيص كتاب .

٣- التنافس بين التلاميذ في مجال الدعوة ، ونشر الخير بين الناس :

أ - إدارة حلقة لتحفيظ القرآن وتدريس علومه .

ب - نشر الشريط الإسلامي

ج - نشر فتاوى العلماء لتوعية الناس .

٤- التنافس في مجال طلب العلم :

أ - حفظ أحاديث نبوية (الأربعين النووية – عمدة الأحكام – ونحوها) .

ب - حفظ متون مناسبة لعلوم منوَّعة .

ج - قراءة الكتب مع تلخيصها .

٥ - تنافس في مجال العبادة :

أ - التشجيع والحث على صيام الإثنين والخميس والأيام البيض .

ب - التشجيع على قيام الليل ((لا تكن كعبد الله كان يقوم الليل فتركه)) .

ج - التشجيع على حفظ الأذكار والمحافظة عليها .

٦ - التنافس في الخدمات العامة :

أ - القيام على الأرامل والأيتام .

ب - معرفة المحتاجين في الحي ومساعدتهم .

ج - المشاركة في بعض المؤسسات واللجان الخيرية والإغاثية .

سادسا : قضايا ينبغي التنبيه عليها :

---

(٢) انظر الطبقات الكبرى ، لابن سعد ، ج٣ ، ص ٤٨٢ ، نقلا عن موسوعة عظماء حول الرسول ، ج٢ ، ص ٨٨٤ .

١ - التحذير دائمًا من الحسد لا سيما بين الأقران .
٢ - التأكيد على سلامة القصد من الشرك الخفي .
٣ - التأكيد على المبدأ الإيماني ((**لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه**)) .

سابعا : المراجع :

١- فتح الباري لابن حجر ، دار المعرفة .
٢- المرقاة شرح المشكاة ، القاري ، المكتبة التجارية .
٣- صحيح سنن ابن ماجة ، الألباني ، مكتبة التربية .
٤- نزهة المتقين شرح رياض الصالحين ، للدكتور مصطفى الخن وآخرون ، مؤسسة الرسالة ، ط١٨ .
٥- نزهة الفضلاء تهذيب سير أعلام النبلاء ، محمد حسن عقيل ، الأندلس الخضراء ، ط٢.
٦- سلسلة الأحاديث الصحيحة ، الألباني ، مكتبة المعارف ، ط٤ .
٧- الجامع المفهرس ، سليم الهلالي ، دار ابن الجوزي .
٨- موسوعة أطراف الحديث النبوي الشريف ، محمد السعيد زغلول ، دار الفكر .
٩- موسوعة عظماء حول الرسول ، الشيخ خالد العك ، دار النفائس .
١٠- جامع العلوم والحكم ، ابن رجب ، تحقيق الأرناؤوط ، مؤسسة الرسالة .
١١- في ظلال القرآن ، سيد قطب ، دار الشروق ، ط٧ .
١٢- صفحات مشرقة من حياة السابقين ، نذير محمد مكتبي ، دار البشائر الإسلامية ، ط١ .
١٣- آفات على الطريق ، السيد محمد نوح ، دار الوفاء ، ط١ .
١٤- موسوعة أخلاق القرآن ، للشرباصي ، دار الرائد العربي .
١٥- كتاب الزهد ، وكيع الجراح ، مكتبة الدار ، ط١ .
١٦- الجامع لأحكام القرآن ، القرطبي ، دار إحياء التراث العربي .
١٧- أسد الغابة ، ابن الأثير ، دار إحياء التراث العربي .
١٨- الروح ، ابن القيم ، دار الكتب العلمية .

١٩- الوقت عمار أو دمار ، جاسم المطوع ، دار الدعوة ، ط ١ .
٢٠- ترك الغل والحسد ، أسعد الصاغرجي ، دار القبلة للثقافة الإسلامية ، ط١ .
٢١- مواقف بطولة من صنع الإسلام ، زياد أبو غنيمة ، دار الفرقان ، ط٤ .
٢٢- سلسلة المنهاج ، ج١ ، هاشم محمد ، مكتبة دار البيان ، ط٢ .
٢٣- مسند الإمام أحمد ، ت / أحمد شاكر ، دار المعارف ، ط٣ .
٢٤- لسان العرب ، لابن منظور .
٢٥- فتح القدير ، للشوكاني ، دار الوفاء ، دار الأندلس الخضراء .
٢٦- مختصر تفسير ابن كثير ، الصابوني ، دار القرآن الكريم .
٢٧- مختصر تفسير الطبري ، الصابوني ، دار القرآن الكريم .
٢٨- معجم الأعلام والموضوعات في القرآن الكريم ، عبد الصبور مرزوق ، دار الشروق ، ط١ .
٢٩- الكشاف الموضوعي لأحاديث صحيح البخاري ، محيي الدين عطية ، المعهد العالمي للفكر الإسلامي .
٣٠- المعجم الوجيز ، مجمع اللغة العربية .
(وغيرها من المراجع مما أشير إليه في ثنايا البحث) .

الفهارس

فهرس الجزء الأول

إخلاص

أخوة

استقامة

أمانـة

إيثار

إيمان

تعاون

تفكر

تقوى

تنافس

انتهى الجزء الأول

من كتاب الرائد ، ويليه - إن شاء الله -

الجزء الثاني مبدوءًا بمصطلح التوبة

هذا الكتاب

((... المنهج التربوي - بجانبيه النظري العملي - هو الركيزة الكبرى والقاعدة العظمى في صياغة وبناء الشخصية المسلمة التي تؤمن بالله ربا، وبالإسلام دينا، وبمحمد صلى الله عليه وسلم رسولا، وتحمل هم الدعوة في ليلها ونهارها، لا يشغلها عنه حب زوجة ولا مال أو ولد، ولا شك أن متانة المنهج التربوي للأفراد حرز لهم من الانحراف، وأمان بإذن الله من الزيغ والانحراف، كما أنه دافع لتوثيق روابط الأخوة وزيادة نور البصيرة، وحافز للتضحية والفداء، ومغتسل بارد للطهر والنقاء، والزكاة والصفاء.. وكلما امتدت فترة الحضانة التربوية للأفراد كلما ثبتت على الحق أقدامهم، واندا حت في ميادين الخير جهودهم، وسمت على الشهوات والشبهات قلوبهم، وتجردت من الآفات نفوسهم.

إن تجاوز أنماط التربية واختصار منهجها وإدغام مراحلها والتركيز على القضايا الحركية والإدارية والسياسية وحدها طريق محفوفة بالمخاطر، إذ تنتج أفئدة فيها قسوة، وليس لها من الصفاء وفرة، ويؤدي إلى رجحان النفس الأمارة بالسوء على النفس الزاكية فتتعثر الخطا، ويكثر الحظل والشطط إذ يتغلب الهوى. ولعل هذا أحد أسباب ما يراه الناقد المراقب لصفات الأجيال الدعوية لمعاصرة من الهبوط -إلى حد ما- في مستوى التزامها بدقائق الأخلاق الإيمانية والصفات التربوية؛ إذ (ليس اللاحق على مثل جودة السابق) بالجملة ....))